

موسوعة النظم الإسلامية

الكتاب الثالث

# نظام الإسلام في تكريم المرأة

تأليف

الأستاذ الدكتور

أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

الناشر مؤسسة الرسالة



## نظام الإسلام في تكريم المرأة

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛؛؛؛؛

فقد انتهيت بعون الله تعالى من مؤلفي " نظام الإسلام في صناعة الإنسان " ، ووضحت فيه دقة الصناعة ، وحسن الرعاية التي أولاها الله تعالى للإنسان منذ أن كان حلما في عقل أبويه، وبعد أن صار جنينا في بطن أمه ، وخلال مراحل حياته في الدنيا منذ مولده إلى أن يلقي ربه عند حلول أجله .

وعنيت بصناعة الإنسان الرجل والمرأة ، فقد بدأت الإنسانية بهما منذ آدم وحواء - عليهما السلام .

وعشت معهما من بدء وجودهما في الدنيا إلى نهايتهما، ورأيت ما للمرأة من تكريم مع الرجل، فقد خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين، ونفخ فيه من روحه، وأخرج من جنبه زوجته حواء، ومن تزواجهما كانت الذرية التي ملأت الأرض بالرجال والنساء، وامتن الله على الآدميين بذلك، فقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١) ، وقال ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٢) ،

---

(١) سورة النساء الآية : ١ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٩ .

وقال ﷻ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ  
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١) .

وقدر الله تعالى للرجل أن يسكن لزوجته، ويأنس بها ، وقدر للمرأة أن  
تسكن هي الأخرى لزوجها، وتأنس به .

وقد كرم الله تعالى الرجال والنساء بالصورة الجميلة، والعقل المدرك  
الفاهم، والروح الوثابة المشرقة، وساوى بين الرجال والنساء في الحقوق  
الآدمية، والجزاء، والمسئولية، وأوجد في فطرة كل منهما ميلا ذاتيا للآخر،  
وجعل بينهما مودة ورحمة، وأوجد فيهما الأمل والهدف .

إن البشرية كلها نتاج رجل وامرأة، جمعهما الله تعالى في مودة ورحمة،  
ومتعهما بالطباع العامة، والسكن النفسي، والافتتاع الفكري ، وشرع لهما حق  
الحياة والكرامة، وقدر الله تعالى لكل منهما طاقته، وعمله ليتكاملا في مسيرة  
الحياة، وفي تطبيق شرع الله تعالى.

وانتهيت في الكتاب الثاني إلى أن في صناعة الإنسان - رجلا كان  
أو امرأة- آيات تدعو إلى الإيمان، وتحث على الإخلاص في طاعة الله ﷻ  
ومن تقدير الله تعالى أن جعل لكل حق خصوما يعملون على رده  
بالزيوف والأكاذيب التي تعشعش في أفكارهم، وتسكن مفاهيمهم، وتدفعهم  
إلى وضع الشبه والإرجاف لتحقيق ما يأملون .

ولذلك لم أتعجب من أناس سخروا عقولهم، وأقلامهم في دعوى أن  
الإسلام ظلم المرأة، وحولها إلى أمة يستعبدها الرجل، وأنكروا ما في شريعة  
الإسلام من مساواة حقيقية تراعي الواقع ، وتتعامل مع وسع الإنسان ،

---

(١) سورة الروم الآية : ٢١ .

وطاقاته، وأخذوا يستدلون بشبهات بعيدة عن الحقيقة ، فهي كالسراب في رابعة النهار ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ (١) .

وأخذوا يتلمسون في أحكام الإسلام ما يتخليلونه سندا لهم، ويوجهونها إلى نحو ما يرغبون، وهم في ذلك واهمون، ويعيدون عن الواقع التشريعي الذي يقضي بربط الحكم الشرعي بما شرع له لإظهار نتائجه وآثاره. ومن أمثلة ذلك ما شرع الله ﷻ في صوم رمضان، فالمرريض الذي يفطر في رمضان لا يقل قدرا عن السليم الصائم، فلكل من المريض والسليم حكم في شرع الله ﷻ يلائم حاله وواقعه .

وقد ألزمني موقف الخصوم بالكتابة في تكريم الإسلام للمرأة، لأثبت هذا التكريم وأرد به زيف خصوم الإسلام والمسلمين، وأؤكد عظمة الإسلام . إن الإسلام دين واقعي، أنزله الله تعالى صالحا للناس في كل زمان ومكان، مراعيًا طاقة الإنسان، وحاجته، وطبيعته، ومكوناته، وتلك خصائص يتميز الإسلام بها .

جاء الإسلام بالعقيدة التي ترضى العقل بالدليل، وتشبعه بالإقناع، وترفعه إلى التصورات الصحيحة، واستتباط الحقائق الكلية من هذا الكون المحسوس وجاء الإسلام بالشريعة المشبعة لحاجات البدن بالعدل، والشاملة لكافة أمور الحياة بالحق، والحافظة لمصالح العباد في سائر الجوانب الدنيوية، بخطة عملية واضحة تؤدي إلى سعادة الآخرة.

وجاء الإسلام بمكارم الأخلاق ليحسن الإنسان بها عقيدته، وينسق أعماله مع نفسه، ومع أهله ، ومع الناس أجمعين، ويرى سماحة الإسلام في

---

(١) سورة النور الآية : ٣٩ .

كل تعاليمه، ويؤمن بالله تعالى الذي أحسن خلقه بين سائر المخلوقات .  
إن الله تعالى خلق الإنسان وكرمه، وصنعه صناعة خاصة، وجعله  
خليفته في الأرض، وأنزل له الدين ليتخذ المنهج الذي يعيش به في الدنيا .  
وميز الله تعالى بين أفراد الإنسان، فجعل منهم الغني والفقير، والعالم  
والعامي، والقوي والضعيف، والعامل والقاعد ، والرجل والمرأة ، ... وشرع  
لكل نوع ما يناسبه من أحكام .

ولا يعني التباين في الأحكام بين الناس عدم المساواة، لأن التباين  
لا يعني التفاضل، والاستعلاء، وإنما يعني وضع كل شيء في موضعه،  
وتكليف كل فرد بما خلق له ، فالشمس تظهر في النهار، والقمر يظهر في  
الليل، وهما سواء، والنحل يأتي بالعسل، والبقرة تحلب اللبن، وهما سواء .  
إني أقصد من كتابي هذا رد مزاعم المبطلين الذين جعلوا قضية المرأة  
مدخلا للهجوم على الإسلام .

وأملني أن أثبت بالدليل العقلي والشرعي عدالة الإسلام في تكريمه  
للمرأة، وتميزه في هذا التكريم عن سائر النظم البشرية قديما وحديثا .  
ولست أول من يكتب في هذا الموضوع، فقد سبقني إليه كثيرون،  
ولكنني أضع نفسي بين العلماء، وأقوم بما أقوم به خدمة لديني، فبه أحياء،  
وله أعمل، ولحقيقته أدعو، وعليه أموت وأعود لله رب العالمين .

وهنا أتمثل قول الإمام الشافعي رحمته الله لشيخه رحمته الله وكيع رحمته الله:

أحب الصالحين ولست منهم      عسى أن أنال بهم شفاعاة  
وأكره من تجارته المعاصي      ولو كنا سويا في البضاعة  
فرد شيخه وكيع عليه وقال له :  
تحب الصالحين وأنت منهم      عسى أن تنال بك الشفاعاة

## وتكره من تجارته المعاصي وقاك الله من سوء البضاعة

إن الإسلام اليوم يواجه خصوما عديدين، موجودين في كل مكان، وهم يختلفون عن سبقهم بالثقافة العامة، والعلوم التجريبية، والقوة المادية، والغلبة الظالمة، في وقت ضعف المسلمون فيه، وأصابهم العجز، وبعدوا كثيرا عن تعاليم الإسلام، وصاروا كالأيتام في مأدبة اللئام .

إن خصوم الإسلام يتهمون الإسلام بما ليس فيه، ويعملون على هدم صروحه، وتشويه معالمه، وإضعاف علمائه، وتجهيل متبعيه، وإغراقهم في تهم واهية، وفتاوى جاهلية، وإشغالهم في قضايا شكلية للتقليل من جهودهم، وإظهار هوانهم، والتمكين من السيطرة عليهم .

إن خصوم الإسلام لن ينالوا من الإسلام شيئا، فهو محفوظ بحفظ مصادره ، وعلماء الأزهر وغيرهم يبذلون جهودهم في خدمة الإسلام ورفع لوائه في العالمين .

وإن نالوا من المسلمين شيئا فلن يستمر لهم، لأن الإسلام قوة صامدة، وغالبة، قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (١)

إن أعداء الإسلام يزخرفون اتهاماتهم بالزيوف والأكاذيب، ويملاؤون حياة المسلمين بالخوف والرعب ليجعلوا همهم الاختباء، والصمت، ويتركوا الذئاب تأكل أجسادهم، وتنهش أفكارهم وهم صامتون .

وما كان لقضايا المرأة أن تأخذ الحجم الكبير التي ظهرت به ، إلا أن

---

(١) سورة المائدة الآية : ٥٤ .

خصوم الإسلام أرادوا التأثير في المرأة المسلمة لما لها من تأثير كبير في الحياة الاجتماعية الإسلامية، وفي تنشئة أبناء الأمة ، .... ولذلك ركز الخصوم على قضية المرأة، وأحاطوها بالأكاذيب، واتخذوها وسيلتهم لاتهام الإسلام نفسه ، وهذا ما ألزمني بكتابة هذا الكتاب ، ووضعه تحت عنوان "نظام الإسلام في تكريم المرأة " وآمل منه ما يلي : -

أولاً : توضيح الخصائص الذاتية للمرأة التي أجمع عليها العلماء، ووضحتها الشريعة، وراعتها في أحكامها، وهي خصائص توضح الفروق بينها وبين الرجل .

ثانياً : إثبات أن الإسلام كرم المرأة مثل تكريمه الرجل تماما، وتعامل برفق وحكمة مع الفروق الذاتية لكل منهما، وشرع لكل منهما ما يناسبه من أحكام تتناسب مع واقعه ، فالرجل يعمل ويكدح، وينفق، والمرأة تحمل، وتلد، وتربي.

ثالثاً : رد مزاعم المبطلين في دعواهم عدم مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة بالدليل العلمي الصحيح، والتحليل العقلي السديد .  
إن الإسلام كرم الرجل والمرأة على سواء، وما فرق بينهما من أحكام فهو وضع للأمور في نصابها، وما شرعه الله تعالى للمرأة هو تكريم لها، وإشباع لأنوثتها، وإرضاء لعواطفها .

إن الإسلام جعل المرأة قرينة الرجل في الأصل، والوجود، والحقوق، والواجبات، وخاطبها مع زوجها منذ اللحظة الأولى، وجعلها شقيقة الرجل، فقال تعالى: ﴿أَنَّى لَأُضِيعَ عَمَلٌ عَمِلَ مِنكُمْ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (١)،

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٥ .

وقال النبي ﷺ : ( إنما النساء شقائق الرجال ) (١) .

وحافظ الإسلام على أنوثة المرأة ، وصان خصائصها بما شرعه لها ، وأكرمها بتحديد وظيفتها في إطار حقوق تامة ، وأهلية كاملة .  
إني في هذا الكتاب أرجو بيان الحق في تكريم الإسلام للمرأة ببراهينه وأدلته .

وأسأل الله تعالى أن ييسر لي الأمر ، ويبصرني بالحق ، ويجعلني أمينا صادقا ، منصفا في النقل والاستنباط ، والحكم ، فالشأن كله بيده سبحانه وتعالى ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، ورجائي كله في عونه وعطائه ، وهو على كل شيء قدير .

وأعذر مقدما عن أي تقصير يقع مني ، فأنا بشر لا أدعي الكمال ، وكل عملي المساهمة مع إخواني العلماء في الدفاع عن الإسلام ، وتقوية معسكر الحق والصواب .

وأشعر بأنه من الواجب عليّ ، وعلى سائر العلماء ، وعلى جميع المسلمين توضيح الإسلام ، وإظهار تعاليمه وأحكامه ، ونشر نظمه بين الناس عامة والمسلمين منهم خاصة بعدما ظهرت نوايا خصوم الإسلام من خلال اتهام المسلمين بالعنف والإرهاب دون غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى .

إن العنف والإرهاب الذي يقع في عالم اليوم لا يقتصر على أصحاب دين معين ، أو في مكان خاص ، أو أمة بعينها .... ولذلك كان الحذر من إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلاميين وحدهم دون غيرهم .

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه - حديث : ٢٠٧ .

وقد علا صوت الباطل، وصار له أنصار من المسلمين، وهذا حال يستوجب مضاعفة العمل، وقيام المسلم بالانتصار لدينه ، والتمسك به .  
وسأحاول - بإذن الله تعالى - في هذا الكتاب دراسة القضايا التالية :  
أولاً : عموم تكريم الإسلام للإنسان .  
ثانياً : إهانة النظم الوضعية للمرأة قديماً وحديثاً .  
ثالثاً : بيان الواقع الفطري للإنسان، والفروق بين الرجل والمرأة.  
رابعاً : المرأة المسلمة قديماً وحديثاً .  
خامساً : مظاهر التكريم الإسلامي للمرأة، وبخاصة تلك الأحكام التي غايرت فيها أحكام الرجل .

إن واجب كل مسلم ومسلمة تعلم الإسلام ، والعمل بأحكامه، والتخلق بأخلاقه .... ورد الاتهام الكاذب على القائلين به ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١)

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزييني عنه خيراً ، ويتقبلني عنده سبحانه وتتعالى في الصالحين، فهو حسبي، عليه توكلت واليه أنيب .

أ . د أحمد أحمد غلوش

التجمع الخامس نرجس / ٤ في }  
أول رجب ١٤٣٨ هـ  
٢٩ مارس ٢٠١٧ م

(١) سورة الشعراء الآية : ٢٢٧ .

## الفصل الأول

### الإسلام تكريم للإنسان



## الإسلام تكريم للإنسان

تقديم :

**الكون كله** مخلوق حادث، أوجده الله تعالى من عدم، فأصبح أمرا موجودا تلمسه الحواس، ويدركه العقل، ويتجلى بمكوناته المتنوعة وعناصره التي لا يعلم عددها ومداهما إلا خالقها سبحانه وتعالى .

**وهذا الكون الحادث** يشمل السماوات وما فوقها، والأرض وما في باطنها، وما بين السماء والأرض من سحب، وهواء، وكواكب، ونجوم، ومحيطات، وأنهار، وجبال، ووديان، وقارات، وأوطان، وحياة ، وحركة في مخلوقات عديدة سخرها الله تعالى للناس .

**ونظام الله تعالى** للمخلوقات ليس على صورة واحدة، وإنما هو نظام ينتوع بتنوع كل مخلوق، لأن ما يصلح لنوع قد لا يصلح لغيره ، ولذلك تنتوع صور النظم، وتتحد في تحقيق الغاية منها .

**إن تحسين المرأة** يكون بالحلي، والقلائد، والذهب ولو تحلى بها الرجل لكان شاذا ممقوتا ، .... والحمل بالولد يكون في بطن المرأة ، ولا يتصوره عاقل في بطن رجل ، ... وهكذا يسير الكون كله في نظم قدرها الله لكل جزئية لتقوم بوظيفتها متناسقة مع الكائنات التي خلقها الله تعالى .

**إن تكريم الله تعالى** ثابت لبني آدم جميعا مع اختلافهم في النوع، والجنس، والطاقة، والقوة، والفهم، والإدراك، والإيمان، لأن الإسلام يراعي كل هذا، ويشرع لكل عنصر ما يكفيه ويرضيه .

**وفي هذا الفصل** سأبين تكريم الإسلام للإنسان - رجلا كان أو امرأة - فقد خصه الله بجمال الصورة، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل، والخلق الطيب، وعدد في نوعه الجنس، والشكل، واللسان ، والقدر، والفهم، والإدراك،

والطاقة، والمزاج ...، في إطار بشري يحقق التكامل والتوازن، ويؤدي إلى استمرارية الحياة، يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (١) ، ويقول ﷻ : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴿٢﴾﴾ ، ويقول ﷻ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ الْأَلْوَانِ وَاللَّوْنِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (٣) ، ويقول ﷻ : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٤﴾﴾ .

إن التنوع أساس التكامل، والعقل أساس النظام، والمساواة في الحقوق أساس الاستقرار، ومراعاة الفروق الفردية بين الأنواع أساس استقامة الحركة، وتحقيق الكرامة ، ورضى كل نوع بما شرع له .

وقد اختار الله تعالى الإنسان ليكون خليفته في الأرض، وميزه عن سائر المخلوقات بالصورة الجميلة، والعقل المدرك، والروح السامية، وأنزل له الدين ليحكم به في الأرض، وعرفه بالمزايا التي خلقه بها، وبالتكريم الذي وضعه فيه.

وسوف أوضح أوجه تكريم الإسلام للإنسان - رجلا كان أو امرأة - وذلك في المباحث التالية : -

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

(٣) سورة الروم الآية : ٢٢ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ٣٦ .

## المبحث الأول تكريم الإنسان بتعدد عناصره

اختار الله تعالى للإنسان صورة معينة، وأمر ملائكته أن تسوي من الطين صورة جامدة، ثم نفخ في هذا المثال روحا من لده، فصار إنسانا جميل الصورة، حسن المنظر على نحو لم تعهده الملائكة من قبل، ووضع فيه مع حيوية البدن العقل المدرك، والروح السامية، واختاره للخلافة، وسخر له الكون كله، وأودع فيه الخصائص النفسية، والغرائز الفطرية التي تمكنه من القيام بما خلق له، فقال تعالى :

- ﴿ وَصَوَّرَكُمُوهَا فَحَسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ (١)
- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ ﴾ (٢) .
- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ﴾ (٣) .

لقد فضل الله تعالى الإنسان، وكرمه تكريما خاصا، فمع الصورة الجميلة جعل له العقل الذي به يدرك، ويفهم، ويتصور، ويختار، ويقرر، ويحكم، ويسود، ووسع وظيفة الروح فيه، فلم تعد قاصرة على القوة الحيوية المحركة للبدن كما هي في سائر الكائنات الحية الأخرى ، وإنما فتح أمامها المجال العلوي لتسمو إليه، وتأخذ منه القيم، وترتبط بالحقيقة الكلية للوجود، وتُعبَّد صاحبها للمعبود رب العالمين .

---

(١) سورة التغابن الآية : ٣ .

(٢) سورة الانفطار الآيات من ٦ : ٨ .

(٣) سورة التين الآية : ٤ .

وتعبير الإنسان يشمل الرجل والمرأة على سواء، وحديث القرآن عن الإنسان يشملهما معا، فبرغم ما بين الرجل والمرأة من اختلاف في الصورة، والتركيب، والوظيفة، فإنهما يشتركان في جمال الشكل، وتناسق الأعضاء، وتوافق الظاهر والباطن، وتكامل الميول العقلية، والعواطف الروحية، والدوافع الذاتية، والغرائز الكامنة فيهما، ... ويتمتعان معا بروح وثابة، وأمل في عون الله تعالى ليقوما بما وجب عليهما في دين الله تعالى طاعة الله ﷻ ، فهو ﴿ الَّذِي خَلَقَ مَسْوًى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهْدًى ۝ ﴾ (١) .

وقد امتن الله تعالى على بني آدم بأن كرمهم، وأعلى قدرهم على سائر المخلوقات، ورفع منزلتهم، وخصهم بشكل مميز عن غيرهم، فمع أنه خلقهم من جسد مادي يشبه جسد الحيوانات في الاغتذاء والنمو، والتوالد، والحركة إلا أنه سبحانه وتعالى أعلى هذا الجسد بالجمال الخلقى، والعقل المدرك الفاهم ، وربطه بنور الله تعالى بواسطة روحه الوثابة العالية، وخصه بالتكليف، وأنزل له الدين، وعرفه بالمسئولية، ووضح أمامه الواجب، وحثه على الحسن والنظام، وأنزل له المنهج الذي يمكنه من إحياء الوجود، وأكرمه بالمحاسن، وفضله على كثير من المخلوقات، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ ﴾ (٢) ، وهذا التكريم يعني اختصاصه بالصورة الجميلة، والمكونات البديعة، والأخلاق الكريمة، والعزة والسيادة، وتكليفه بالإسلام، وتعريفه بالمسئولية والجزاء، وجعله خليفة الله ﷻ في الأرض.

---

(١) سورة الأعلى الآيتين : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

**والآية تشير بوضوح إلى النعم والفضائل التي كرم الله بها الإنسان، فقد كرمه سبحانه وتعالى فوضعه في صورته حسنة، ورزقه العقل المدرك، وكلفه بالإيمان والعمل، وسخر له سائر المخلوقات، وفضله عليها .**

**جاء في الألوسي :** " إن الله تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المديدة، ثم أنه سبحانه ميزه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، فالتكريم يشمل النعم التي خلق بها، والتفضيل يعني المزايا التي تميز بها عن سائر المخلوقات، فكأنه سبحانه وتعالى قال: فضلناهم بالتعريض لاكتساب ما فيه النجاة، والزلفى بسبب ما كرمناهم به من مبادئ ذلك، فعليهم أن يشكروا، ويصرفوا ما خلق لهم لما خلق له (١)، وهو شكر الله تعالى، والإخلاص له في العبودية .

**ويقول الفاضل بن عاشور :** كرم الله تعالى الإنسان ، ورفع منزلته بين المخلوقات، وشرع له ما يرفهه في المأكل، والمشرب، والملبس، والعمل، وسما به عن سائر المخلوقات .... فإن جميع الحيوانات لا تعرف النظافة، ولا اللباس، ولا الرفاهية في نظام المسكن، وتنوع المأكل والمشرب ، ولا تذكر الماضي، ولا تدبر الواقع، ولا الاستعداد للمستقبل، ...

**أما الإنسان فإنه يهتم بالنظافة، ويحب الجمال، ويميل للرفاهية في المسكن الواسع، والملبس الفاخر، والمركب الوثير، ويقبل التطور في أساليب معاشه وحياته، وقد أمره الله تعالى بما هو فيه، فقال تعالى : ﴿ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ حُدُوًّا**

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ج ١٥ ص ١١٩ بتصرف يسير .

زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (١)، فنسب الزينة إليه وحثه على أخذها، والتمتع بها.

وقد يسر الله تعالى للإنسان حوامل السفر والتنقل في البر، والبحر، والجو، وألهمه الأكل المفيد، والشرب اللذيذ بصورة جميلة، فهو يتناول الطعام بيده وهو جالس، ولا يرغب الماء غبا، بل يشربه في علب معدة له، ... وجعل رزقه الحلال الطيب، وحرّم عليه الخبائث ما ظهر منها وما بطن.

وفضل الله تعالى الإنسان على كثير من المخلوقات بصورة واضحة، وأشكال متعددة، وجعله خليفته في الأرض، وأنزل له الدين الصحيح ليسير على منهج الله تعالى (٢).

إن الله تعالى صنع الإنسان صناعة خاصة تختلف عن صناعة غيره من المخلوقات، وأودع فيه القوة العاقلة، ورزقه الروح الوثابة، وجعله الخليفة في الأرض، ولأمر أرواده الله تعالى أظهر هذه الخصائص أمام الملائكة، وفي حضور إبليس اللعين، وقال سبحانه لآدم عليه السلام: ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ (٣) لإظهار خاصية العقل، وقدرته على الفهم، والتذكر، والتعلم، والخطاب ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ سَيِّدِنَا آدَمَ عليه السلام ﴾ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٤)، واستمر فضل الله تعالى على الإنسان من بداية خلقه إلى

(١) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

(٢) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ١٦٥ بتصرف .

(٣) سورة البقرة الآية : ٣٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٣٣ .

أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وأخرج الله تعالى حواء من ضلع آدم ﷺ على صورته الطينية، وزوجه بها ليقوما في الأرض أول نموذج عملي للتعاون والتلاقي بين الرجل والمرأة .  
فالرجل بقوته، وعقله، وتحمله، وسعيه يقوم بالعمل، والإنفاق، والكدح، وبروحه وعواطفه يحن للمرأة ، ويميل إليها ويتخذها سكنا ورحمة، وأنيسا ...  
والمرأة بأنوثتها، ورقتها، واستعدادها تحقق للرجل الأنس، والمودة، وتريحه من متاعبه، وتسره بحسن تبعلها، وهي بطبيعتها، وأعضاء جسدها تقوم بالحمل والولادة ، والإرضاع والحضانة ، والتربية، وتساهم بذلك مساهمة إيجابية في استمرار النسل، وملء الأرض بعباد الله الصالحين، يقول الله تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ (١)، ويقول ﷺ : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ (٢) .

إن الله سبحانه وتعالى خلق فسوى، وقدر فهدى، وأكرم، وفضل، ووضع كل شيء في موضعه الصالح له، وشرع له ما يناسبه، وأمره بما يصلحه، وبفيده وخص كلا من الزوجين بعمل معين يكمل الآخر، ويلتقي معه في الهدف .  
إن بداية خلق المرأة أكرم من بداية خلق الرجل، لأن بدء خلق الرجل كان من الطين، ولذا كان ميله إليه ليملكه، وأما المرأة فقد خرجت من الضلع القريب من القلب، ففيها لين ورفق، وحسن، وجمال، وميل إلى الرجل، ولولا الحياء لاشتد ميلها، ... وخروج المرأة من الرجل قوى فيها العاطفة التي تميل بها إلى الرجل ، ولذلك كان الأفضل لها أن تبتعد عن الرجل ما أمكنها ،

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٤ .

(٢) سورة الأحقاف الآية : ١٥ .

ولا تختلط به إلا في حدود ما شرع لها من وجود محرم، أو زوج، أو من وراء حجاب .

وقدر الله تعالى لكل من الرجل والمرأة القوة التي تساعده على القيام بدوره فالرجل قوي البدن، قوي العضلات، يحب السعي في الأرض، ويبذل ما في وسعه للكسب ، ويقدم في شجاعة لحماية عرضه، وولده، وبلده ، ويقبل انفعاله أمام الحدث الغريب، ويتأني عند الفواجع المفزعة، ويعيش هموم المجتمع الذي يعيش فيه، ولذلك كان تكليفه بالكدح والعمل مناسباً له ، وأيضاً فإن اهتمام الرجل بالزينة قليل، ومهامه العملية كثيرة، ولهذا لا حاجة تدعو إلى نهيهِ عن التزين والتجمل ...

أما المرأة فهي لينة الملمس، ضعيفة العضلات، تتميز بالأنوثة في صوتها، وحركتها، وتكره المشقة والتعب، وتميل للراحة والهدوء، وتتأثر بالغرائب، وتتفعل عند المعارضة، ولا تتحمل المآسي والكربات، وتلجأ إلى البكاء إن رأت مشهداً مؤلماً، وتحب الكلام الكثير، والظهور والشهرة، وقد خلقها الله تعالى برحم يسكن فيه الولد، وثدي يجمع اللبن الذي يتغذى به طفلها، ولذلك كان من الضروري تنوع الأحكام الشرعية لكليهما لتحقيق التناسب بين المهام، والتكاليف المشروعة .

إن التغاير بين الرجل والمرأة تكريم لهما معاً، لأنه يحقق لكل منهما الراحة والسكن، وإشباع الميول والرغبات، وإدامة الذرية، وتحقيق ميول كل منهما في البقاء، والدوام .

في وسط هذا الجو الكريم ظهر الإنسان، واتضحت ملامح حياته في الأرض بعد أن خلق الله تعالى حواء من آدم - عليهما السلام - وجمع بينهما في أنس، وفطرهما على المودة، وجعل كلا منهما يميل للآخر،

ويسكن إليه، وبث منهما البشر، وورث الجميع هذا الميل الفطري، والتواصل الحيوي الذي جمع بينهما.

إن الإنسان مهما اختلف زمانه ومكانه يجد في نفسه هذا الميل، ويراه دافعا فطريا للتواصل، والتعاون يربطه بأبويه، وبأقربائه، وبالناس، ويحببه في التواصل معهم، قريبا منه أو بعدوا عنه، فهو عضو في أسرة يحب أبويه، وإخوته، وأعمامه، وعماته، وأخواله، وخالاته، ويتعامل مع سائر الناس، ويألفهم، ويحب الخير لهم، ويتمناه لنفسه معهم، ويشترك في منظومة عامة تجمع البشرية كلها.

وعن هذا الحال الذي أوجده الله تعالى في الإنسان يقول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (١)

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (٢)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودًا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣)

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

(١) سورة الروم الآية : ٢١ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

(٣) سورة التحريم الآية : ٦ .

إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ  
صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ  
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (١) .

وروى الصحابة الكرام الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ في هذا

المجال ، ... ومنها :

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( المسلم أخو  
المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في  
حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات  
يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ) (٢) .

- وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان  
يشد بعضه بعضا. " وشبك بين أصابعه ) (٣) .

- وعن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال : ( سئل رسول الله ﷺ : من  
خير الناس ؟

قال رسول الله ﷺ : أنفعهم للناس ) (٤)

---

(١) سورة النور الآية : ٦١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه - حديث : ٢٣٣٠

(٣) صحيح البخاري - كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم - حديث : ٢٣٣٤

(٤) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الزكاة، باب الحث على المعروف وإعانة

الملهوف وإغاثنه - حديث : ١٠٢٧

وقد أنزل الله تعالى المنهج الشرعي الذي ينظم العلاقات بين الأفراد والجماعات على اختلاف مذاهبهم، وغاياتهم ليتم التعاون، والتواصل، والتواد بعدل دقيق، وخلق كريم بلا حيف، ولا ظلم، ولا عدوان.

**والدعوة إلى الإسلام** تعد جزءا من هذا التواصل الفطري الذي أودعه الله ﷻ في الناس، فهي قضية حق وعدل يعرضها المسلم على غيره بأدب، ويبين له مزاياها بحكمة، وله أن يقبلها أو يرفضها بهدوء، وما حولها إلى صراع عدواني إلا هؤلاء الذين لعب الشيطان بعقولهم ، فأبعدهم عن فطرتهم الإنسانية، ودفعهم إلى وأد الحقيقة، وإخفاء معالم الدين، وإبقاء الناس على ما هم فيه من غفلة، وجهل، وضياع .

**إن حب التواصل** جلبة غريزية تظهر في الطفل وهو على فطرتة ، حيث نرى ترابط الولد بأبيه، والبنات بأمها، ونرى سرعة تعارف الأطفال حينما يلتقون في أماكن عامة أو خاصة .

**ولو لم يفسد الطغاة،** ومحبو الشر مفاهيم البشر لاستمروا على فطرتهم الاجتماعية، ولترابطوا جميعا في حياة مشتركة، ولسعدوا بالعوامل الإنسانية الموجودة في باطنهم .

**لقد حاول البشر** تحقيق هذا التواصل في حياتهم وسط غياهب الظلام، والظلم في العصر الحديث، فأنشأوا " **عصبة الأمم المتحدة**" بعد الحرب العالمية الأولى، و" **هيئة الأمم المتحدة**" بعد الحرب العالمية الثانية أملا في إنهاء الاقتتال، وصيانة حقوق الإنسان، إلا أن نوازع البشر، وعوامل الفساد، والبعث عن منهج الله تعالى ضيع هذه المحاولات، وحولها إلى غير ما أنشئت له .

يؤكد هذه الفطرة الاجتماعية في الإنسان حبه لمعرفة أخبار الآخرين ، وتتبعه لقصص الماضي، وارتباطه بأحداث أصوله القريبة والبعيدة ، وليس هناك كائن حي في الدنيا يبحث عن ماضيه، وأصوله، وأسلافه مثل الإنسان، ولذلك كان الاهتمام الشديد بعلم الأنساب، وعلم التاريخ ، وقد وفق ابن خلدون في تسمية علم التاريخ بعلم العمران البشري ، واستنبط من أحداثه الماضية الجوانب التي تؤثر في الإنسان المعاصر وهو يعمر الحياة، لأن الإنسان واحد بطبعه وميوله، والتاريخ يعيد نفسه كثيرا .

إن الله تعالى كرم الإنسان بهذا التواصل فهو به يعرف منزلته بين سائر المخلوقات، ويعلم المنهج الصحيح للفوز والنجاة ، ويستفيد بمواقف من سبقوه، ويتجنب الانحراف والفساد الذي ألحق الضياع بالآخرين، ففي الماضي يبصر مواقف الخير والشر في سلوك الناس الذين عاشوا، وعملوا ، وقدموا أمثلة عملية، ونماذج واضحة تشهد على ما كان في الزمن الماضي .  
وفي هذه المواقف يظهر المؤمنون ومنهم أتباع الرسل، وامرأة فرعون ، وماشطة ابنة فرعون، ومؤمن آل فرعون، كما يظهر الكافرون ومنهم الكافرون بالرسول، وفرعون، وهامان، وقارون، وغيرهم من الضالين .

إن أحداث الماضي مدرسة للحاضر، وإصلاح للمستقبل، ولذلك ذكر كل رسول لأمة قصة الأمم السابقة ليأخذوا منها الدروس، ويكتشفوا خلالها الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، ويبتعدوا عن الأعمال السيئة، والأقوال الضارة .

وكما أن الميل الاجتماعي فطرة في الإنسان فهو ركيزة للدعاة وهم يتوجهون للناس، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴿ (١) .

إن الله تعالى خلق الناس في عالم مشهود يرونه، ويلمسون فوائده ومنافعه، وجعله لهم آية للإيمان بعالم الغيب الذي أخفاه عنهم ، وجعل الشاهد أمامهم مثلا للإيمان به ، فهو سبحانه وتعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ ﴿ (٢) .

إن الإنسان المسلم - رجلا كان أو امرأة - يرى آيات الله تعالى في نفسه، وفي كل مخلوق، ويؤمن أن الإسلام يقدم المنهج الأصح للإنسان، ويعيش به لتميزه بالشمول، والكمال، والدقة، والثبات في كل زمان ومكان .

هذا هو الإنسان كما خلقه الله تعالى :

- جميل في صورته وشكله.
  - فاهم ومدرك بعقله ونظره.
  - تتصل روحه بالمعاني القريبة والبعيدة.
  - تأخذه فطرته إلى التعاون وحب المشاركة.
  - يسعد بالمنهج الإلهي الذي أنزله الله له.
- إنه عبد الله .... وكفى !!!

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٠٣ .

## المبحث الثاني تكريم الإنسان بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة

الناس على اختلافهم وتنوعهم تجمعهم قيم إنسانية واحدة، فكل واحد منهم إنسان، ولهم جميعاً حقوق مشتركة في إطار مبدأ عام، فقد خلقهم الله تعالى من نفس واحدة، وحق لمن هم من نفس واحدة أن يعيشوا حياة واحدة، في مساواة كاملة قائمة العزة، والكرامة، والتناصر.

وقد تقرر مبدأ المساواة في الحقوق العامة، والقيم الإنسانية في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ (١)، وقوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٢).

ودلالة الآيات جلية في تحقيق المساواة الكاملة بين الرجال والنساء، لأنهم ينحدرون من أب واحد وأم واحدة، وبعضهم من بعض، ولا تفاضل بينهم بسبب النوع، وإنما التفاضل يتم بمقدار العمل، والجهد المبذول للمحافظة على ما دعا إليه الإسلام، وتطبيق تعاليمه، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ (٣).

وأشارت الآيات إلى أن التباين الظاهر بين نوعي الإنسان يحقق تمايز كل فرد عن الآخر في أمور ضرورية لآبد منها، كما يتميزون بأسمائهم، وأوطانهم، وأعمالهم.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٥ .

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

إن القيمة الإنسانية واحدة عند الرجل والمرأة، وقد كلفهما الله تعالى بدينه، وكان للمرأة السبق إلى الإسلام، فأول من دخل في الإسلام السيدة "خديجة رضي الله عنها"، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم عنها : ( قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ) (١) .

إن الإسلام يسوي المرأة بالرجل في الحقوق المدنية كافة ، ويعطيها حرية الإيمان، وحرية الاختيار في الزواج، كما يقرر لها حق التعاقد، وحق التملك، وحق العمل، وحق الكسب، ويكلفها بما يكلف به الرجل، ويجازيها على عملها كما يجازي الرجل، يقول صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٢) ، ويقول صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، وبذلك مكنها من العمل الذي شرعه للرجل في إطار شريعة الإسلام تحقيقا للمصلحة العامة والخاصة ويقول صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِتِينَ وَالصَّابِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) ، ففي الآية عشر خصال يجتمع فيها الرجل والمرأة، وهي

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٤٣٠٩

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٧ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٥ .

الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق،  
والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله تعالى .

**والآيات تفيد أن المرأة تتمتع بنفس الحقوق التي أُعطيت للرجل، سواء  
كانت متزوجة أو غير متزوجة ، فهي مستقلة بشخصيتها المدنية ،  
وتصرفاتها المالية، وهي مسئولة أمام الله تعالى عن عملها وخلقها .**

**إن المساواة بين الرجل والمرأة ظهرت من اللحظة الأولى لإيجادهما،  
وثابتة في شريعة الإسلام بوضوح، وما حدث من تغاير بينهما في بعض  
الأحكام الشرعية فهو بسبب واقع فطري ضروري يقتضي هذا التغاير، وتدعو  
إليه طبيعة كل منهما، وتحتمه المصلحة المقصودة للحياة، وللناس، وللمرأة  
نفسها .**

**إن المساواة بين الرجل والمرأة تحتم مراعاة التغاير بينهما لمراعاة فطرة  
كل منهما من حيث الأنوثة والذكورة، ولذلك فهو تمايز وظيفي، لا تمايز  
سيطرة واستبداد، إنه تمايز في وظائف الحياة تبعاً لطبيعة كل من المرأة  
والرجل يكمل سعيهما في ميدان الحياة، وهذا التمايز الطبيعي أعطى المرأة  
درجة في ميدانها أشار إليها النبي ﷺ في قوله : ( كلكم راع فمسئول عن  
رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم ، والرجل راع  
على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده  
وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا  
فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) (١) .**

---

(١) صحيح البخاري - كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق - حديث : ٢٤٣٦

إن الإسلام يجعل للمرأة حفا في كل القضايا الإنسانية التي تناولها القرآن الكريم، فقد خلق الله تعالى الثقلين - الجن والإنس - وأسكنهما الأرض، وأرسل لهما الرسل، وأكثر ذكر الإنسان في القرآن الكريم ، وفصل في قصص الإنسان مع رسالات الله تعالى .... ومن البدهي أن الإفاضة في الحديث عن جنس ما دليل على الاهتمام به .

**وجاء الاهتمام القرآني بالإنسان شاملا لنوعيه - الرجل والمرأة - بدلالة اللفظ العام التي جاءت في نداءات القرآن الكريم، لأن هذا العموم يشمل الرجل والمرأة مثل قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (١)، و﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ (٢) ، و﴿ يٰٓأَيُّهَا ءَادَمُ ﴾ (٣) ، وبدلالة عموم الأوامر التكاليفية مثل ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤)، و﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٥)، و﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٦) .**

وقد أجمع الفقهاء على أن الخطاب الموجه للرجل موجه للمرأة أيضا ما لم يرد ما يخصه للرجل أو للمرأة، ويسمي البلاغيون دخول طرف مع طرف آخر بالتغليب، كقولهم الشمسين للشمس والقمر .

إن أهلية المرأة في التكليف مقررة شرعا كما هي مقررة للرجل ، وكل

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٢٦ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

(٦) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .

إنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له أو عليه بإجماع الفقهاء (١) .  
**يقول ابن رشد** : الأصل أن حكم الرجل والمرأة واحد إلا أن يثبت في ذلك فارق شرعي (٢) .

**ويقول ابن القيم** : " قد استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكر إذا أطلقت ولم تقترن بال مؤنث فإنها تتناول الرجال والنساء " (٣) .

**ويقول ابن العربي** : قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (٤)  
(٤) عام للرجل والمرأة من المؤمنين حسب عموم الدلالة ، إلا أن الله تعالى خص الإناث في الآية التالية للتأكيد، وليرتب عليه ما بعده وهو خاص للمرأة حتى لا يظن أحد أن غض البصر خاص بالرجل دون المرأة (٥) .

إن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في العقيدة الإسلامية ومقتضياتها، كما ساوى بينهما في القيمة الإنسانية المشتركة، وفي حق التعلم والثقافة، وحق العمل والجهاد، والمسئولية والجزاء، إلا أنه فرق في حالات معينة بين الرجل والمرأة تبعاً لطبيعة المرأة وطبيعة الرجل، فللمرأة أحكامها مثل أحكام الحيض والنفاس، والحمل، والولادة، والرضاعة، وللرجل تكاليف يتحمل بها الأعباء الاقتصادية، والعملية، والجهادية، كما فرق الإسلام أيضاً في نصيب المرأة عن نصيب الرجل في الميراث مراعاة لمسئولية الرجل في الإنفاق على

---

(١) تسهيل الوصول إلى علم الأصول للشيخ / محمد عبد الرحم المحلاوي ص ٣٠٦ .

(٢) بداية المجتهد ج ١ ص ١٧٢ .

(٣) أعلام الموقعين ج ١ ص ٩٢ .

(٤) سورة النور الآية : ٣٠ .

(٥) أحكام القرآن ج ٣ ص ١٣٦٧ بتصرف .

أسرته، على ما سنفصل ذلك فيما بعد .

وتؤكد السنة النبوية، وأفعال سلف الأمة على مكانة المرأة ، ومساواتها بالرجل، وضرورة مساعدتها، والمحافظة على حقوقها، ....

ومن ذلك ما ذكره النبي ﷺ في خطبة الوداع، وفيها يقول النبي ﷺ :  
( يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت ؟ ..  
قالوا : بلغ رسول الله ( ١) .

وساوى الإسلام بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات، وتحقيق العدل، ولم يفرق بينهما إلا بالعمل والتقوى، ولم يجعل للصور الشكلية ، وألوان البشرة ، واختلاف اللسان سببا للتفاضل، يقول النبي ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم ) (٢) .

إن الإسلام يعني الاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى، والتصديق بكل ما نزل به الوحي، وطاعة الله تعالى في كل ما أمر به ، والتعبد المطلق الدائم للخالق المعبود في خشوع تام، وصدق مطلق، وصبر على الشدائد، واستقامة على المنهج الإلهي .

إن الآيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد مساواة المرأة بالرجل، ومنها قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٣٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ حديث : ٢٢٨٦٤ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم - حديث : ٤٧٥٦ .

تُحْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٦٦﴾ فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقِيلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٦٧﴾ ﴿ (١) ، ومنها قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٦٨﴾ ﴿ (٢) ، ومنها قوله ﷺ : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْلًا مِّثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٦٩﴾ ﴿ (٣) .

وحث الإسلام الرجل والمرأة على العلم والمعرفة بلا تفرقة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله ﷺ : " طلب

العلم فريضة على كل مسلم ) (٤) .

وقد ضرب الرسول ﷺ أروع مثل في تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة ، وفي حرصه على تعليم المرأة ، وتنقيفها بما فعله مع زوجته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها .

فقد روى البلاذري في كتابه " فتوح البلدان " أن الشفاء العدوية ، وهي سيدة من بني عدي رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت كاتبة في الجاهلية ، وكانت تعلم الفتيات ، وأن حفصة بنت عمر رضي الله عنها أخذت عنها القراءة والكتابة

(١) سورة آل عمران الآيات من ١٩٣ : ١٩٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة غافر الآية : ٤٠ .

(٤) المطالب العالية للحافظ ابن حجر ، كتاب العلم ، باب الترغيب في طلب العلم حديث : ٣١٤٠

قبل زواجها برسول الله ﷺ، ولما تزوجها النبي ﷺ طلب إلى الشفاء العذوية أن تتابع تثقيفها، وأن تعلمها تحسين الخط ، وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة وروى الواقدي أن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما زوجتي الرسول ﷺ تعلمتا القراءة والكتابة، وأنهما كانتا تقرأن ولكنهما لم تجيدا الكتابة (١) .

وتدل شواهد كثيرة أن أبواب التعلم والثقافة بمختلف صنوفها فتحت للبنات العربية في صدر الإسلام، وأنه قد نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات، وبرزن في علوم القرآن والحديث، والفقه، واللغة، وشتى أنواع المعارف والفنون، بل لقد كانت منهن معلمات فضليات، تخرج على أيديهن كثير من أعلام الإسلام .

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقدم لنا نموذجا رائعا في الفقه، والحديث، وتنظيم الشعر، فعن هشام بن عروة، عن أبيه رضي الله عنه، قال : ( ما رأيت أحدا أعلم بالحلال والحرام، والعلم، والشعر، والطب من عائشة أم المؤمنين ) (٢) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ( ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما ) (٣) .

وعن الزهري رضي الله عنه قال : ( لو جمع علم الناس كلهم ، ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علما ) (٤)

---

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج٧ ص ٧٢٧ .

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر الصحابييات من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهن - حديث : ٦٧٧٥ .

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، باب من فضل عائشة رضي الله عنها، حديث : ٣٩٠٠ .

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر الصحابييات ، حديث : ٦٧٧٦

وذكر ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان لها بمصر مجلس علم حضره الإمام الشافعي نفسه، وسمع عليها فيه الحديث .

وهذه أم الدرداء الصغرى " هجيمة بنت حيي الوصابية " روت علما جما عن زوجها أبي الدرداء ، وعن سليمان الفارسي، وعن عائشة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، وعرضت القرآن على أبي الدرداء، واشتهرت بالعلم والعمل، وكانت تقية زاهدة، عاشت طويلا حتى أدركت خلافة عبد الملك بن مروان .  
وهذه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي الحنفي صاحب كتاب " تحفة الفقهاء " حفظت التحفة فكانت فقيهة، طلبها كثير من الرجال فلم يزوجها والدها، وعندما صنف أبو بكر الكساني كتابه "بدائع الصنائع " وهو شرح التحفة عرضه على شيخه - أبيها - ففرح به كثيرا، وزوجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك .

فقالوا : شرح تحفته فزوجه ابنته، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها، وخط أبيها، فلما تزوجت صاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها ، وخط زوجها (١) .

وهذه عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية عائشة رضي الله عنها وتلميذتها، كانت عالمة فقيهة، حجة، كثيرة العلم، حدثت عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، قال القاسم بن محمد لابن شهاب : " يا غلام أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه ؟ ...  
قلت بلى .

---

(١) طبقات الحنفية ٢ / ٢٤٤، وانظر الفوائد البهية للكنوي ١٥٨ .

قال : عليك بعمرة ، فإنها كانت في حجر عائشة رضي الله عنها .

قال : فأتيتهما فوجدتها بحرا لا ينزف .

وذكرها ابن المديني ففخم أمرها، وقال : " عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات .

وقال ابن حبان : " كانت من أعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها .

وعن محمد بن عبد الرحمن رضي الله عنه ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه : ( ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة منها ، يعني عمرة .

وقال : وكان عمر يسألها ) (١) .... وحديثها كثير في دواوين السنة (٢) .

وهذه كريمة بنت أحمد بن محمد المروزيّة، كانت ركنا ركينا للحديث، ويحضر دروسها العلماء الكبار، كالمحدث الخطيب البغدادي، والمحدث السمعاني، جاورت بمكة، وروت صحيح البخاري عن الكُشميهني حتى أن محدث هراة أبا ذر رضي الله عنه قد وصى الطلبة أن لا يأخذوا الجامع الصحيح إلا عنها، وروايتها أصح روايات البخاري، وكانت عالمة تضبط كتبها، وتقابل نسخها، ورحلت مع والدها في طلب العلم، وما تزوجت، وكانت ذا فهم ونباهة، ولم ترض أن يروي عنها الخطيب الصحيح دون أن يقابل معها نسخته، وذلك بأن تقرأ عليه ، ثم يقرأ عليها، وهي في خدرها من وراء حجاب، فقرأ عليها الصحيح في خمسة أيام (٣) .

---

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي - كتاب السرقة، باب ما يجب فيه القطع - حديث : ٥٣٧٣

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١ / ١١٤ / عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط .

(٣) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٨ ، تاريخ بغداد ٣ / ١٢٦ ، والأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٥ .

ومن العاملات المجتهدات، والمفتيات : أم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو رافع: إنها أفقه امرأة في المدينة، وليلى بنت قائف، وأسماء بنت أبي بكر، وأم شريك بنت ثويب، وأم الدرداء الكبرى، وعاتكة بنت يزيد، وسهلة بنت سهيل، وفاطمة بنت قيس، وأم سليم، وأم أيمن (١) .

وقد عقد ابن سعد جزءا من كتاب " الطبقات الكبرى " لروايات الحديث عن النساء ، أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عن الثقات من أصحابه، وروى عنهن أعلام الدين وأئمة المسلمين (٢) .

ومما يؤكد حرص الإسلام على تعليم المرأة الأحاديث الصحيحة التالية :  
- ما رواه الترمذي من أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان فأحسن صحبتتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة)(٣)

- وما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( من عال ثلاث بنات ، فأدبهن ، وزوجهن ، وأحسن إليهن ، فله الجنة ) (٤) .

---

(١) أسد الغابة ٣ / ٣٦٠، والروض الأنف في شرح غريب السير ٢ / ٩٨، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٢٠١

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري تحقيق إحسان عباس .

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما

جاء في النفقة على البنات والأخوات، حديث : ١٨٨٨

(٤) سنن أبي داود - كتاب الأدب، أبواب النوم - باب في فضل من عال يتيمًا، حديث : ٤٥٠٢

- وفي رواية عند البخاري عن أبو بردة، عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أيا رجل كانت عنده وليدة (أي جارية) ، فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) (١) .

- وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ كان يخصص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله تعالى ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله .

فقال ﷺ : " اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا " ، فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله ﷺ ، فعلمهن مما علمه الله ) (٢)

" وجاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : " أن القاضي الورع عيسى بن مسكين" كان يقرئ بناته وحفيداته، ...

يقول عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه ، وبنات أخيه ليعلمهن القرآن الكريم والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية " أسد بن فرات" بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة، ... وروى الخشني أن مؤدبا كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب ، وكان يعلم الأطفال بالنهار، والبنات في الليل " .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري - حديث : ٤٧٩٥

(٢) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من

الرجال والنساء - حديث : ٦٩٠٠

وقد ثبت تاريخيا أن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أسمى درجات العلم والثقافة، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الإسلامية الأولى .

**فكان من النساء المسلمات الكاتبة والشاعرة كأمثال "عليه بنت المهدي" و"عائشة بنت أحمد بنت أحمد بن قادم" وولادة بنت الخليفة المستكفي بالله" وكان منهن الطبيبة كأمثال "زينب طبيبة بني أود" التي عرفت بعلاج أمراض العيون، و"أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي" وقد كانت طبيبة شهيرة مبرزة في الطب .**

**وكان منهن المحدثات كأمثال "كريمة المروزية، والسيدة نفيسة ابنة محمد" ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر - وهو أحد رواة الحديث- أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعا وثمانين أستاذة .**

**وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات، والمدرسات للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حيان، ... وجميعهم من الفقهاء، والعلماء، والأدباء المشهورين ( ١ )**

**وعد أبو حيان من بين أساتذته ثلاثا من النساء هن: "مؤنسة الأيوبية" بنت الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي، "وشامية التيمية"، و"زينب بنت المؤرخ الرحالة عبد اللطيف البغدادي" صاحب كتاب "الإفادة والاعتبار" ( ٢ )**

---

(١) نقلا من المساواة في الإسلام للأستاذ علي عبد الواحد وافي ص ٣٢ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام ج ٢ ص ٢٧٣، ٢٧٤ .

## المبحث الثالث تكريم الإنسان بإنزال المنهج الصحيح " الإسلام "

لم يترك الله تعالى الإنسان يعيش بعقله، ويتبع هواه، وإنما أنزل له المنهج الذي يعيش به في الدنيا، ويسعد به في الآخرة .

إن الإنسان مخلوق محدد بما يحيط به من عوامل مادية، وثقافية، ومذهبية، وبيئية، ولا يمكنه تصور أو معرفة ما وراء هذه الحدود على وجه الدقة، ... ولذلك كانت رحمة الله تعالى بالإنسان أن أنزل له الرسل في كل الأمم لتوضيح الطريق أمامهم من خلال المنهج الذي دعواهم إليه .

وختم الله تعالى الرسل والأديان ببعثة النبي ﷺ التي أوحى الله ﷻ إليه بها المنهج الذي يجب السير عليه في كل زمان ومكان، ووسط جميع الناس .

إن منهج الله تعالى هو دين الإسلام الذي أنزله الخالق العليم بما يصلح خلقه، فهو سبحانه خلق فسوى، وقدر فهدى، ومنذ وجود الإنسان خلق الله له غذاء جسده، وعقله، وروحه، ويسر له الوجود كله ليستفيد بعناصره، وسخر له الليل والنهار، والشمس والقمر، والماء والهواء، والحيوان والطيور، والزرع والفاكهة، وأمره بالسعي في جنبات الأرض، وأفاق الفضاء، ومعادن الجبال، وألزمه بمنهج الله تعالى فهو المنعم العظيم .

والناظر في الإسلام يرى فيه التيسير، حيث العقيدة السهلة المتفقة مع مرئيات العقل السوي، والشريعة الصالحة، والخلق الكريم في كل نشاط وعمل ومن روعة التكريم بالإسلام أن الإسلام يتكون من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، وهذه العناصر الرئيسية في الإسلام تتوافق مع عناصر الإنسان .

فعقل الإنسان يفهم، ويتصور، ويعلم، وهذا تناسبه العقيدة .

وجسد الإنسان طعام، وشراب، ونكاح، وميراث، وطلاق وهذا تناسبه الشريعة .

وروح الإنسان رقة، وإحساس وسمو وهذه تناسبها الأخلاق .  
وقد جاءت أحكام الإسلام خالية من الحرج، مراعية للمصلحة، صانعة الخير كله للإنسان على نحو فيه السعي والإيمان وحب الله ﷻ ورسوله ﷺ .  
إن الله تعالى خبير بأحوال عباده، رحيم بهم، ولذلك رفع عنهم الضيق، ولم يوقعهم في مشقة، وأخلى التكاليف من أي شقاء جسدي، أو عناء عقلي يضرهم ، وبسيء لحياتهم .

ومن رحمة الله تعالى أن الإنسان إذا أصيب بمرض، أو لحق به ضعف يجعل السهل أمامه صعبا يجد الرخص الشرعية التي تريحه من هذه الصعوبة الطارئة، مثل قصر الصلاة في السفر، وفطر الحائض والنفساء في رمضان، والقعود في الصلاة وغير ذلك من الرخص التي يشرعها الإسلام للناس، ويحب من عباده إتقانها كما قال النبي ﷺ : ( إن الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ) (١) .

وبالرخص يتأكد التخفيف الذي نزلت به الشريعة في مراعاتها لقدرات الإنسان، وطاقته، ومن هذا التخفيف قوله تعالى : ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٢) .

إن الله تعالى أنزل الإسلام وسطا للناس حتى لا يميل إلى جانب المغالاة

(١) صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، حديث : ٣٥٥

(٢) سورة الأنفال الآية : ٦٦ .

في التكليف ... أو إلى جانب الإفراط فيه، لأن المغالاة عنت وعناء ومشقة، والإفراط تحلل وإهمال .

**وما اختلاف بعض الأحكام الشرعية للرجل أو المرأة إلا مراعاة لطاقة كل منهما، ليستمر اليسر في التكليف كلها، ويحس الرجال والنساء بما في لإسلام من يسر ودقة ....**

**وهنا ملاحظة لا بد من ذكرها ، وهي أن التيسير لا يعني إلغاء المشاق بالكلية ، لأن هذا يقتضي إلغاء التكليف الشرعية، إن الإسلام نظم الحياة ، وأمر الإنسان بالسعي والعمل، والزواج، والتناسل، وتعمير الأرض، وتنمية المعاش، وهذا في حد ذاته تعب ومشقة، ولا بد من نزول المنهج الذي يضبط للإنسان حياته، ومعاملاته مع الله ﷻ، ومع الناس، وفي نشاطه كله .**

**ونزل المنهج الإلهي بالتكاليف الشرعية وفيها بعض المشقة التي تتحول بالعادة والديمومة إلى يسر وسهولة حين تتضح مقاصدها، وتظهر آثارها .**

**إن في طلب المعاش مشقة إلا أنها تتحول إلى مهنة ، وعادة يسميها العقلاء سعياً ونشاطاً ، ويسمون القاعد عن العمل كسولاً ومهملاً .**

**والعبادات فيها مشقة إلا أنها تسهل، وتكون محببة حينما يدرك المكلف أنها حق لله تعالى يجب أداؤها، وأنها تحقق لمؤديها الخير في الدنيا والآخرة، وعنها يقول الله تعالى :**

- ﴿ إِنِ اتَّصَلْتُمْ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١)

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴿ (١) .

- ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾ ﴿ (٢) .

ويقول النبي ﷺ : ( من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم

ولدتها أمه ) (٣) .

ولذا كان مقصد الإسلام من التكاليف جلب المصالح، ودرء المفسد ،  
ويجب أداؤها على الوجه الذي أمر الله تعالى به، وتحمل ما فيه من مشقة،  
مثل مشقة البرد أثناء الوضوء ، ومشقة الصوم مع شدة الحر ، ومشقة السفر  
في رحلة الحج .

ولا تعارض بين هذه المشاق في التكاليف مع يسر الإسلام، لأن الإسلام  
يعني دينونة العبد لله، وخضوعه له سبحانه ، واستمرارية الطاعة والانقياد ،  
والخضوع الدائم لحكم الملك العظيم ، إذ لا بد للملك من حكم وسيطرة ،  
ولابد للعبيد من خضوع وامتنال ، ... وهذا هو الذي قصده الإسلام حين  
جعل التكاليف الشرعية وسيلة لتحقيق هذا المقصد، ولا وجود للغاية ما لم  
تتبع الوسيلة المناسبة لها .

والتكاليف الشرعية تتضمن المشقة المعتادة لحكمة أرادها الشارع وهي  
التمحيص، والاختبار، وإظهار الواقع الذي علمه الله تعالى منذ الأزل، وحتى  
يظهر صدق العبد خلال أدائه للتكاليف، والعمل بها، وقد رتب الله تعالى

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٣ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور - حديث : ١٤٥٩

عليها الجزاء ، فقال تعالى : ﴿ وَوَأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)  
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) .

وشرع الله تعالى للإنسان أن يتصل بغيره، ويتعاون معه، ليستفيد بال مخلوقات التي سخرها الله تعالى له، لأن الفرد لا يستطيع وحده الاستفادة بها، ولا بد له من غيره ليتمكن الجميع من الوصول لما في المخلوقات من فوائد، ولذلك قرر العلماء من خلال مرئياتهم مدنية الإنسان وحاجته إلى التواصل، والتعاون، والتناصر .

إن عظمة الإسلام تكمن في مراعاة أحكامه للفروق الفردية بين الأنواع المختلفة، وبين أفراد النوع الواحد، وتظهر واقعيته في تنوع الأحكام الشرعية المناسبة للناس، ففي الناس العلماء والعامة، وفيهم السليم والمريض، وفيهم الرجال والنساء، وخير للناس التواصل وسط هذا الاختلاف الواقعي كما قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٣) .

ولم يسلم خصوم الإسلام من هوى عقولهم ، فعملوا على تأليف مناهج لحياتهم، واتهموا ما جاء الإسلام به في سوفسطائية واضحة ، فهم يجعلون ضعف المسلمين، وخيبتهم دليلا على ضعف تعاليم الإسلام، مع أنهم هم الذين ضيعوا المسلمين، وسلبوا منهم الخير كله ، ... ولم يسألوا أنفسهم عن

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٦ .

(٢) سورة محمد الآية : ٢ .

(٣) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

سبب تعدد المناهج في كل أوطانهم، واستبدالهم بها غيرها في كل فترة ، واكتشاف خطأ ما كانوا عليه، ولم يتوقفوا عن التغيير مرة واحدة، وإنما هم ينتقلون من خطأ إلى خطأ إلى خطأ بسبب أن مناهجهم من بنات عقولهم .  
**لقد انتهت الشيوعية** بعد أن ضيقت أما عدة، وكانت حين وجودها شيوعيات عدة، ولكل مجموعة مذهب يدعو إلى الاتصال والتعاون لتحقيق سعادة البشرية .

**وتخلفت الدول العربية** بسبب تركها لمنهج الله في الحكم، والإدارة، وكافة شئونها، وصارت محتاجة لغيرها في كل شيء، ولم تستفد بخيرات الله تعالى التي وضعها في بلادهم، وصاروا نهمة الأقوياء، ولعبة العابثين، وسهل على الخصوم اتهامهم بالإرهاب والعدوان، وساد فيهم الفجور، وسوء الأخلاق .

**وفي العالم غير الإسلامي** اليوم يوجد في كل جماعة اليمين واليسار ، والوسط، ويسار اليمين، ويمين اليسار بلا ثبات لواحدة منها ، وبلا إقرار بصلاحية جانب على غيره .

**إن منهج الإسلام واحد** لم يتغير، ومصادره ثابتة كما نزلت ، وقد طبقها المسلمون، وأكدوا صلاحيتها، ولم يقعوا في الهوان إلا بعد تبعيتهم لخصومهم **لو كان الخصوم صادقين** لتركوا الدعوة الإسلامية تتحرك ولواجهوها بما لديهم من مرئيات مزعومة، ولوضحوا اعتراضهم بما لديهم من حجج، لأن الفكر يرد بمثله، والحق يزهد الباطل بهدوء .... إلا أنهم يحاربون الدعوة

بالعنف، ومثالهم في ذلك فرعون حينما قال للسحرة حينما آمنوا بالحق :  
﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (١) .

إنهم يمنعون حركة الدعوة، وينشرون المزاعم والأباطيل ، ويصدون  
الناس عن دين الله تعالى لخوفهم من ظهور الحق، وبقاء الصواب .  
إن الإسلام كرم الإنسان بالمنهج الإلهي الثابت، وأصلح به كافة  
شئونه، ونشر العدل والمساواة بين الناس أجمعين، ودعاهم إلى التواصل  
الإنساني والتعاون البناء، والمحافظة على الحقوق والواجبات .

والأمر يحتاج من كل مسلم إلى الصدق مع الله تعالى ، والإخلاص في  
الطاعة ، والتمسك بمنهج الله تعالى في العقيدة والشريعة ، والتخلق بكارم  
الأخلاق، فهي دينهم الذي آمنوا به، وعاهدوا الله تعالى على الالتزام به في  
الدنيا ليسعدوا به في الآخرة .

إن الإسلام مجموعة من المعارف القابلة للفهم، والتطبيق ، وهي شاملة  
لكل جزئية في الحياة للأفراد والجماعات، ولذا كان من الضروري العلم بها ،  
ومعرفة كيفية تطبيقها، والعمل بها، وإلغاء ما عداها تنفيذاً لمنهج الله ﷻ  
الذي آمن به ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا  
مُؤْتِنًا ﴿٣٦﴾﴾ (٢) .

والأولى بالإنسان أن يحافظ على فطرته، ويحافظ على إنسانيته، ويحافظ  
على حقوق الآخرين، ويتواصل معهم بخلق كريم، وأدب رفيع .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

## المبحث الرابع التكريم بالخلافة في الأرض

خلق الله تعالى الإنسان مكرماً من اللحظة الأولى، وأوجد مع الرجل زوجته، وربط بينهما بميثاق روحي غليظ، فأخرج المرأة من الرجل، وأمرهما بدخول الجنة، فقال تعالى: ﴿يَقَادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (١)، ووقع منهما في الجنة ما كان سبباً لخروجهما منها كما قدر الله تعالى لهما، وأودع الله في الإنسان ما يؤهله للخلافة فقد خلق له عقلاً يدرك، ويعلم.

ومن تكريم الله تعالى للإنسان أن أعز شأنه أمام الملائكة، وأمام إبليس، وأبرز هذا الموقف العظيم وسط هذا الجمع، فبين تميز الإنسان بالعلم، والطاعة، والعبودية، وأمر الملائكة بأن تسجد لآدم عليه السلام، وتسعى معه بأمر الله تعالى، وأظهر موقف إبليس وذريته من آدم وبنيه.

في هذا الموقف تحدد دور أصحاب العقل من المخلوقات، وبدأت حركة الحياة الدنيا بعد أن خرج آدم عليه السلام وزوجته من الجنة، وفيها الأدميون يعملون ويكدحون، وفيها إبليس وبنوه يغيرون، ويفسدون، وفيها الملائكة يحفظون ويتعاقبون، ويعينون.

لقد قدر الله للإنسان أن يكون عبداً في الأرض يعمل فيها بحواسه، وجوارحه، ويملاً الوجود بعلمه، وفكره، ويسير المخلوقات بعقله، ويطبق منهج الله تعالى في المخلوقات، ويقوم حكم الله تعالى في حياة الناس.

واختار الله عز وجل الإنسان ليكون خليفته في الأرض، وأنزل له الدين ليحكم الكون بأمر الله تعالى، ويعمل على إعلاء كلمة الله عز وجل ويستعد لليوم الآخر إن الإبداع في خلق الإنسان لا مثيل له في سائر المخلوقات، فقد ركبته

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٥.

الله تعالى تركيباً يسمو به عن الخلائق كلها، وجعل فيه العقل المدرك، وسخر له الكائنات، وجعله سيد الكون، وخليفته في الأرض، ولحكمة أرادها الله تعالى فصل قصة وجوده دون سواه، وأنزل هذه القصة في الكتب المنزلة للتعريف بسائر الكائنات في الأرض، ومهام كل منها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (١)، وليتضح الطريق الذي اختاره الله تعالى، فمن البداية كانت القيادة لآدم عليه السلام ، وهو الرجل، ومعه زوجته حواء، ومنهما كان اتحاد المشاعر، وتوضيح الأدوار، وتقدير المسؤولية في إطار منهج الله تعالى، وكانت الملائكة عوناً للإنسان، ونصييراً له، وكان إبليس وبنوه للإفساد والغواية، وحتى يبقى هذا المعنى في أفهام جميع الناس نسبهم الله تعالى إلى أبيهم آدم عليه السلام ، فقال عليه السلام : ( كلكم لآدم ) (٢) ، وأخذ يناديهم وهو يشرع لهم بقوله تعالى: ﴿ يَبْنَئِ آدَمَ ﴾ (٣)، وبذلك يعرف كل إنسان نسبه، ويتذكر إكرام الله تعالى له، ويعرف دوره في العبودية ، وطاعة الله تعالى .

**والعاقل من الناس هو من يؤمن بالله تعالى، ويأخذ من وجوده دليلاً يوصله** الله رب العالمين، ويقارن ذاته بالشجر أو بالحيوان ، أو بالهوام، ويسأل نفسه عن سر هذا التغاير في الخلق ، وسبب منحه العقل، وإرسال الرسل، وتحمل المسؤولية، وسبب اختياره خليفة يسود الخلائق، ويقودهم الله تعالى .

**وقد مكن الله تعالى للإنسان من الخلافة، وأعطاه الأسباب التي تعينه،** وتساعد، وشرع له المنهج الذي يسلكه، ووضح له النظم التي يعيش بها .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٣١ .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي - فصل ، حديث : ٤٩٠١

(٣) سورة الأعراف الآية : ٢٦ .

إن الخليفة في أرض الله تعالى يجد معه المنهج المستقيم، والأمة الصالحة، ويعلم ضرورة توجيه الحياة كلها لله رب العالمين .

إن الإنسان الذي هداه الله تعالى للإيمان يشعر بعبوديته في مملكة الله تعالى، ويتمسك بدوره في إخراج الأمة الصالحة، ويرى أن تعاليم الله تعالى هي المصدر الوحيد للتلقي، وأن الرسول ﷺ استقبل الدين كله ، وبلغه للناس كاملا تماما، وعلى ذلك فالحلال يبقى حلالا لا يتغير، والحرام يبقى حراما دائما أبدا، وتبقى الأمة مسلمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

ويخلص الإنسان المسلم في الطاعة الخالصة ، فقد جاءه الإسلام من مصدر معصوم من الخطأ، ومقتضى العصمة يقتضي الاستمرار والدوام. ويرى الإنسان المسلم أن إلهه هو الإله الحق المتصف بكل كمال يليق به، فهو العليم الخبير، العزيز الحكيم ، ملك الدنيا والآخرة ، وهو على كل شيء قدير ، وهو الرحمن الرحيم .

ويرى الإنسان المسلم أن الدنيا مقدمة الآخرة ، وأن الموت حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، ولذلك فهم يعملون للنعيم المقيم، يقول ﷺ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٥﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (١) . إن المسلم يعيش في إطار الخلافة الرشيدة، ويتمتع بالحرية، والكرامة، والعزة، ويسعد بعبوديته لربه، ويعمل للقائه في جنات النعيم .

أن الرجل المسلم والمرأة المسلمة يجب أن يتمتعا بكرم الله تعالى البادي في جعلهما مسلمين، وأن يشكرا الله تعالى على ذلك، ويستقيما على شرعه ونظمه، ويلتزما بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، ويصليا على النبي ﷺ الذي

---

(١) سورة النازعات الآيتين ٤٠، ٤١ .

بلغهم الإسلام، وحببهم في دين الله تعالى، ويكونا عضوين عاملين في أمة الإسلام الخيرة .

يقول الله تعالى :

- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴿ (١)

- ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧٧﴾ فَضَلَّآ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴿ (٢)

- ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴿ (٣) .

إن الله تعالى كرم الإنسان في دولة الإسلام، وأعلى قدره بالإيمان، وأمره بالدعوة إلى الله تعالى، وحببه في الصالحات الباقيات، وفضله على كثير من المخلوقات، ويظهر هذا التكريم حين نقف على ما كان عليه الناس في الأمم غير الإسلامية، حيث العنصرية الطاغية، والطبقية المقبحة، والفرق المتنازعة، والحروب الحادة بلا سبب، والظلم المتكاثر، والجهل الشامل في معرفة الله تعالى، وضياع الحقوق، وغياب الواجبات .

لقد كان حكم العالم قبل الإسلام سيئا لقيامه على الطغيان، والاستعباد،

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات الآيتين : ٧ ، ٨ .

(٣) سورة الحجرات الآية : ١٧ .

وإهانة الضعفاء، فأنكر حقوق المرأة، وعاملها كخادم للرجل، ومتاع يباع ويشترى، ولم يكن للضعيف حق في الوجود، وكان الإنسان جزء من الأرض يملكه الإقطاعيون، والكهنة، وأدعياء الدين .

### والخلاصة :

إن تكليف الإنسان بخلافة الله تعالى في الأرض ليقوم فيها الإسلام كما نزل من عند الله تعالى تكريم جلي للإنسان رجلا كان أو امرأة .

## **الفصل الثاني**

**إهانة النظم الوضعية للمرأة**

**قديما وحديثا**



## إهانة النظم الوضعية للمرأة قديما وحديثا

تقديم :

كانت المرأة قبل الإسلام تعيش وضعا سيئا في كل الأمم، ومع كل البشر، فقد عدها الرجال كما مهملا، وحرموها من كافة حقوقها، ورأوها مجرد منجبة لأولادهم، وموطنا لإشباع شهواتهم، ولم يجعلوا لها أهلية ولا كرامة .  
واستمر هذا الحال السيئ إلى أن جاء الإسلام ، ونزل الوحي الكريم ، فنجي المرأة من آلامها، وساواها بالرجل، وأكرمهما معا، وأكد لهما أن ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (١)، فأمنت المرأة بدين الله تعالى ، وصارت عضوا فاعلا في المجتمع ، ورأت ما في الإسلام من عناية بها ، وبخاصة حين راعى في بعض تشريعاته طبيعتها، وقدرتها.

ويأتي خصوم الإسلام اليوم ويزعمون إساءة الإسلام للمرأة مستدلين ببعض الأحكام الشرعية التي خص الله بها الرجل أو المرأة متجاهلين أن هذا التخصيص تكريم للمرأة ، ورعاية لمصلحتها وأنوثتها .  
إن خصوم الإسلام يتخذون من المرأة قضية يسيئون بها للإسلام، بزعمهم أن الإسلام أهان المرأة، وضيع حقوقها، ولم يسوها بالرجل، ونادوا ببعض المفاهيم، ورأوها تكريما للمرأة، وتسوية لها بالرجل، كالحرية المطلقة في الاختلاط، والعمل، والتملك، وعملوا على ضرورة مساواة المرأة للرجل في كل شيء، وهم في ذلك كاذبون في حكمهم الذي بنوه على أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في شيء .

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٥ .

وركز الخصوم على قضية المرأة لأهميتها في المجتمع، فهي أنيسة الرجل، ومنجبة الولد، ومربية الأجيال، وتأثيرها في الحياة كبير وخطير. **والحق ليس مع الخصوم، لأن الفروق الفردية بين الرجل والمرأة موجودة ومعلومة لكل عاقل، ولا بد من تناسب الحكم مع الواقع .** **وقد كرم الإسلام المرأة حينما راعى هذه الفروق، وشرع لكل واقع حياتي الحكم الذي يناسبه .**

**وحتى يتضح فضل الإسلام على الناس، وتكريمه للمرأة يجدر بالبحث أن يعرف حال المرأة، ووضعها قبل مجيء الإسلام، وفي العصر الحديث الذي ينادي فيه خصوم الإسلام بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، لأن هذا التعريف الواقعي يوضح النقلة الكبيرة التي شرعها الإسلام للمرأة، فقد راعى مزاياها، وخصائصها، وساواها بالرجل في المبادئ الإنسانية العامة، وحقق أهليتها، وحدد حقوقها، وواجباتها، أما، وبناتنا، وأختنا، وزوجة، وصار ذلك دينا يلتزم به الرجال والنساء جميعا إلى يوم القيامة.**

### **ولهذا**

**سأبين في هذا الفصل - بإذن الله تعالى - ما كانت عليه المرأة قبل الإسلام، وما صارت عليه في النظم الوضعية البعيدة عن أحكام الله تعالى، وأواجه الخصوم بفساد ما يدعون من أكاذيب، وذلك في المباحث التالية : -**

## المبحث الأول وضع المرأة قبل الإسلام

لم تضع الأمم والجماعات قبل الإسلام قانونا ثابتا للمرأة، فمع أنها أم الرجل، وزوجته، وبنته، وشريكته في تربية الأولاد لم تحظ بما تستحقه من حقوق، ... وكان حالها يختلف من بيئة لبيئة، ومن جماعة لأخرى، إلا أن إهانة المرأة كان أمر ساد الأمم كلها قبل الإسلام.

**ففي العرب وعند الأمم الآخر** حرمت المرأة من الميراث الذي جعلوه للذكر فقط، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حين توفي أوس بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وترك زوجته أم كحة رضي الله عنها، وثلاث بنات لها منه، وأوصى سويد، وعرفجة على زوجته وبناته، فأخذ أخواه المال كله، ولم يعطيا زوجة أوس وبناته شيئا من التركة كعادة العرب، لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الذكور الصغار، ويقولون : لا يأخذ المال إلا من قاتل على ظهر الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف ، وحاز على الغنيمة، ...

فجاءت أم كحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرت له ذلك ، فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوصيين وسألهما، فقالا له: يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ، ولا يحمل كلا، ولا ينكأ عدوا.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنصرفا حتى أنظر ما يحدث الله فيهن، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْوَلِيَّةَ بِالطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٥ ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء الآية : ٢ .

وعن عكرمة رضي الله عنها أن الآية ( نزلت في أم كحة، وابنة كحة وثعلبية، وأوس بن سويد، وهم من الأنصار، كان أحدهم زوجها، والآخر عم ولدها .  
فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورث .

فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرسا ، ولا تحمل كلا ، ولا تتكأ عدوا يكسب عليها، ولا تكتسب. فنزلت : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۗ ﴾ (١) (٢) .

وتمثل إجابة الوصي ما ثبت عند العرب قبل الإسلام من أن الميراث لا يحصل عليه إلا من قاتل، وكانوا يخصون به الرجل المقاتل، ويفضلون الأكبر فالأكبر .

ومع عموم قاعدة عدم توريث المرأة عند العرب لم يمنع ذلك أن تأخذ المرأة شيئاً من مال الميت بلا قدر محدد، حتى ظهر منهم ثريات يملكن المال، ويستعملنه في الهدية، والنفقة، والتجارة،... مثل السيدة خديجة رضي الله عنها ، وكان هذا الاستثناء في بعض القبائل فقط .

ولم تكن الأمم الأخرى أفضل من العرب في ميراث المرأة ، فقد جاء في شريعة حمورابي " ليس للمرأة إلا المهر يدفعه الأب لابنته، فإن مات قبل أن يمهرها أمهرها أخواتها من ربع ما ترك أبوهن من مال منقول، أما العين فهي لهن خاصة (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية : ٧ .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة النساء القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ

مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ ۗ ﴾ - حديث : ٧٩٠٧

(٣) النظم الاجتماعية والسياسية للإنسان محمد جمعة ص ١٧١ .

وكانت المرأة العبرية لا ترث إن كان لها أخ ذكر، لأنه يحجبها، فإن ورثت لعدم وجود الأخ الذكر لزمها أن تتزوج رجلا من قبيلة أبيها حتى لا يخرج المال بعيدا عن قبيلة أبيها ولا ينتقل إلى قبيلة أخرى، وإذا مات الزوج لا ترثه لأنها جزء من تركته، وكانت تورث مع تركته (١) .

وكان عماد الأسرة اليهودية قبل ظهور الإسلام هو الرجل بصفة عامة، ولهذا لا حظ للمرأة في شريعة اليهود في الميراث سواء كانت أما، أو زوجة، أو بنتا، أو أختا عند وجود أبن، أو أب، أو رجل قريب كالأخ، والعم، وما يتفرع منهما بشرط أن يكون ذكرا (٢) .

وعند اليونان كانت البنت لا ترث عند وجود إخوة لها، فإن لم يوجد لها إخوة تتزوج أكبر الورثة، ويأخذ كل التركة، وبذلك تستمر صلة البنت بالتركة من غير أن تنال منها شيئا (٣) .

ولم ترث المرأة الحبشية إلا إذا لم يوجد ورثة من الذكور إلى الدرجة السادسة (٤)

وأجاز الرومان للمرأة أن ترث من أبيها بشرط أن يتول مالها بعد وفاتها إلى إختها أو غيرهم من عصابات عائلتها، ولا يرثها زوجها أو أبنائها حتى لا يتول المال إلى عائلة أخرى(٥)، لأن الزوج والأبناء حينئذ من قبيلة أخرى

---

(١) المرأة في التاريخ والشرائع للأستاذ، محمد جميل مبهم ص ٧٤ .

(٢) الميراث عند العرب، واليهود و الرومان للدكتور محمد يوسف موسى ص ٣٨ .

(٣) المرأة في التاريخ والشرائع ص ٧٤ .

(٤) مقدمة الحضارة جوستاف ليون ص ٩٩ .

(٥) التركة و الميراث في الإسلام ص ٥١، ٥٢ .

وكان قداماء المصريين يساؤون بين الذكر والأنثى في النصيب المعطى من الميراث ، وكانوا يورثون الأم ، والزوجة، والأخوات، والعمات (١) .  
وكان الكلدانيون والسريانيون ، والفينيقيون، يحرمون الأطفال والنساء من الميراث، مثل قبائل العرب قبل الإسلام (٢) .

هذا بالنسبة لحق المرأة في الميراث أما حقوقها الأخرى فقد ضيعتها الحضارات والنظم التي وجدت قبل الإسلام ، ... ولم يكن من حقها أن تملك المال، والتصرف فيه، ولها أن تعمل، وتكسب، وتتاجر تحت رعاية أقرب الرجال لها، ولا تتصرف إلا بإذنهم، وقد تحقق لبعض النسوة هذا الحق دون البعض الآخر مثل السيدة خديجة رضي الله عنها ، فقد كان لها من المكانة بين قومها ما أتاح لها الملكية، والتصرف فيما تملك بسبب ما تميزت به من حصافة الرأي، وقوة الشخصية، وحسن التصرف والتقدير، وهذا حال خول لها ما لم يخوله للكثيرات من النساء .

ومثل خديجة رضي الله عنها كانت أسماء بنت نخرية أم عبد الله بن أبي ربيعة، كانت تجلب العطر من اليمن وتبيعه في المدينة بأجل (٣) .  
وكانت منشى عطارة يأتي إليها العرب ، ويغمسون أيديهم في عطرها، ويتحالفون أن يستमितوا في الحرب (٤) .

---

(١) الإصلاح المنشود للأسرة لدكتور الشرباصي حسنين ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٣) الإصابة ج ٨ ص ١٠

(٤) الإصابة ج ٨ ص ١٩١

إن حق الملكية للمرأة قبل الإسلام لم يكن حقا عاما وإنما كان خاصا ببعض القبائل لأن من يمنع المرأة من الميراث ويجعلها متاعا يورث جدير أن يمنعها من التملك، والتصرف فيما تملك .

ووصل الأمر بالمرأة قبل الإسلام أن جعلوها جزءا من التركة ، يزوجونها رجلا من الورثة، أو يعضلونها ويحرمونها من الزواج، فلما جاء الإسلام نهاهم عن ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلوهنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءَاتِيْهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ﴾ (١) قال : " كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها ، وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك ) (٢) .

وعنه رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلوهنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءَاتِيْهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ﴾ قال: " كان الرجل إذا مات وترك جارية ، ألقى عليها حميه ثوبه، فمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت ، فيرثها ) (٣)

وعن زيد بن أسلم قال في قوله تعالى: هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلوهنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءَاتِيْهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ﴾

(١) سورة النساء الآية : ١٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ ، حديث : ٤٣١٢

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة النساء، القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ

أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ - حديث : ٨١٢١

أَنْ يَأْتِينَ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ ﴿١﴾ كان أهل يثرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله، فكان يعضلها حتى يتزوجها ، أو يزوجه من أراد ، وكان أهل تهامة يسيئ الرجل صحبة المرأة حتى يطلقها، ويشترط عليها ألا تنكح إلا من أراد حتى تفتدي منه ببعض ما أعطاها ، فنهى الله المؤمنين عن ذلك (١) .

وعن أبي مالك قال : ( كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها جاء وليه ، فألقى عليها ثوبا ، فإن كان له ابن صغير أو أخ حبسها حتى تشيب أو تموت ، فيرثها ، فإن هي انفلتت فأتت أهلها ولم يلق عليها ثوبا نجت فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ (٢) .

وكان العبرانيون، والبابليون، والأشيريون، والساميون يعتبرون المرأة جزءا من المتاع تورث كما يورث المال، بل إن اليهود كانوا يوجبون على أخ الزوج أن يتزوج زوجة أخيه المتوفي، فإذا لم يفعل خلعت المرأة نعله، أمام الناس، وبصقت في وجهه، وكانوا يسمونه لذلك "مخلوع النعل"، وتصير المرأة بعد خلع النعل حرة تتزوج ممن تشاء (٣) .

وكان الرجل في الجاهلية يتزوج امرأة أبيه مثل عمرو بن أمية الذي تزوج امرأة أبيه بعد موته فولدت له مسافرا ، وأبا معيط .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - سورة النساء، قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ ، حديث رقم ٥٠٧٥ :

(٢) تفسير ابن أبي حاتم - سورة النساء، قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ - حديث : ٥٠٧٣

(٣) المرأة في التاريخ والشرائع ص ٤٨ .

وخلف أخوه صفوان بن أمية أباه في امرأته فاحتة بنت الأسود (١) ،  
وكثير غيرهما فعلوا ذلك .

وكان من عادة الأمم قبل الإسلام الجمع بين الأختين في وقت واحد،  
ففي الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كان أهل الجاهلية يحرمون  
ما يحرم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين " ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا  
تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً  
وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢) و ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ (٣)

وكان العبرانيون يجمعون بين الأختين كما جمع يعقوب بن إسحاق بنتي  
خاله ليا، وراحيل، وأنجبنا له .

وكان الناس يومئذ يفعلون ذلك إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام ،  
وأنزل التوراة (٤) ، وحرّم الله ﷻ عليهم الجمع بين الأختين .

وقد شاع في الأمم السابقة أن يتزوج الرجل ابنته، أو ابنة أخيه، أو  
زوجة أبيه بعد وفاته .

ولعل أعجب ما فعله الناس قبل الإسلام من إهانة للمرأة هو جعلها  
موطن الشهوة، ومحل قضاء الوطر بلا ضابط خلقي، وبلا مراعاة لإنسانيتها

---

(١) المرأة في التاريخ والشرائع ص ٤٨ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٢ ، ٢٣

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة النساء القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا

مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾ - حديث : ٨١٧٢

(٤) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦٣

فقد أوجدوا طرقا عدة للنكاح، وأجازوا ألوانا كثيرة منه لتحقيق المتعة، واللذة، والتوالد بلا خلق ولا دين ...

من هذه الأنكحة " نكاح الاستبضاع"، وفيه يختار الزوج رجلا غيره يرى فيه النجابة، ويدفع إليه امرأته بعدما تطهر من طمثها لتحمل منه، ولا يمسه أبدا حتى يتبين حملها من هذا الرجل الذي يأمل الزوج في أن تتجب زوجته ولدا يشبهه، ينسبه إليه .

وهذا النكاح كان شائعا في الأمم الأخرى فأفلاطون نادى به، وذهب إلى شيوعية المرأة بين الرجال ، على أن يكون المولود ملكاً للدولة (١) .

"وليكورغ" مشرع اسبرطة أباح شيوع النساء، وسمح للمرأة أن تبيع نفسها لصاحبها بإذن زوجها مدة معينة، وأباح للزوج أن يدفع زوجته لتستبضع من رجل آخر على أن يكون الولد له، ومثل ذلك كانت شريعة " سيلون " ، وشريعة " قانر" .

وأجاز الهنود للرجل العقيم أن يستولد امرأته من رجل آخر (٢)

وأجاز الألمان القدماء للرجل العاجز عن المعاشرة الزوجية أن يحمل زوجته على ظهره وينقلها إلى رجل آخر لتلد منه (٣)

ومن الأنكحة التي وجدت قبل الإسلام " نكاح البغايا" ، ومعناه : إعلان المرأة غير المتزوجة رغبتها في الزنى بمن يرغب من الرجال، فإذا ولدت اختارت من بين الزناة رجلا تنسب الولد له .

---

(١) جمهورية أفلاطون ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق

(٣) الأمومة عند العرب

وكانت **البغي** ترفع على باب دارها علما أحمر اللون ليأتيها من يريد وطأها، لأن رفع العلم إذن بالدخول لمن يرغب في الزنا .  
ومن هذه **الأنكحة " نكاح المتعة "**، ومعناه معاشرة المرأة رجلا تختاره، وتعيش معه مدة معينة بلا عقد، على أن يفترقا بعد انتهاء المدة بلا طلاق ، وبلا حقوق، ولهما أن يجددا المدة، أو يتزكها مفتوحة .  
ومن هذه **الأنكحة " نكاح الشغار "**، وهو أن يتزوج الولي مولية غيره على أن يزوجه الآخر موليته، وبضع كل منهما مهر للأخرى .  
ومن هذه **الأنكحة نكاح " الخدن "** ومعناه أن يتخذ الرجل امرأة يأتيها بلا زواج كلما أراد، أو كلما أرادت، وكانوا يفضلون هذا عن الزنى، لاتفاقهم عليه بلا عقد، أو مهر، أو نفقة، وبلا تبعات تترتب عليه .  
**والفرق بين هذا النكاح ونكاح البغايا أن البغي تستجيب لأي رجل يأتيها، أما الخدن فإنها تكون لرجل واحد فقط تتفق معه .**  
**والفرق بينه وبين نكاح المتعة أن نكاح المتعة تكون في مدة متصلة، أما نكاح الخدن فيتم في أوقات متقطعة .**  
ومن هذه **الأنكحة " نكاح البدل "** ، وهو أن يتنازل الرجل عن زوجته لصاحبه في مقابل تنازل صاحبه له عن زوجته ليتمتع كل من الرجلين بزوجة صاحبه ، ويعاشرها كزوجها مرة، أو عددا من المرات، وتعود لزوجها بعد ذلك (١) .

وهذه **النكاحات** كانت تتم بلا عقد ولا مهر، فهي سفاح يتم برضا الطرفين " على أنه ظهرت في الجاهلية أيضا نكاحات أخرى بغير رضا المرأة ،

---

(١) المرأة في التاريخ والشرائع ص ٤٩ .

أو وليها وهي **نكاح السبي**، أو **نكاح الخطف**، .... وهذه النكاحات كانت شائعة عند العرب في الجاهلية، لأن القبيلة كانت إذا غزت قبيلة أخرى سبت نساءها، ونهبت أموالها، وأسرت رجالها، واتخذت من رجالها عبيدا، ومن النساء سراري وإماء، وبهذا تكون المرأة المسبية سلعة في يد الرجل الذي أضحت المسبية من نصيبه يحل له الاستمتاع بها بحق الغزو، كما أن له أن يبيعها إذا لم يجد أحدا من قومها يفتديها (١) .

**وهذه الأنكحة في جملتها كانت شائعة في العرب وعند غيرهم، مما يدل على أن المرأة عاشت مهينة في الأمم كلها، يتخذها الرجل متعة، ومتاعا بلا حق لها، وبلا أدنى قدر من الاحترام والتكريم .**  
**ووصلت المهانة إلى أن جعل الرجال لأنفسهم طعاما خاصا بهم لا تأكله المرأة .**

**ويصور القرآن الكريم ذلك فيقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا فَمَنْ أَتَىٰ فِيهَا غُلُوبًا فَأُولَٰئِكَ فَتَنًا مِّنَّا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ وَإِنَّهُمْ فِيهَا لَمَكْرُوهٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢) ، والآية تشير إلى ما كان الجاهليون يفعلونه مع النساء، فيشربون اللبن دونهم ، وكانت الشياه إذا ولدت ذكرانا يذبحونها للرجال، وإن ولدت إناثا لا تذبح، وإن ولدت ميتة فهم فيها سواء .**

**ولعل ما يوضح المدى الكبير في إهانة المرأة كراهيتها الشديدة، والرغبة في عدم وجودها، لأنهم رأوا فيها العار، والضعف، والفقر، وكان الواحد منهم**

(١) المرأة في القرآن : د / عبد السلام التونجي، ص ٣١ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٣٩ .

يصيبه الحزن والألم إذا أتت زوجته بأنثى، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ۗ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١) .

وتشير الآيات إلى ما كان يصيب الزوج حينما تخبره زوجته أنها أتت بأنثى، فلقد كان وجهه يسود حزنا وأسى على سوء ما أتاه ، ويستمر على حزنه وألمه الذي يعبر عنه اسوداد وجهه مدة طويلة، ويظهر عليه الغضب والأسى، ويتوارى عن الناس بسبب ما هو فيه ، ويسأل نفسه عما يفعل في العار الذي لحق به بسبب المولودة الأنثى، ....

وهل يستمر في الخزي والعار الذي أتاه مع مولدته ولا يئدها ؟ ....  
أم يأخذ البنت ويضعها في حفرة ، ويحيل عليها التراب وهي حية،  
ويتزكها حتى تموت ؟ ...

وأغلب العرب كان يختار الواد لينجو من العار، والفقير، والضعف الذي يراه في البنت، لأنها تحتاج للنفقة ولا تقدر على الكسب، ولا تستطيع القتال وركوب الخيل.

وكان الرجل العربي لا يدخل داره حين تلد زوجته أنثى ، ويهرب عند الجيران ، فقد فعل أبو حمزة ذلك ، وأخذت امرأته تهتف به وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا      يظل في البيت الذي يلينا  
غضبان أن لا نلد البنينا      تالله ما ذلك بأيدينا  
وإنما نأخذ ما أعطينا      ونحن كالأرض لزارعينا  
ننبت ما قد زرعه فينا

---

(١) سورة النحل الآيتين ٥٨ ، ٥٩ .

**وسبب هذا الانحطاط الخلقى يكمن في نظرتهم إلى المرأة، وبعدهم عن دين سماوي، فلقد أرسل الله تعالى رسله إلى جميع الأمم، ودعا جميع الناس إلى العدل، والكرامة، والعزة، إلا أن أبالسة الأرض عملوا على إشاعة الفساد بين الناس، وتمكنوا من ذلك إلى حد بعيد، وأهانوا المرأة، ووضعوها في حال لا يليق بها وسار أغلب البشر في ضلال الشياطين، ولم يكرم المرأة إلا عدد قليل، وهم الذين أكرموا المرأة في كل أمة ، وبقي ذكرهم في أحداث ما قبل الإسلام .**

## المبحث الثاني المرأة في النظم الفريية الحديثة

لم تعش المرأة طويلا في كرامة الإسلام، ولم تتمتع بما شرع الله لها في دينه، وبخاصة في الأمم التي بقيت بعيدة عن الإسلام، ورضيت بنظم وضعها البشر .

تصور علماء الغرب بعد عصور الظلام في أوربا أن العلوم التجريبية مكنتهم من معرفة النظم الصحيحة التي وضعوها للنهوض بالإنسان في بلادهم، وأسسوا علوما تجريبية قائمة على التحليل المادي للنفس، وبيان ما فيها من صراع، ورأوا ما في الكائنات من تطور، وأنكروا كل ما هو غائب عن الحواس .

وظهرت علوم إنسانية عديدة بعيدة عن الدين، ومعارضة للفكر الكنسي، منها علوم النفس، والاجتماع، والتطور، والشيعوية، والوجودية، وكلها علوم تجريبية مادية أوصلتهم إلى نتائج عقلية عقيمة، ولذلك سمو بـ"العلمانية" لأن نظمهم أساسها التأمل العقلي في الوجود المادي الذي يوصل لمناهج ونظم مستنبطة من العالم المحسوس، وادعوا أنها نظم قائمة على العلم التجريبي، وصالحة للعالم كله .

وسبب تحمس علماء الغرب للعلوم التجريبية رفضهم للنظم الكنسية التي جعلت من البابا ورجال الدين المسيحي آلهة في الأرض، لا يرد لهم قول، فهم معصومون يتصرفون في ملكية الدنيا بما فيها من إنسان، وحيوان، وعقار، ويتصرفون في الآخرة بإدخال من يريدون الجنة، وتعذيب من يشاءون بالنار .

ثار العلماء والمصلحون في أوروبا على أخطاء الكنيسة، ورجال الدين ، وتمكنوا من أن يستبدلوا بأراء الكنيسة العلوم الوضعية التي أقاموها على أفكار مادية، وضلالات عقلية فأساءوا إلى الكنيسة، وإلى الإنسان، وإلى الرجل، وإلى المرأة .

وظهرت نظرية التطور الذي ذهب فيها " داروين " إلى أن أصل الإنسان خلية واحدة وجدت في جرثومة، ثم تطورت في صور شتى لكائنات حية مثل الدودة ، والفراشة ، والضفدعة إلى أن صارت قردا تطور إلى إنسان ، ... ومع أن هذه النظرية بدأت بالجهل لأنها لم تعرف موجد الحياة في الخلية الأولى، وصَدَّقَ صاحبها نفسه وسمى نظريته بـ " النشوء والارتقاء " ، ولم يخجل من توقف تطوره بعد الوصول للإنسان ، ولا ندري الصورة التي سيصل التطور إليها، لأن التطور لم يحدث على الإنسان منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وإلى اليوم، حيث آدم هو آدم، وحواء هي حواء، ... ولن يظهر فيهما تطور قط ، لأن النظرية أكذوبة مردودة .

وظهرت كذلك " نظرية التحليل النفسي ، وفيها يرى " فرويد " أن الإنسان بصورة مطلقة يولد وله ميول نفسية جنسية تربطه بغيره ، حيث نجد ميلا في الذكر إلى الأنثى ، وميلا عند الأنثى للرجل، ويفسر فرويد بذلك حب البنت لأبيها ، والتصاق الذكر بثدي أمه، .. ويشتط فرويد في آرائه إلى حد بعيد، وينادي بضرورة إشباع هذا الميل الفطري منذ الصغر ، حتى لا يحدث كبت وعقد تؤثر في العمل، والفهم، والسلوك .

ومن هذه النظريات كانت الشيوعية التي نادى بها الفلاسفة الألمان ، ونسبت إلى "ماركس" الذي حولها مع صديقه " لينين " إلى نظام مطبق في روسيا، وفيها نادوا بشيوع المرأة ، والمال، لأنهما في نظر أصحاب النظرية

سبب الصراع بين البشر، وعمل التابعون لماركس بنظريته إلا أنهم فشلوا فشلا ذريعا .

ومن هذه النظريات المادية " النظرية الوضعية لأوجست كونت"، الذي نادى بضرورة أخذ الحقيقة من الواقع المادي، لأنه الطريق الوحيد للمعرفة، ووصل " كونت " في غلوه إلى اختراع دين جديد سماه " دين الإنسانية" وفيه تعبد المرأة لجمالها ورقتها .

إن العلوم التجريبية نشأت في أحضان هذه النظريات التي عارضت الكنيسة وأنكرت الدين، واتهمته بالرجعية الفكرية، وتخدير عقول الناس، وأنكرت الوحي بالكلية، وعاملت الأديان كلها بهذه النظرية، ولم تفرق بين الحق منها والباطل، وجعلوا الإسلام كالنصرانية مع أنهم لم يؤمنوا به، ولم يعلموا تعاليمه، ودفعهم التعصب إلى إنكار كل دين، ومن دلالة تعصبهم أنهم أنكروا تعاليم الكنيسة، ورفضوها، وأبقوا عليها ستارا يستظلون بها، وقيمون معها ساعة في الأسبوع يأكلون، ويشربون، ويلعبون بلا نسك ولا عبادة .

وكان لهذه العلوم أثر كبير في أفساد الحياة الاجتماعية لأنها أنكرت الوحي بالكلية، وأبعدت الخالق عن مخلوقاته، فأساءت إلى الإنسان عامة وإلى المرأة بصورة خاصة .

اتخذ العلماء التجريبيون الإسلام عدوا لهم، وعملوا على إيجاد أسباب يعيبونه بها، فزعموا - كاذبين - أن الإسلام أساء للمرأة، وضيع حقوقها، وأفقدتها الحرية الأهلية، وجعلها متعة الرجل وخادمتها .

وحتى يزخرفوا آراءهم للمرأة زعموا أن الإسلام لم يسو بين المرأة والرجل، وأهانها بأحكامه، وفضل الرجل على المرأة في مواقف عديدة .

إن خصوم الإسلام في الشرق والغرب ينادون في الظاهر بمساواة المرأة بالرجل، إلا أنهم استغلوا المرأة استغلال سيئاً، وجعلوها سلوى شهواتهم، وموطن إشباع غرائزهم، وغطوا سوءهم بدعوى الرقي بها، وتحريرها من ظلم الإسلام، وشريعته، ... وهذا شأنهم في الكذب والخداع، فلقد كان الحاكم الانجليزي في مصر يسمي نفسه أمام المصريين " الخادم المطيع "، وسموا التخريب " استعماراً"، والتتصير " تبشيراً " .

**يقول الشيخ مصطفى صبري:** من ينظر إلى هذه الصيحات عند الغرب يحسب أن أهله يعبدون المرأة، ويجلونها عن الحد المعروف، ومن هذه الأكاذيب المشاعة يعتبرون المرأة المسلمة منكودة الحظ، ... لكن الحقيقة أن الغربيين يعبدون هوى أنفسهم، وما إجلال الرجل للمرأة، وتقديمه إياها إلا نوع من الضحك على ذقنها لمخادعتها، وجعلها أداة اللهو واللعب، حتى أن اشتراكها في أعمال الرجال الذي هو معدود من فوزها وانتصارها ما هو إلا قيامها بأعباء الحياة القاسية (١) .

**ومن إساءاتهم للمرأة نجد ما يلي :-**

**أولاً :** قرروا حرمتها المطلقة في الاختلاط بالرجال طوال حياتها ابتداء من نشأتها الأولى إلى أن تنتهي من الدنيا، وأعطوها الحق في السفر وحدها مع الرجال، والحياة معهم بحرية تامة .

**ثانياً :** أعطوا المرأة الحرية المطلقة في اختيار العمل الذي تريده، فإن رغبت في الجيش انضمت إليه، وإن أرادت أن تعمل في منجم فلها ذلك، في بلدها، أو في أي مكان ترغبه .

---

(١) ماذا عن المرأة ص ٢٠ .

**ثالثاً : ساووا المرأة بالرجل بصورة مطلقة في تملك المال، فهي شريكته في الميراث ، وفي الأجرة ، وفي العائد المالي الذي يعود عليها من العمل، وتوجب عليها ما توجبه على الرجل .**

**رابعاً : قرروا حرية المرأة في اختيار الصديق الذي تعيش معه ، وتكون له صديقة إن أرادت ، وحين تريد تركه تتركه بلا آثار لهذه الصداقة طال أم قصرت .**

**خامساً : أنكروا وجود ولي من الرجال يلي أمر المرأة، ولو كان أباه، أو أخاه، أو أحد عصبتها .**

**بهذه المواقف مع المرأة الغربية زاملت الرجل في العمل، والسفر، وكافة الأنشطة بلا قيد أخلاقي أو عملي .**

**وقد ترتب على هذا مفسد عديدة منها : -**

**١- إهمال الغرائز الفطرية لدى المرأة، والسكوت عن الواقع المزري الذي لحق بها بسبب هذا، لأن الله تعالى خلق الإنسان من ذكر وأنثى ، وأوجد في طبيعة كل منهما ميلا للآخر ، وهذا أمر فطري لا ينكره أحد ، ولذلك إذا اجتمع رجل وامرأة وحدهما في مكان واحد لعب الشيطان برأسيهما ، ويسر لهما اللقاء الحميم ، وزينه لهما. وقد أدى هذا الاختلاط الذي سمحوا به للمرأة إلى مفسد عديدة، وأخذت المرأة تغرق في التزين، وإظهار مفاتن جسدها عند لقاء الرجل، ولم يعد ستر الجسد باللباس موجودا، وإنما اتخذ اللباس صورا شتى، تعري أكثر مما تستر، وتثير الشهوات أكثر من أن تنتشر العفة، ....**

وقد ضيع الفكر الغربي بهذه الحرية أنوثة المرأة، وحرمها من فطرتها، حتى صارت سلعة تعرض جمالها، ومفاتها لإشباع الرجال. ونسيت المرأة رسالتها الأولى في إنجاب الأولاد، وتكثير أبناء الأمة، وإذا ولدت تسلم ولدها للخادمات، ولدور رعاية الأطفال، وغيرهم ... ومع حرية المرأة في العمل، والسفر أشبعت فطرتها الأنثوية بطرق محرمة، ونشرت الفحشاء في مجتمع الشباب، وضيعت الخلق الكريم، والعادات الجميلة من حياة الناس.

ولجا التجار ومحبو الكسب إلى استغلال جمال المرأة، وجسدها، واتخذوا منها أداة يصلون بها إلى قلوب الزبائن، وترويج السلع. لقد اتخذت الحضارة الحديثة مفاتن المرأة، وأبرزتها في كل مجال، وبخاصة في مجال الفن الحسي المثير لغريزة الجنس البشري، والصور والإعلانات التجارية التي تعتمد على أجساد الفاتنات ... نجد القائمين على أمر الفن يحرصون على انتقاء أجمل النساء، وإظهارهن بثياب كاشفة، والتركيز على مناط الشهوة كالأعين النجلاء، والسيقان العارية الممشوقة، والدلال في المشي والحركة، والميوعة في الحديث والكلام لجلب أكبر عدد من الجمهور المهتم برؤية الجمال العاري، ومشاهدة الأنثى في مواقفها الفاجرة .... ولذلك يركزون في أفلامهم ومسارحهم على قصص الهوى المحرم، ووسائل العشق الملتهب، وصور الخيانات الزوجية، والعبث بحرمة الأسر والبيوت . ترى الإعلانات المعلقة في الطرقات قائمة على عنصر نسائي تتفجر فيه الأنوثة الملتهبة، والنظرات الأخاذة، والثياب الكاشفة

إن الحضارة الحديثة التي تتنادي بمساواة الرجل بالمرأة قدمت المرأة في حفلات الرقص وهي شبه عارية في الملاهي، والأندية، والحفلات، وليالي الغناء، ومسابقات الرشاقة والجمال، وتجعل ذلك من الحرية .  
إن كثيرا من نساء الشرق انجرفن إلى مسار المرأة في الغرب باسم التحضر، والحرية، ورضيت لنفسها أن تتكسب بجسدها، وهي تتلوى، وتتمايل ، ... ومن العجب أن العلماء في الغرب يجعلون ذلك من حرية المرأة .

إن الغريزة الجنسية عند الرجل والمرأة أمر فطري ينشط بالاستماع والنظر، واللمس، والخلوة، ... إلى جانب الإفرازات التي تنتجها الغدد التناسلية التي تنمي الحاجة الجنسية إلى الطرف الآخر .  
وعند التقاء الذكر بالأنثى وسط الإثارة الجنسية الموجودة يحاول كل طرف إشباع الجنس لديه بالتحرش مع الطرف الآخر، فإن تيسر له الإشباع لجأ إليه، ورحب به، وأقبل عليه، وهو ما يسرته الحضارة الحديثة بإطلاق الحريات في العمل، والسفر، والاختلاط، وأثناء الرحلات الخلوية، والوجود في النادي، وأنشطة الشباب المتنوعة، وفي غير ذلك من الأماكن، وإذا لم يتيسر له هذا الإشباع لجأ إلى العادة السرية، والاحتلام راضيا بما يصيبه من أمراض.  
والواقع خير شاهد على فساد إعطاء المرأة الحرية المطلقة في العمل والكسب، والاختلاط، لأنه يؤكد أن حرية المرأة بمفهومها الغربي انتكاسة بالمرأة ، وإهانة لكرامتها، ومسخ لأنوثتها، وحيويتها .

وقد أورد صاحب كتاب " تربية الأولاد في الإسلام " أهم المساوئ التي تعيشها المرأة بسبب الاختلاط في العالم الغربي، فقال : (١)

- نقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد رقم ٦٥٠ ما يلي :-
- الفصائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام .
- وقال عميد الجامعة " إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسيا رهيباً، ولا شك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة " .
- ومما ذكرته الجريدة كذلك : " ودلت الإحصائيات في العام الماضي على أن ١٢٠ ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية، لا تزيد أعمارهن عن العشرين ، وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات ..."
- ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية " مرغريا سنيث" حديثاً قالت فيه : " إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة، وإن أكثر من ٦٠ % من الطالبات سقطن في الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى إنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن ، وحتى مستقبلهن ، ... وأن ١٠ % منهن فقط ما زلن محافظات ..."
- وذكر " جورج بالوشي" في كتابه " الثورة الجنسية " ما يلي :
- " وفي سنة ١٩٦٢ صرح كنيدي" بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ج ١ ص ٢٧٧ .

شبابها مائع منحل، غارق في الشهوات ، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفست لياقتهم الطبية، والنفسية .

- وفي سنة ١٩٦٢ صرح " خروشوف " - كما صرح كنيدي- بأن مستقبل روسيا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها، لأنه مائع، منحل، غارق في الشهوات " .

• ويقول " ديل ديوارنت" في كتابه " مباهج الفلسفة " :

- إننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أقلقنا بال "سقراط" نعني كيف نهتدي إلى أخلاق طبيعية ؟ ... إننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن " .

- " واختراع موانع الحمل وذبوعها هو السبب المباشر في تغيير أخلاقنا ، فقد كان القانون الأخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج ، ... لأن النكاح يؤدي إلى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسؤول عن ولده إلا بطريق الزواج ، .... أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية ، وبين التناسل ، وخلفت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين الناس والرجال أخذت في التغير نتيجة هذا العامل .... " .

- " ... ومن المخجل أن نرضى بوجود صور نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذابح الإباحية ، وهي تعرض علينا في المسارح، وكتب الأدب المكشوف ، تلك التي تحاول كسب

المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من  
حصن الزواج، ورعايته للصحة .

- " .... فكل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن  
يتسكنن في ابتدال ظاهر ، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في  
هذه الفترة من التأجيل نظاما دوليا مجهزا بأحدث التحسينات ،  
ومنظما بأسمى ضروب الإدارة العلمية ، ويبدو أن العالم قد ابتدع  
كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها " .

- " وأكبر الظن أن هذا التجدد في الإقبال على اللذة قد تعاون أكثر  
مما نظن مع هجوم "دارون" على المعتقدات الدينية ، وحين اكتشف  
الشبان والفتيات أن الدين يشهر بملاذهم التمسوا في العلم ألف سبب  
وسبب للتشهير بالدين ....." .

- " ... ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة الجنسية ، وأن تضعف  
القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة  
التي كانت فضيلة موضعا للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان  
يضي على الجمال جمالا، ويفاخر الرجال بتعدد خطاياهم ، وتكالب  
النساء بحقهن في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع  
الرجال ، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرا مألوفا ، وتختفي البغايا -  
أي الزانيات بأجر - من الشوارع بمنافسة الهاويات - أي الزانيات  
بدافع الهوى - لا برقابة البوليس ... " (١) .

- ويذكر الدكتور أدِيث هوكر " في كتابه القوانين الجنسية " : أنه ليس

---

(١) الجزء الأول من كتاب " مباحج الفلسفة " : ص ٦ : ١٣٤ ، نقلا من كتاب تربية الأولاد في الإسلام

من الغريب الشاذ في الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثماني سنين يخادن الصبية ، وربما تلوثت معهم بالفاحشة ... ، وذكر أمثلة كثيرة على دعواه.

- ومما نشرته الصحف البريطانية أن مدرسة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرس لمجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عمليا ، وقد شوهدت وهي تخلع ثيابها قطعة قطعة أمام طلابها،... وهكذا حتى انتهت من عمليتها الإباحية الفاجرة !! .
- ونشرت صحيفة " الشرق الأوسط " اللندنية في عددها الصادر ١٥ / ٧ / ١٩٧٩ أن ٧٥ % من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوروبا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها، وقد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أي انفصام !! .
- أما العلاقات قبل الزواج فإن ٨٠ : ٨٥ % من الرجال البالغين لهم خليلات، وأن لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط، .... وأن ما بقي من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم خاصة فهم ينتقلون من امرأة لأخرى إشباعا لغرائزهم ووطرهم !! . (١)

٢- إن إعطاء المرأة حرية الاختلاط في السكن، والسفر، والعمل أفقد كلا من الرجل والمرأة حب السكن للآخر، فرأوا في الصداقة، والصحبة غناء عن الزواج، وفضلوا التشرذ الجنسي على الاستقرار الأسري، فقل النسل، وكثر المشردون، وأبناء الملاجيء، ولذلك قال

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ج ١ ص ٢٨١، ٢٨٢ ..

- القائد الفرنسي المارشال " بيتان " للفرنسيين : زنوا خطاياكم - بني قومي - إن خطاياكم ثقيلة ، إنكم لا تريدوا أطفالا، وهجرتم حياة الأسرة، ونبذتم الفضيلة، وكل المثل الروحية، وانطلقتم إلى الشهوات تطلبونها في كل مكان، فانظروا إلى أي مصير قادتكم الشهوات (١)
- ٣- صرفت هذه الحرية الرجل والمرأة عن الزواج لما في الزواج من قيود عليهما، ولأن المعاشرة الحميمة قبل الزواج تولد عدم الثقة بين الرجل والمرأة، ويرى كل منهما أن الطرف الآخر سوف يخونه مع صديق آخر، أو صديقة أخرى .
- ٤- إعطاء المرأة حرية مطلقة في اختيار العمل كالرجل تماما حرم المرأة من خلقتها الناعمة، وأفقدتها أنوثتها، وأبعدها عن طبيعتها التي تميل إلى الرقة، والدلال، والتحلي مع أنها لا تتحمل المشاق ، وتحب الراحة والتنعيم، وتكره الأعمال الشاقة كالحدادة، والبناء، والقتال ...
- ٥- مساواة المرأة في التملك بالرجل يجعلها منافسة للرجل، فبدلا من وجود مودة ورحمة بينهما من خلال زواج شرعي يتولى الرجل فيه القوامة يتحول الأمر إلى صراع وتسابق، واختلاف تتحول المرأة فيه إلى منافس شرس للرجل تفقد به حنانها، ورسالتها التي وجدت لها، وهذا يضيع المجتمع، ويهمل الرجل، ويضع المرأة في صورة يائسة.
- ٦- وفي حرية المرأة في اختيار الصديق مأساة وقعت فيها المرأة ، لأن الصداقة لا يترتب عليها حقوق، وتتحول إلى فترة للإشباع الجنسي، والتلذذ العاطفي تنتهي بإرادة أحدهما .

---

(١) ماذا عن المرأة للدكتور نور الدين عتر ص ٣٩ .

إن إعطاء الحرية المطلقة للمرأة في الاختلاط، والتملك، والعمل، واختيار الأصدقاء أدى إلى ظهور أعمال عديدة شاذة مثل، نوادي العراة، والزواج المثلي، وتبادل الأزواج، وأبناء الشوارع، ومسابقات العري، وملكات الجمال، ولم تجد المرأة غضاضة في إعلان رغبتها في ولد بلا زوج، وفتن الرجال بأنوثة المرأة، وجمال الأجساد، وفتنت المرأة بفحولة الرجل، وعضلاته، وقوته، ... وأخذت المرأة تعيش حياة الرجل بعيدا عن طبيعتها، ومزاجها، فلم تعش بأنوثتها كامرأة، ولا بد لها من مواجهة الرجل، ولن تكون رجلا بحريتها المطلقة.

ووسط هذه الحرية المزعومة أشبع الرجل فتنته بالمرأة التي يراها معه في عمله، ورحلاته، ونواديته، وبشاهدها في الإعلانات المنشورة والمعلقة، .... وأشبعت المرأة فتنتها بالرجل التي تزامله في حله وترحاله .

لقد أدت النظريات الوضعية في العصر الحديث إلى إهانة المرأة، وتحويلها إلى متعة للرجل، وسلعة للتجار، وشهوة للخبثاء، فقد وضعوها في غير طبيعتها، فنفرت من تكوين أسرة، ورضيت أن تكون صديقة لرجل تشبع معه غريزتها بالحرية التي قررها لها هؤلاء الخبثاء .

وقد أثبت الواقع الحياتي في بلاد الغرب حاجته إلى نسل للعمل، وخدمة الوطن، ووجد ضالته في الترحيب بالمهاجرين الغرباء بعد أن تقاعس بنوه عن الواجب، وقل عددهم بسبب تحديد النسل، وقلة الزواج .

ومع هذا الضياع في النظم الوضعية اتهموا الإسلام بإهانة المرأة، وحاولوا استخراج أدلة لهم من شريعة الإسلام، وهم واهمون فكل ما جاء الإسلام به فخر للمسلمين، وتكريم للرجال والنساء .

إن الإسلام كرم المرأة وساواها بالرجل، وراعى الخصائص الفطرية التي

أودعها الله تعالى فيها، وكلفها بما يناسبها، وبما تستطيعه، وأحاطها بعوامل العفة، والطهر، والنظافة، وجعلها أمل الرجل، وموطن سعادته، وشرع له السعي إليها والزواج بها، وتكوين أسرة طيبة، فيها السكن، والحنان، والمودة، وفي جنباتها يولد الولد، وينشأ، ويتربى، وتقوى به الأمة .

**إن الإسلام يراعي الواقع الفطري للرجل والمرأة، ويشرع لهذا الواقع ، ويحقق لعناصره الكرامة والعزة والأمان.**

**يقول الأستاذ سعيد حوى :** إن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا في أعضائها ، وبشرتها ، وخلاياها، وعضلاتها، ولا يمكنها تحمل العمل كما يتحمله الرجل، فهي تحيض، والرجل لا يحيض، وتفقد دما كثيرا أثناء الحيض والولادة، والرجل ليس كذلك، وإذا حملت المرأة فإن جنينها يبقى في بطنها مدة طويلة تعيش خلالها مع الوهن والضعف، فكيف تتساوى قوتها في العمل مع قوة الرجل (١)

**إن المرأة تلد طفلها ، ويظهر رزقه في ثديها ، وتتعلق به ، وتحرص على سلامته، وإرضاعه هذا اللبن الذي يفيض من صدرها، ومن قدرة الله تعالى أن جعل الولد محتاجا لأمه مدة طويلة بسبب استمرار حاجته للرضاعة حولين كاملين .**

**إن صغار الحيوانات تستغني عن أمها بعد مدة قصيرة، فتقوم بالرضاعة، والوقوف، والجري بعد ولادتها مباشرة ، وتمشي وتبحث عن طعامها بعد مدة قصيرة أيضا،.... أما الولد فإنه يخرج من بطن أمه ، ويبقى ضعيفا مدة طويلة يحتاج لها خلالها، وهذا إضعاف لها، ووهن لا بد أن تتحمله.**

---

(١) الإسلام للأستاذ / سعيد حوى ج ٢ ص ١٩ .

إن الرجل يقوم بإلقاء البذرة، ويتحمل مسئولية السعي، والكسب، ليتمكن من الإنفاق على زوجته وولدها ، ويقوم بدوره في المحافظة على أسرته .  
إن الله تعالى فطر المرأة على حب جنينها ولولا هذه الفطرة في الأمهات ما رضيت امرأة بتربية ولد .

### والخلاصة

إن المرأة المعاصرة لم تأخذ حقها من النظم الوضعية، ولم تتساوى بالرجل، وبقيت على الصورة الجاهلية وإن تغيرت ملامحها، وفلسفتها.

### وهنا

نذكر فضل الإسلام على الرجل والمرأة معا، فلقد كرمهما، وشرع لكل منهما ما يصلحه، وراعى الفروق الفطرية التي خلق الله تعالى بها كل منهما، وساوى بينهما في المبادئ العامة، والأساسيات الكلية، ورعاية الفروق الفطرية.

ويا ليت الناس يعلمون الحقيقة على وجهها الصحيح .

وهذا ما سوف نبينه- بإذن الله تعالى - في الفصول التالية من خلال تحليل كل قضية، وبيان ما فيها من تكريم للمرأة.



## **الفصل الثالث**

**الواقع الفطري للإنسان**

**والفروق بين الرجل والمرأة**



## الواقع الفطري للإنسان

تقديم :

لم يخلق الله تعالى الكائنات على صورة واحدة، وإنما غاير بين الأنواع، وبين أفراد كل نوع، وأوجد فروقا بين أفراد النوع الواحد ليسهل التكامل والتعاون .

إن تنوع الكائنات يؤدي إلى نمائها بسبب تكونها من ذكر وأنثى، حيث يحقق التنوع التكاثري، والتطور، ... ومن حقائق الواقع أن العامة للعمل والطاعة، وأن الخاصة للقيادة، والرئاسة، وبذلك يعيش الكون في استقامة وعمل، ونشاط، ويتحقق للإنسان سيادة الكون بأمر الله تعالى .

وقد راعى الإسلام ما تتميز به كل المخلوقات من فروق ذاتية، فخصها بأحكام ثلاثتها ، وتمكنها من القيام بما وجب عليها .

إن مراعاة الفروق أيا كان وجودها أمر يحتمه العقل، وتؤكدته الحياة سواء كان الموجود من صناعة الإنسان أو من صناعة الله تعالى ، فالجرار الزراعي يختلف عن سيارة الركوب في العمل، والسعر ، والغاية ، وكلاهما مطلوب في مجاله ، وكل مصنوع له وظيفته ، والإنسان يحتاج إليه ، ... والإنسان صناعة الله تعالى يختلف نوعا، فمنه الرجل، ومنه المرأة ، ولكل منهما خصائصه، واستعداده ، وأحكام الشريعة التي تناسب هذه الخصائص، وما فيها من اختلاف حق وعدل وتسوية في الحقيقة .

وفي هذا الفصل سأوضح أن الله تعالى خلق الكائنات الحية ، وقدر لها التكاثري والنمو بتزاوج الذكر والأنثى، وأبين أهم الفروق بين الرجل والمرأة بصورة مجملية، وذلك في المباحث التالية :-

## المبحث الأول التنوع أساس الوجود

يؤكد العلماء وجود فروق عديدة بين الكائنات الحية جميعا، ففي كل نوع ذكر وأنثى ، وكلاهما له مواصفاته ، وخصائصه، وقد بين العلماء أن النبات، والحيوان، والإنسان يبدأ صغيرا ثم ينمو، ويتدرج حتى يكبر ويشند عوده، ويقوم بما وجد له .

والإنسان من بين الكائنات الحية لا يختلف عنها في نموه ، وتدرجه ، وقد فصلت ذلك في الكتاب الثاني " نظام الإسلام في صناعة الإنسان " .

والواقع يؤكد وجود فروق فردية عديدة بين نوعي الإنسان، ولكل منهما خصائصه، وقد اثبت العلم والواقع أنه كلما زاد عمر كل منهما كبر جسمه ، وتغير شكله، وزاد إدراكه، وتنوعت اتجاهاته، وحاجاته، حتى أنه يمكن القول بتمتع كل فرد بذاتية خاصة به يختلف بها عن كل ما سواه .

فالأفراد ليسوا سواء في الطول، أو الوزن، أو اللون، أو الصحة، أو المرض أو في قيام كل عضو بما هو له ، ...

إنهم ليسوا متساويين في الإدراك والفهم ، وقوة الحفظ، والاستنباط والاستيعاب .

وليسوا متساويين في الميل، والمواهب، والهواية ، وحب العمل .  
وليسوا سواء في المزاج النفسي، وطريقة التعامل مع الغير ، واتجاهات الإثارة والهدوء .

إن لكل فرد رجلا كان أو امرأة شخصية مستقلة تجمع كافة خصائصه، وتعتبر عما يتمتع به من فروق تميزه عن غيره ، فمنهم الشخصية المنبسطة، كثيرة الحديث ، ولديها ميول اجتماعية ، ... ومنهم الشخصية المنطوية التي

تحب الصمت، وتميل للعزلة ، ومنهم الهادئ الذي يغلب العقل ، ولا ينفعل ولا يغضب إلا نادرا ، ومنهم المنفعل الذي يثور لأتفه الأسباب .

إن من الأفراد أناس يحبون مساعدة الغير، وقيادة الجماعة، ولا يرتاحون إلا وسط جماعة يعملون لها ويستعينون بها، ومنهم من يكره الآخرين، ولا يحب المشاركة في العمل، ويشعر بالانفرادية، ويبتعد عن الناس، وقد وضح الإسلام هذه الحقيقة ، فقال تعالى :-

- ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤١ ﴾ (١)
- ﴿ يَتَأَيَّأُ الْنَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣ ﴾ (٢) .
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَلَوَاتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢١ ﴾ (٣) .

ويقول النبي ﷺ : (الناس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) (٤) .

ويقول ﷺ : (كلكم راع ومسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع وهو

---

(١) سورة الليل الآية : ٤ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٣) سورة الروم الآية : ٢٢ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة - حديث : ٤٨٨٠

مسئول عن رعيته ( ١ ) .

والعقلاء الفاهمون يقرون بوجود هذه الفروق ، ويرونها طريقا حسنا لاستمرارية الحياة، وتحقيق التقدم، والسعي نحو الأفضل والأحسن ، فلو كان الناس جميعا علماء لحرم المجتمع من العمال، والخدم، والصناع ، .... ولو كانوا جميعا مزارعين لعدم المجتمع من الأطباء، والمهندسين، ... .

إن هذه الفروق الفردية فضل من الله ﷻ على الناس، يقول الله تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٢) .

ويقول ﷻ : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۗ وَلَا

الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۗ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنتَ

بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۗ ﴾ (٣) .

لقد اقتضت حكمة الله تعالى إيجاد الفروق الفردية بين الناس ، لأنها تدفع إلى الترقى والتطور، وتحقق الأمل والرجاء، وتوحد الجهود المتنوعة في مسار إنساني واحد للمحافظة على الحياة ، والاستفادة بكل الطاقات والمواهب، والميول .

وكان أمرا مسلما نزول الوحي لكافة الحالات الفردية ، وتشريع أحكام

لكل حالة على حدة .

فعن علي عليه السلام قال: ( كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود

ينكت به ، فرفع رأسه فقال : " ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من

(١) صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون ، باب العبد راع في مال سيده، حديث : ٢٣٠٠

(٢) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

(٣) سورة فاطر الآيات من ١٩ : ٢٢ .

## الجنة والنار .

قالوا : يا رسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟

قال : " لا ، اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له " ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ  
وَأْتَقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝  
فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ ﴾ (١) (٢) .

وهذا الحديث يشير إلى تنوع الميول، والقدرات، والاستعدادات الخفية والعقلية لكل فرد ، فكل ميسر لما خلق له ، ويتميز القدرات والميول ، والاستعدادات، وتكاملها يتم صنع الحياة الفاضلة بأمر الله تعالى .

وينادي العلماء والمريون بضرورة مراعاة الفروق الفردية مع كل إنسان، ومعاملته وفق ما تميز به ، ورأوا أن معاملة المريض تختلف عن معاملة السليم ، ومخاطبة العامة تختلف عن معاملة الخاصة ، ورعاية الصغير تختلف عن رعاية الكبير، وواجبات ولي الأمر تختلف عن واجبات سائر الناس ، ولكل إنسان واجب مقرر يقوم به.

وعلماء الشرق والغرب يقرون بهذه الفروق الفردية ، ويتعاملون مع كل فرد بما يناسبه في كافة حاجاته ، ورغباته ، وقد سبقهم الإسلام إلى هذه الحقيقة، فقال تعالى : ﴿ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ۗ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

(١) سورة الليل الآيات من ٥ : ١٠ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه - حديث : ٤٨٩٣

(٣) سورة الصافات الآية : ١٦٤ .

عَلَى الْفَعِيلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ (١) ، وقال ﷺ : (يحاسب الناس على قدر عقولهم) (٢) ، وقال ﷺ : (أنزلوا الناس منازلهم) (٣) .

وقد راعى رسول الله ﷺ هذه الفروق مع أصحابه، فهناك أصحاب الشورى الستة، وهناك العشرة المبشرون بالجنة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الفاروق، وكان أبو بكر رضي الله عنه هو الصديق، وكان خالد بن الوليد هو سيف الله المسلول، وكان أبو عبيدة رضي الله عنه هو أمين الأمة ، وكان أفضى الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأقرأ الصحابة للقرآن أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وكان النبي ﷺ يراعي في توجيهاته حالة من يوجهه، ويدعوه، فقال لأحدهم حين طلب منه النصيحة: ( لا تغضب ) (٤) ، وقال لغيره : ( قل ربي الله ثم استقم ) (٥) ، إن الإسلام يعامل الناس بما يناسبهم، وبما فطروا عليه، ولذلك شرع للمرأة أحكاما في بعض الحالات تناسب فطرتها .  
وقد توصل العلماء المعاصرون إلى هذه الحقيقة، ونادوا بضرورة وضع طريقة تربوية، وعملية لكل فرد على حدة، وهم محقون في ذلك .

وهنا

أسألهم عن سبب عدم تطبيق هذه الحقيقة على الرجل والمرأة ، وبينهما

---

(١) سورة النساء الآية : ٩٥ .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر ، كتاب الأدب، باب العقل وفضله - حديث : ٢٨٢٤

(٣) سنن أبي داود - كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم - حديث : ٤٢٢٣

(٤) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٧٠

(٥) صحيح ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث : ٥٧٧٧ .

فروق عديدة بينة واضحة نشأت مع الفطرة ، ونمت وكبرت مع عوامل التنشئة المختلفة .

إن ما بين الرجل والمرأة من فروق كثيرة، ومتنوعة موجودة في الجسد، والطاقة الحيوية، والعمليات العقلية، والوجدانات النفسية، والرغبات الذاتية المرتبطة بالأحلام والأمني، ومن الضروري مراعاتها عند التعامل، وفي الأحكام، والتكاليف .

إن الله تعالى خلق هذا الوجود، وقدر فيه الحياة، وجعل لكل جزئية مخلوقة غاية تقوم بها في إطار كلي يحقق التكامل، ويقرر المصلحة، ليعيش الإنسان في منهج إلهي عادل، ويتمتع خلاله بزينة الدنيا ، ويقوم بخلافة الله تعالى في هذا الوجود الكبير .

وهذا الاختلاف بين المخلوقات يؤدي إلى تكاملها في حياة واحدة تتحرك، وتعمل، وتشهد بأن الصانع للوجود واحد هو الله تعالى .

وأصبح واضحاً للعقلاء أن الاختلاف الكوني يحقق الكمال الحياتي ، فالليل والنهار مختلفان إلا أنهما يساعدان الإنسان على العمل والسكون، والتعب والراحة، ... والشمس والقمر يتعاقبان، ولكل منهما فائدة للإنسان ، وكذلك الحيوان والنبات، وفي الوديان أنهار ونبات ، وفي الجبال معادن وخيرات ، ومن آيات المخلوقات على وحدة الله تعالى أن كل نوع فيها مكون من ذكر وأنثى ، .... يقول الله تعالى : -

﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة يس الآية : ٣٦ .

- ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

ويقدر الله تعالى بهذا التزاوج تكاثر الأنواع، ونمو الكائنات ، واستمرارية الحياة ، وجعل ذلك آية للناس، بها يعلمون حقائق الوجود، وأسرار الحياة، ويتذكرون فضل الله تعالى ، ويؤمنون به ، ويلتزمون بالإسلام الذي جاءهم من عند الله رب العالمين .

وأي عاقل يرى في كل نوع ذكرا وأنثى ، ويرى تميز كل منهما عن الآخر ، فذكر الحيوان يكون ضخم الجسم، قوي البنية، يقود القطيع، ويغار على أنثاه، ويتصدى لأي خطر تتعرض له ، وذكر الطير له مزاياه ، ووظائفه ، فالديك يؤذن، ويتنفس، ويحمي الصغار مع أنثاه .

إن الذكر عموما يتميز بالجمال، والقوة، والشموخ، فالذكر في النبات يكون أطول وأضخم، وفي الطير يكون أشجع وأسبق، وأضخم، وأقوى، وفي السمك يكون أكثر وزنا، وأشد حركة، وفي الإنسان يكون أقوى، وأجمل، وأدق، وأهدأ إن الرجل لا يجهد نفسه في البحث عن الجمال، والأناقة، والتحلي بالثياب، ولا يقف طويلا أمام المرأة، ولا يقعد حين ملاقة الأعداء، ويسبق المرأة - إن أراد- فيما هو قريب من فطرتها كالطبخ، والحيافة، والرقص، والغناء .

إن الموجودات كلها خلقها الله تعالى من زوجين يتمايز كل منهما عن الآخر في الخلق والصورة ، والوظيفة كما هو ثابت في علم النبات والحيوان، فلا غرابة لوجود هذا التباين بين نوعي الإنسان .

ولا غرابة في وجود تشريع للمرأة في بعض القضايا التي تختلف فيها عن الرجل .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٤٩ .

**ولا غرابة في بعض التشريعات التي تخص الرجل لأنها تناسبه، والتي تخص المرأة لأنها تكرمها، وتصون طبيعتها، وحاجتها .**

**وفي قضية المرأة نجد خصوم الإسلام يأخذون بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة ، ويجعلونها كذبا وزورا متكأ لأغراضهم الخبيثة زاعمين أن الإسلام أهان المرأة ، وحولها إلى متاع للرجل ، يسخرها لخدمته ، ويشبع بها غرائزه، ولم يضع لها حقوقا ثابتة، ويحاولون بهذا الزعم الإساءة إلى الإسلام في هذا المجال الحيوي ليسهل عليهم بعد ذلك الإساءة إلى الإسلام كله .**

**إن المرأة نصف المجتمع ، وهي منشئة الرجال، والسيطرة على مفاهيمها، وعقلها إساءة للمجتمع كله ، فهي أم تربي أولادها، وزوجة يأنس لها زوجها ، و بنت يفرح بها أبواها ، ولذلك جاء الخصوم إليها ، ونسجوا حولها شباكهم ليسيئوا للمجتمع كله، ويفرغوا قلبها من حب الإسلام، والإخلاص لله تعالى .**  
**حاول الخصوم إتقان خصومتهم، وعداوتهم، فقدموا للمرأة صيحات الهوى، ومواطن الفتن، وطرق الغي والضياع ، فنشروا أفلام الحب، وملابس العري، وحرية الاختلاط، ولقاءات الهوى، وسفاهات البذاءة والفحشاء ، وزعموا أن هذه الأعمال هي الحرية التي حرم الإسلام المرأة منها، وتصوروا بذلك أنهم أتقنوا خطتهم بما فعلوا .**

**وهذه الخطة هابطة ساقطة، والرد عليها ضرورة دينية وشرعية إظهارا للحقيقة، ودفاعا عن دين الله تعالى، وإنقاذا للمجتمع، ومحافظة على إسلامية المرأة ، وبياننا لعظمة الإسلام في تكريمه للإنسان رجلا كان أو امرأة ، من خلال التغيرات في أحكام شرعية لأفعالهم التكليفية .**

**إن سبب التغيرات في بعض الأحكام بين الرجل والمرأة هو التغيرات الفطري الذي خلق الله تعالى به كلا منهما .**

## المبحث الثاني الفروق الفطرية الثابتة بين الرجل والمرأة

إن الله تعالى خلق الرجل والمرأة لإيجاد إنسان يخلفه في الأرض، وقدر لهما صفات يشتركان فيها، وأخرى يختلفان فيها .

فهما متفقان في كثير من التصورات، والمشاعر، والغرائز، وفي أساس التكريم الذي قدره الله تعالى لهما، وفي طبيعة الخلق والتكوين، والإدراك العقلي، والتوهج الروحي، فقد سوى الله تعالى بينهما في طبائع الإنسانية العامة، وأودع في خلقتهم نوازع الخير، ودوافع الشر، وأمرهما بإصلاح النفس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ ﴾ (١)، ونزل الوحي لهما، ودعاهما رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وحثهما على إتباع الصراط المستقيم .

ومع ذلك فقد أوجد الله تعالى في الرجل والمرأة فروقا كثيرة تظهر في الجسد، وفي العقل، وفي الوجدان، وهي فروق موجودة في أصل الفطرة، وتتطور مع تطور الإنسان، وتتمو بنموه، وتحتاج إلى التعامل الحكيم المناسب لكل حالة .

وكرم الله تعالى الرجل والمرأة، وراعى ما بينهما من فروق وخص كل حالة بتشريع خاص، رضي به العقلاء، واتخذه الخصوم أدلة على عدم تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة .

إن تكريم الرجل والمرأة يكمن في مراعاة خصائص كل منهما، والتعامل الحسن وفق متطلبات الواقع في كل حالاته وتطوره .

---

(١) سورة الشمس الآيتين ٩، ١٠ .

**فالطفل - ذكرا كان أو أنثى - ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلى أن يصل إلى مرحلة الرشد ، والبلوغ ، ويحسن التعامل معه في كل مرحلة بما يناسبه مع ملاحظة اختلاف الذكر عن الأنثى في كل مرحلة .**

**وقد سبق بيان تكريم الإسلام للإنسان بصورة عامة في الفصل الأول، وبسبب ما يقوله خصوم الإسلام عن حقوق المرأة سآبين بعون الله تتعالى - الخصائص الفطرية التي أودعها الله تعالى في كيان الأنثى لنقف على الحكمة في وضع أحكام شرعية خاصة بها.**

**إن المرأة تختلف عن الرجل في جوانب متعددة، وقد قدر الله تعالى لها هذا الاختلاف لتستمر الحياة، ويكثر النسل، ويسود الحق والعدل، ويأخذ كل فرد حقه في إطار واقعه ، وإمكانياته .**

**واختلاف أحكام الإسلام للمرأة يعد تكريما لها، لأن الله تعالى أودع فيها صفات خاصة تمكنها من القيام بوظيفتها مثل إحاطة زوجها بالحب، والمودة، وحمل ولدها بالصبر والتحمل، وإرضاعه بمنتجات جسدها، وتربيته بحنانها وحرصها ، وخوفها عليه، وجاءت أحكام الإسلام للمرأة تناسب هذه الخصائص، وتنمي فيها رسالتها العظيمة .**

**ولو كلفها الإسلام بأحكام الرجال في هذه الفضائل لكان إهانة لها ، وإضاعة لكرامتها وحريتها .**

**إن خصائص المرأة هي دعامة الأحكام الشرعية التي قدرها الله ﷻ لها، ويمكن بيان خصائص المرأة الفطرية، ومدى اختلافها عن الرجل فيما يلي:-**

## - أولاً -

### الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة

يبدأ الاختلاف الجسدي بين الرجل والمرأة من الجزئية الأولى في التكوين وهي الخلية، حيث أثبت العلماء أن كل خلية في جسم الإنسان تحمل طابعا معيناً يتم التكاثر البدني به على أساس مكونات الخلية الأولى. **فخلية المرأة** تحمل طابعا أنثوياً من البداية، وتفرز مادة كيميائية تساعد أعضاء الجسم على النمو، والتطور، وتؤدي إلى الاختلافات العديدة في الجسد كله، ... **وخلية الذكر** تحمل هي الأخرى طابع الذكورة التي تنمي الجسم على أساس خصائصها.

**إن جسد المرأة** يتميز بدقة البنية، وتناسق العضلات، وحسن الهندام، وشكل الأعضاء، ومواضع الحمل والرضاعة، وليونة الجسد، ونعومة البشرة، وعدم ظهور شعر في الوجه، وتوسع الصدر، وبروز الثدي ... أما **جسد الرجل** فإنه يكون مفتول العضلات، قليل الشحم واللحم، كثير الشعر، وبخاصة في الوجه، حيث الشارب واللحية، كل ذلك بسبب إفرازات الخلايا التي تكاثرت من الخلية الأولى .

**ويختلف وزن جسم المرأة** عن جسم الرجل في كافة المراحل، حيث يزيد وزن الذكور على الإناث عند الولادة بنسبة الضعف، ويظل هذا الفارق واضحاً حتى سن الحادية عشرة، وينقص بالتدريج ليصبح الذكور في حوالي الرابعة عشر أقل وزناً من الإناث بنحو الثمن تقريباً، ثم يستعيد الذكور وزنهم عند الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، وفي العشرين يتفوق وزن الذكور على الإناث بنحو الخمس .

**ومن حيث الطول :** يكون الذكور أطول من الإناث منذ الولادة وحتى سن الحادية عشرة بنسبة قليلة، وفيما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة ينعكس الأمر لتصبح البنات أطول حتى حوالي السابعة عشرة حيث يأخذ طول الذكور في الازدياد، ويستمر إلى سن العشرين ، حيث يزداد نمو الذكور بنحو العشر .

**ومن حيث حجم المخ** فقد اكتشف الأطباء أن متوسط حجم مخ الرجل أكبر قليلا من متوسط حجم مخ الأنثى .

**ومن حيث وزن القلب** اكتشف العلماء أن قلب المرأة أخف وزنا، وأسرع وأكثر نبضا من قلب الرجل .

**ومن حيث مكونات الدم** لاحظ العلماء أن كريات الدم الحمراء عند المرأة أكثر منها عند الرجل .

**واكتشفوا كذلك أن الجزء المتعلق بالعاطفة** في المخ لدى الإناث أكبر، في حين أن الجزء المتعلق بالتفكير أكبر لدى الذكور .

**ومن حيث الطاقة الحيوية :** فإن الذكور أشد وأقوى في طاقاتهم الحيوية عن البنات طوال أعمارهم منذ مولدهم إلى وفاتهم .

**ومن حيث قوة العضلات :** يتفوق الذكور على الإناث في مختلف مراحل العمر ، فمثلا يميل الولد إلى قوة الحركة، والألعاب الخشنة، بينما البنت تحب العروسة، والصورة الجميلة ، ...

**وقوة ضغط اليد اليمنى** عند الولد أقوى من البنت بنسبة العشر، وفي سن السابعة تنمو قوة العضلات عندهما تدريجيا، إلى أن تتوقف عند البنت في السادسة عشرة، بينما تستمر عند الولد حتى سن التاسعة عشرة، ويبلغ معدل التفوق أكثر من النصف، ومثل ذلك يلاحظ في عضلات الظهر، والأرجل .

**ومن حيث البلوغ :** ترجع كثير من الفوارق الجسمية مباشرة إلى عامل النضج، أما البلوغ فإن الإناث تبلغ قبل الذكور بحوالي سنة ، مما ينتج عنه تطورات سريعة لديهن، وتتعرض الفتيات في فترة البلوغ إلى مجهودات عصبية تجعلهن أقل قابلية للعمل، ويمكن أن تحد بعض الشيء من انتباههن العقلي (١) .

ويترتب على الاختلافات الجسدية والعضلية رقة صوت البنات، ونعومته، وانخفاضه وقت الهدوء، وشدته عند الغضب قبل البلوغ وبعده، بخلاف صوت الولد فإنه بعد البلوغ يكون خشنا غليظا .

**كما أن جسم المرأة** يكون أكثر تحملا من جسم الرجل، لدرجة أنه من الممكن أن تحمل المرأة بيدها قدرا ساخنا موضوعا على النار، ولا يستطيع ذلك الرجل، وليس معنى ذلك أن المرأة أقوى من الرجل، فهي أضعف منه، وأعصابها، وصبرها على الأذى أقل منه أيضا إلا أنها تتحمل الآلام أكثر.

**وأیضا فإن المرأة** تحتاج إلى الراحة أكثر من الرجل، وجسد المرأة يصاب بيبأس من الإنجاب بعد سن الأربعين، أو الخمسين على الأكثر، بينما يتمكن الرجل من الإنجاب إلى أن يموت .

**وهذه الفواق البدنية** تكون في الأغلب الأعم بين الرجال والنساء ، وهذا لا يمنع من وجود حالات فردية في الجنسين يختلف فيها هذا الوضع .

**والإسلام يتعامل مع هذه الفروق** بأحكام تناسبها، وتحقق الغاية منها، ولا يترتب عليها تفضيل وتميز، وإنما هي أحكام تكليفية مقررة تحقق التكريم للرجل والمرأة على سواء

---

(١) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة : حفصة أحمد حسن ، ص ١٤ ، ١٥ .

## - ثانياً -

### الفروق العقلية بين المرأة والرجل

العقل في الإنسان هو قوة إدراك الحاضر، وتذكر الماضي، والاستعداد للمستقبل، واختيار المنهج الأفضل للحياة، وهو هبة الله تعالى للإنسان بالقدر الذي قدره الله تعالى لكل فرد على حدة ، ويختلف كل فرد عن غيره في قوته العقلية من خلال اتصاله بالكون والحياة، حيث يوجد العبقرى الفذ، والأبله الغبي، ويوجد أصحاب الرأي والقادة، كما يوجد العامة والسوقة .

**والمجال هنا** بيان الفرق العقلي بين الرجل والمرأة، وبخاصة تلك الفوارق التي تظهر في العمليات العقلية البسيطة التي تظهر في السنوات الأولى للذكور والإناث، وتشير إلى الواقع العقلي لكل منهما.

**نجد الذكور في صغرهم** يدركون الأفكار بمجرد التصور بعيدا عن الأشخاص، أما البنات فإن إدراكهن يرتبط بالصورة والشخص ، وقد يلتقي الولد والبنات بمعلم أو معلمة فيخرج الولد من اللقاء بالمعاني والآراء التي سمعها، بينما البنات تحيط بجمال المعلمة، وزينتها، وهندام الرجل وصورته .. **وأیضا نجد في البنات** ميلا إلى التأمل في المناظر الجمالية ، والصور المنسقة، واللوحات المعلقة في المدرسة والطريق، بينما الولد يميل إلى الحركة ، واللعب بلا نظام وترتيب.

**وتنسى البنات كثيرا** من ذكرياتها بخلاف الولد .

**وتجيد البنات** فهم عمليات التجميل، واختيار التحف الجميلة وليس الرجل كذلك .

" ويؤكد كثير من العلماء وجود فروق كبيرة في النمو اللغوي بين الذكور والإناث، فالإناث يتفوقن وهن في الثالثة ، ثم يلحق بهن الصبيان فيما بين

الثالثة والحادية عشرة، وتستعيد البنت تفوقها بعد الحادية عشرة، وإذا تفرغت البنت للدراسة فإنها تجيد أكثر من الولد.

**وقد لاحظ العلماء** أن البنت في البيئة المحافظة تتفوق على الولد، وتستمر على تفوقها، لأن تربيته أبعدها عن الملهيات الموجودة في البيت، وفي النشاط العام، ولذلك فهي تهتم بدروسها بينما الولد يهتم باللعب والنشاط العام.

**وتؤكد إحدى الدراسات** تفوق الإناث على الذكور مدى الحياة ... إلا أنني لاحظت أن البنت تحافظ على تفوقها حتى المرحلة الجامعية لحرصها على المذاكرة، بينما الولد يتفوق في مرحلة الدراسات العليا حيث الاعتماد على البحث والاستنباط، والوصول للمجهول بواسطة المعلوم .

**وأوضحت دراسة طبية** أجريت حديثاً أن الفوارق اللغوية بين الذكور والإناث ترجع إلى أن هناك فوارق متميزة في التعامل مع الأمور اللغوية من قبل دماغ كل منهما، فالرجل يستخدم الجانب الأيسر فقط في الدماغ للتعامل مع المسائل اللغوية، في حين تستخدم النساء الجانبين ، لذلك فهن أكثر إتقاناً في الأداء في المرحلة الدراسية الأولى.

**كما أظهرت الملاحظات** أن البنت تبدأ في الكلام قبل الذكور مهما كان مستواها العقلي، لأن الكلام مرتبط باللسان، وليس بالقوة العاقلة، وأن البنت في جميع المراحل العمرية تكون نسبة الإصابة باضطرابات الكلام أو التأخر في القراءة أقل من الولد .

**وقد وجد أنه** في مرحلة المراهقة تظهر الإناث تفوقاً على الذكور في اختبارات المهارة اليدوية، والرشاقة، في حين يتفوق الذكور في القدرة

الميكانيكية الحركية (١) ، وسبب ذلك أن البنـت تحصر نشاطها الأثنوي على العمل الجمالي، وإتقان معرفة الأبعاد المكانية في الصورة، وفي جمال الكون، وتركز توجهها الذهني إلى الجانب المهاري المنمق في العمل، ... أما الأولاد فإنهم يتجهون في فترة المراهقة إلى أكثر من عمل، ويفكرون في أكثر من طريق، وينشغلون بأمر عديدة خلال اتصالهم بأقرانهم، وأصدقائهم .

---

(١) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة ، حفصة أحمد حسن ، ص ٦١٦ .

## - ثالثاً -

### الفروق النفسية بين الرجل والمرأة

الجانب النفسي في الإنسان من الجوانب الغامضة التي عجز العلماء عن الوصول لحقيقتها، فهي جزء من الروح لا يعلمها إلا الله تعالى ، واكتفى العلماء ببيان بعض ملاحظاتهم للجوانب النفسية للمرأة ، ومدى اختلافها عن الرجل .

**لأحظ العلماء أن المرأة شديدة العاطفة ، فهي تتعلق بما تحبه ، وترتبط به ، وتبذل كل راحتها ، وتحمل الصعاب معه، وهذا أمر نلمسه من سلوك الأم مع أولادها، حيث نراها سعيدة بالحمل، والولادة، والتربية، والرضاعة مع ما في هذه الأمور من متاعب ومشاق .**

**إن الحكمة الإلهية أودعت في قلب الأم حبا لولدها هون عليها الصعاب، فقد فطرت على غريزة الأمومة، فهي تحبها، وتشتاق إليها، وترغبها، وتشكر الله تعالى أن أشبع غريزة الأمومة لديها بولدها، وأمدتها بأحب الأمناني والرغبات .**

**ولاحظ العلماء أن المرأة تتأثر أكثر من الرجل بالكلمات المنمقة والألفاظ العذبة، بينما الرجل يسرع إلى تفهم المعاني، ولا يقف كثيرا عند جمال الألفاظ ، ولذلك تعيش المرأة طويلا أمام التحف الجميلة، والحذاء البراق، والثوب المنمق، بينما الولد يميل للحصول على غايته وإن كانت خالية من الجمال .**

**ويذهب البعض إلى أن المرأة مع شدة عاطفتها سريعة القلب، فعاطفتها لا تثبت معها طويلا، لأنها لو شعرت بعدم تقديرها العاطفي، ورأت قسوة فيمن تعاطفت معه فإنها تنقلب على ما كانت عليه ، ولا ترضى بالخدعة**

في مواقف أخلصت فيها، ولا تصبر على عدوان يمس كرامتها وإنسانيتها، وتحب أن تنتقم لنفسها بسرعة، إلا أن هذا الانقلاب لا ينفى عاطفة المرأة، وإنما يوضح صدقها، ويشير إلى سرعة انفعالها، وهيجانها إذا جوبهت بما لم تتوقعه .

**وتتغير عواطف المرأة كثيرا بعد تفسيرات عقلية لما ترى، وقد يدفعها هذا التغيير إلى عدم الدقة في تحليل ما ترى، وإلى الحكم المتسرع بما لا يصح الحكم به .**

**إن المرأة لا تتحمل المواقف الصعبة، وتلجأ إلى البكاء، والهرب للتخلص من المواقف المؤلمة التي تعثرها، وتلم بها .**

**وفي الغرب تترك المرأة مجلس التحكيم عند عرض قضية خطيرة، مع أنها عضو في المجلس، لحساسيتها المرهفة، وعدم تحملها للمناظر البشعة المؤلمة .**

**وفي المرأة جرأة في الحديث، وحب للغلبة، والقدرة على اختراع حيل تساعدها على إخفاء ضعفها الفطري، وهي لذلك أكثر كيدا من الرجل، وليس معنى ذلك أن كيدها على سوء دائم، أو أن الرجل خال من الكيد ، فله منه الكثير، ومن الكيد حسن التدبير، ومعرفة التخلص في المواقف الصعبة والمفاجئة .**

**إن كيد المرأة يظهر عند الغيرة ، وهي طبيعة أصيلة في النساء تدفعها إلى كثرة الشكوى، وتدبير الحيل .**

**والرجل يغار أيضا إلا أن غيرته تختلف عن غيرة المرأة ، فغيرة المرأة بسبب زوجة أخرى، أو بسبب ما تراه عند امرأة أخرى من لباس، وزينة، ووجاهة ، وليس لها مثله ، أما غيرة الرجل فهي غيرة على العرض والشرف،**

يظهر فيه عندما يشعر بعدوان عليه.

يقول عنتره العبسي معبرا عن هذه الغيرة :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها  
فعنتره مع فرط شجاعته، وإقدامه يغض طرفه عن جارته، ولا يحب أن  
يرأها، فالرجل يغار على عرضه، وعرض كل من يهمله أمره .  
وتتميز المرأة بالحياء من الأمور المعيبة أكثر من الرجل ، وهو طبع  
لها ينقذها من مساوئ الكيد ، وغلو الغيرة ، وهذا من فضل الله عليها .  
إن الميول الجنسية عند المرأة أشد قوة من الرجل، إلا أن الحياء الذي  
وضعه الله تعالى في فطرتها يمنعها من التبذل، والانحراف .

وصدق رسول الله ﷺ وهو يقول :

- ( الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ) (١) .

- ( استحيوا من الله حق الحياء " .

فقلنا : يا نبي الله إنا لنستحيي .

قال ﷺ : " ليس ذلك، ولكن من استحيى من الله حق الحياء  
فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى،  
ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد استحيى من  
الله حق الحياء ) (٢) .

- ( الحياء لا يأتي إلا بخير ) (٣) .

---

(١) صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق، باب الحياء ، حديث : ٦٠٩

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب الرقاق، حديث : ٧٩٩١

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحياء - حديث : ٥٧٧١

- ( ما كان الحياء في شيء إلا زانه ) (١) .
- وضرب الصحابة رضي الله عنهم لحياء النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بحياء العذراء التي لم تخالط أحداً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ) (٢)
- والمرأة تحب الاجتماع بمثيلاتها، والتحدث معهن فيما يفيد وفيما لا يفيد ولا مانع لديها من الكلام في المسائل الزوجية الخاصة بها .
- أما الرجل فإنه يحب الكد والعمل، ولا يتكلم إلا قليلاً، وفي أمور معينة ، ويكره الحديث في شئون الأسرة والزوجية .
- وتميل المرأة إلى الإثارة وحب الظهور، وإبراز نفسها في صورة أنثوية لامعة، وهي تتباهى بشراء الملابس المصنوعة في بيوت الأزياء العالمية ، واقتناء المجوهرات التي أنتجتها أعظم شركات الزينة ، .... أما الرجل فاهتمامه بهذا الجانب ضعيف.
- إن المرأة في مرحلة ما قبل البلوغ ترغب في العمل، وتحب الاستطلاع، وتتخذ من صديقاتها من تسكن لها، وتتحدث معها عن رغباتها.
- وعندما تبدأ مرحلة التمييز يملكها الحياء، وتخفي أحلامها وأمانيتها عن أباؤها، وتميل إلى تقليد الكبار.
- وبعد البلوغ تشعر بذاتها، وتهتم باللباس والتزين، وتحب الأطفال، وتميل إلى الأعمال المنزلية، وتحب الصغار، وإذا نظرت إلى الألعاب التي تحتفظ بها البنت تراها عروسة من القطن، أو دبا من اللوف، أو غسالة، أو ثلاجة،

---

(١) الأدب المفرد للبخاري - باب الحياء، حديث : ٦١٩

(٢) صحيح البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم - حديث : ٣٣٩٠

أما الولد فإنه يحب اقتناء السيف، والمدفع، والطائرة، والعربة المصفحة، ...  
إن الواقع المشاهد يؤكد اختلاف الرجل عن المرأة في أمور فطرية  
عديدة، ظاهرة في الجسد، والعقل، والوجدان.

يقول الدكتور أحمد حاكي : " إن الاختلاف بين الرجل والمرأة كبير،  
لأن التركيب البدني للمرأة يؤثر في نفسياتها، وعقلها ، والواجب معرفة  
الأساس الطبيعي الذي يقوم عليه كيان الرجل والمرأة ، ولقد برهن الواقع  
والعلم إن الاختلافات الحسية والمعنوية بين الرجل والمرأة نشأت بسبب  
اختلافات حيوية أصيلة موجودة في طبيعة كل من الرجل والمرأة (١) .

ولقد ضل بعض المفكرين الغربيين فأنكروا وجود فروق بين الرجال  
والنساء ، وأرجعوا الفروق الموجودة إلى مناهج التعليم ، وطرق التربية التي  
تحيط بالمولود منذ صغره ، ... ومن أقوالهم : " لو البنت تلقت التربية التي  
يتلقاها الولد لما ظهر فرق بينهما " (٢) .

ويذهبون إلى أن الإنسان مزدوج الجنس، وكل رجل داخله امرأة ، وكل  
امرأة داخلها رجل، وأن هرمون الذكورة والأنوثة موجودة في كل من الرجل  
والمرأة، لكن نسبة هرمون الذكورة يزيد في الرجل، وهرمون الأنوثة يزيد في  
الأنثى، وهذه النسب تختلف من شخص لآخر ، ومن وقت لوقت آخر .

لقد ضل هؤلاء الناس بسبب ما رأوا من اتفاق بين الذكر والأنثى في  
الخلق، والتركيب العام، والاشترار في الإدراك العقلي، والمشاعر النفسية ،  
واتخذوا هذا التوافق دليلا على التساوي المطلق ، ونسوا وجهلوا أن التشابه

---

(١) المرأة في مختلف العصور للأستاذ / أحمد حاكي ص ٤ بتصرف .

(٢) المرجع السابق .

في بعض الجوانب لا يستلزم التشابه في كل الجوانب ، فالشجر يخرج الثمر، ولكل ثمرة اسم، وطعم ومذاق ، بل إن الشجرة الواحدة تخرج ثمرًا مختلفًا في حجمه، وشكله، ولونه، ومذاقه ... والأرض تنبت المعادن، ولكل معدن خاصية وحقيقة، والله تعالى يوضح إحدى آياته، ويقول ﷻ : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّجْدَرٍ وَمِحْطٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُقِيعٍ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

**والعجب في هؤلاء** إنكارهم فروقا محسوسة واضحة بين الرجل والمرأة في الوقت الذي يعجزون فيه عن إيجاد بصمة لإنسان ما تشبه بصمة إنسان آخر - رجلا كان أو امرأة .

وأرى أن دافعهم إلى إنكار الفروق بين الرجل والمرأة هو عدم إيمانهم بالله تعالى، ومحاولاتهم رد كل ما هو ديني، ولهذا صارت أعينهم لا ترى، وعقولهم لا تعي .

**لقد أقام الله تعالى الحياة على تباين العناصر واختلافها** ، وقدر لها أن تتكامل، وتتعاون، فوجود الليل يظهر قيمة النهار، ووجود الجن يوضح قيمة الإنسان ، ووجود القمر يبين منافع الشمس، فلا ضرر إذا في الاختلاف والتغاير .

**ومن هذا الباب وجود المرأة** مختلفة عن الرجل في بعض العناصر التكوينية ليلتقيا بعد ذلك في مودة، ورحمة، وحنان، ويتحول الاختلاف إلى توافق ، ويصير التغاير اتحادا وتعاونًا، يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ

---

(١) سورة الرعد الآية : ٤ .

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ ﴿٣٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ  
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٦﴾ (١) .

والآية توضح ما في كل نوع مخلوق من اختلاف بين أفرادها لصنع الحياة، والإقرار بوحداية الله تعالى.

يقول الأستاذ / محمود العقاد: " إن المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الكفايات والأعمال أمر لم يقم عليه دليل من تكوين الفطرة ، ولا من تجارب الأمم، ولا من حكم البداهة والمشاهدة .

بل قام الدليل على نقيضه في جميع هذه الاعتبارات .

ولم تتجاهل أمة من الأمم فوارق الجنسين إلا كان تجاهلها لها من قبيل تجاهل الطبيعة الثابتة التي تجبر من يتجاهلها إلى الاعتراف بها بعد حين، ولو من قبيل الاعتراف بتقسيم العمل بين جنسين لم يخلقا مختلفين عبثا بعد أن غبرت عليهما ألوف السنين .

وأحرى أن يكون طول الزمن مع تطور الأحوال الاجتماعية سببا لاختصاص كل جنس منهما بوظيفة غير وظيفة الجنس الآخر، ولاسيما في الخصائص التي تفترق فيها كفاية الحياة البيئية ، وكفاية الحياة الخارجية.

إن طول الزمن لا يلغي الفوارق بل يزيدها ، ويجعل لكل منها موضعا لا يشابهه سواه .

إن تكوين الفطرة في مسألة النسل التي هي قوام حياة الأسرة يفرق بين الذكر والأنثى تفرقة لا سبيل إلى الإغضاء عنها في حياة النوع الإنساني على الخصوص، فإن وظيفة النسل طليقة في الرجل يصلح لها ما صلحت

---

(١) سورة فاطر الآيتين : ٢٧ ، ٢٨ .

بنيته طول حياته إلى السبعين، وما بعد السبعين، ووظيفة التنازل في المرأة مقيدة بالحمل مرة واحدة في كل عام، وقلما تصلح لها المرأة بعد الخامسة والأربعين أو الخمسين في أكثر الأحوال، كما أن اختلاف أعضاء التنازل عند الرجل يختلف اختلافا كليا عن أعضاء المرأة، ولولا هذا الاختلاف لما حدث نكاح، ولا لقاح .

**وفي تجارب الأمم شواهد ملموسة على الفارق الأصيل بين الجنسين في الكفاية العقلية، والكفاية الخلقية، فإن المرأة على العموم لا تساوي الرجل في عمل اشتركا فيه، ولو كان من الأعمال التي انقطعت لها المرأة منذ عاش الجنسان في معيشة واحدة، ...**

**لا تطبخ المرأة كما يطبخ الرجل.**

**ولا تتقن الأزياء كما يتقنها الرجل.**

**ولا تبضع في صناعة التجميل كما يبضع فيها الرجل.**

**ولا تحسن أن ترثي ميتا عزيزا عليها كما يرثي الرجل موتاه، وهي منذ**

**بدء الخليفة تردد النواح، وتنفرد بأكثر مراسم الحداد حزنا وبؤسا .**

**ومن اللغو أن يقال أن هذه الفوارق إنما نجمت من عسف الرجل**

**واستبداده، لأن الرجل لم يمه المرأة أن تطبخ، وأن تخط الثياب، وأن تتزين**

**أو ترقص، أو تترنم بالأغاني والأناشيد .**

**ولو أنه نهاها عن ذلك في مجامع الناس ما استطاع أن ينهاها عنه**

**في بيتها، ولا في الدنيا الرحبية، لقد كان ذلك منه دليلا على غلبة العقل**

**والإرادة لا ريب فيه .**

**ونددع الإرادة في كل شيء، ونتأمل الغريزة الجنسية المركبة في إناث**

**جميع الأنواع .**

**فهل من المجهول أن الأنثى تكتم إرادتها ولا تجهر بها، وأنها تكتمني بالتصدي للذكر ليبدو وكأنها غير راغبة ؟ ... وأن الذكر هو الذي يجري وراءها ؟ ... وينز عليها بقوته ؟ ...**

**وهل من المجهول أن أصوات الذكور تغلظ وتقوى بعد بلوغ النضج ، بينما صوت الأنثى يزداد رقة لانفرادها بالدعاء الجنسي، واقتزان هذا الدعاء بالنمو في كل قوة تكفل لها الغلبة والسبق في صراع الانتخاب الجنسي ؟ ...**  
**وهل مما يستطاع ادعاؤه هنا أن هذه الفوارق الأصيلة قد خلقها الله ﷻ بلا حكمة، ولم تنشأ بلا إرادة عميقة بعيدة عنهما في بنيان الجنسين ، ينقاد إليها الذكور كما ينقاد إليها الإناث ؟ (١) .**

**لقد توصل العلماء التجريبيون إلى وجود فروق جوهرية بين الذكر والأنثى تبدأ بالفرق بين الخصيتين والمبيضين، لأنهما يكونان الخلايا الجديدة للذكر والأنثى، وتسكبان عليها الدم، وتطبعان الأنسجة والأعضاء بطابع الذكورة أو الأنوثة، ويظهر أثرهما في العقل، والنشاط والطاقة (٢) .**

**إن الاختلاف الفطري في المرأة عن الرجل أدى إلى اختلاف الوظيفة بالضرورة، الأمر الذي أدى إلى تشريع أحكام تناسب المرأة ، مثل مشروعية العدة إذا فارقت المرأة زوجها، أو مات عنها، وجعل ميراثها نصف ميراث الرجل، وجعل القوامة للرجل عليها، ... والأمثلة عديدة، سنذكرها - بإذن الله - بالتفصيل، ونوضح الحكمة فيها.**

**إن اختلاف الفطرة يؤدي إلى اختلاف الوظيفة، إذ يصعب على فطرة**

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: الأستاذ / عباس محمود العقاد ص ١٧٣ : ١٧٥ .

(٢) الإنسان ذلك المجهول للألكسيس كارليل ص ١٢٨ .

ضعيفة لينة أن تتحمل ما تتحمله الفطرة القوية الغليظة.

**إن اختلاف الفطرة أدى إلى إعلان نوعية المولود عند الولادة بين الأهل، والأقارب، والمحيطين بالمولود، عن طريق جعل عقيقة الذكر ذبح شاتين، وعقيقة الأنثى ذبح شاة واحدة ، .... ووجب ختان الولد دون البنت، وسن حلق شعر رأس الولد، ولم يسن ذلك للبنت .**

**كما أدى اختلاف الفطرة عند المرأة إلى استمرار الولاية عليها، واختلاف عورتها عن عورة الرجل، وإسقاط الصلاة عنها أثناء فترة الحيض، والنفاس، وتأجيل الصوم إلى أن تطهر وإعفاؤها من ملابس خاصة تحرم بها في الحج**  
**كما أدى اختلاف الفطرة عند المرأة إلى أن يقدم الرجل مهرا حين يتقدم لخطبتها، وأن ينوب الولي عنها، وأن يكون الرجل قواما عليها بعد الزواج ، وأن يكون الطلاق بيده، وأن يسمح له بتعدد الزوجات دونها .**

**كما أدى الاختلاف في التكوين والوظيفة في المرأة إلى أن يكلف الرجل بالنفقة على المرأة، وأن تكون الولاية للرجل، وأن يكون ميراثها وشهادتها على النصف من الرجل، وأن يحرمها من بعض الأعمال الشرعية التي أوجبها على الرجل مثل الجماعات، والجمعة، والجهاد .**

**إن هذه الأحكام الشرعية التي خالفت فيها أحكام المرأة أحكام الرجل تناسب طبيعتها، وتتفق مع واقعها، وحياتها، ... وهي في نفس الوقت موطن الأباطيل التي تكلم فيها الخصوم وهم جاهلون .**

**ومن هنا**

**ندرك ضرورة اختلاف الوظيفة والتكليف ليتناسب التوجيه الشرعي مع الواقع الفطري .**

**وسوف نبحت ذلك بالتفصيل – إن شاء الله تعالى .**



## الفصل الرابع

### المرأة المسلمة

#### قديمًا وحديثًا



## المرأة المسلمة قديما وحديثا

تقديم :

غالى خصوم الإسلام في مزاعمهم عن ضياع حقوق المرأة في الإسلام، وافتروا كذبا فيما قالوا، وهذا شأن أعداء الحق في كل زمان ومكان ، يقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (١) .  
والآية واضحة الدلالة في منهج أعداء الحق، فهم يغترون بأكاذيبهم ، ويزخرفون إدعاءاتهم، ويلبسونها ثوب الحق، وتتلقى آمال شياطين الإنس والجن، والآية تنصح رسول الله ﷺ والمؤمنين بتركهم مع أكاذيبهم، لأن الصدق أبلج، والنور يزيل الظلام، والحق يزيل الباطل ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) .

إن أعداء الله في الأرض لن يغلبوا الحق، وسيحملون أباطيلهم على ظهورهم إلى جهنم، وسيبقى دين الله تعالى بكماله وتمامه، وعدله، وصدقه بين عباد الله محفوظا إلى يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٣) ، ويقول ﷺ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٤) .

وفي هذا الفصل سوف استعين بالله تعالى، وأبين حياة المرأة المسلمة في صدر الإسلام، وحياتها اليوم مع بريق الحضارة الحديثة، وذلك فيما يلي : -

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٨١ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١١٥ .

(٤) سورة الحجر الآية : ٩ .

## المبحث الأول المرأة في صدر الإسلام

جاء الإسلام للناس لإنقاذهم من مهاوي الضلال والجهل، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ونزل القرآن الكريم دستوراً للإسلام، ومنهاجاً إلهياً يصون الحقوق، ويحدد الواجبات، يقول الله تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٥﴾ (١) .  
وقام القرآن بدوره الذي نزل له ، فأثبت صدق رسول الله ﷺ ، وأكد صدق ما جاء به، وتيقن العقلاء، وشهد الواقع بأن القرآن الكريم كتاب محكم، واضح الدلالة ، ميسر الفهم ، يقدم الإسلام بتمامه، وجماله، وكماله للناس ، ... يقول الله تعالى :

- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٢﴾ (٢)
- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٥﴾ (٣) .
- ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُفُّصَلَّتْ مِن لَّدُنَّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ٥﴾ (٤) .
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ٥﴾ (٥) .
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ٧﴾ (٦) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ١ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٩ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢ .

(٤) سورة هود الآية : ١ .

(٥) سورة الكهف الآية : ١ .

(٦) سورة القمر الآية : ١٧ .

وقد توجه رسول الله ﷺ بالدعوة الإسلامية إلى الناس جميعا بلا تفرقة بين رجل وامرأة ، أو غني وفقير ، أو عربي وعجمي ، ... فالكل سواء أمام دين الله تعالى .

ومع بدء الإسلام ظهرت حقوق للمرأة ، فعلمت أنها قسيم للرجل ، وأنها شريكان في النسل والذرية ، ورأت المرأة أن الإسلام يصون لها كرامتها ، ويحافظ على أهليتها ، ويقضي على المساوي التي لحقت بها في الأمم كلها .

اهتم الإسلام بتعليم المرأة ، وأخرجها من دائرة الظلم التي عاشت فيه ، وحض على بذل الجهد في تربيتها ، وغرس معاني الرقة والدلال في شعورها ، وضرورة تعليمها الجوانب المشروعة في الحنان ، والشفقة ، والطاعة مع الزوج والولد ، فقال ﷺ :

- ( من عال جاريتين حتى تدركا دخلت الجنة أنا وهو كهاتين -  
وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى ) (١) .

- (من يلي من هذه البنات شيئا ، فأحسن إليهن ، كن له سترا من النار ) (٢) .

- (خير نساء ركب الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ) (٣) .

وفرض الإسلام طلب العلم على المرأة كما فرضه على الرجل ، فنهضت

---

(١)المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب البر والصلوة، حدیث : ٧٤١٨

(٢)صحیح البخاری - کتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته - حدیث : ٥٦٥٥

(٣)صحیح البخاری - کتاب النکاح، باب إلى من ینکح - حدیث : ٤٧٩٤

المرأة للعلم، وأخذت تبحث عن يعلمها، ففي الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: ( جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله . فقال ﷺ : " اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا " . فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله ﷺ ، فعلمهن مما علمه الله ) (١) .

وقصدت المرأة المسلمة رسول الله ﷺ تتعلم من دروسه ومواعظه، فعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها ، قالت : ( أمرنا ﷺ أن نخرج الحيض يوم العيدين ، وذوات الخدور فيشهدن جماعة المسلمين ، ودعوتهم ويعتزل الحيض عن مصلاهن .

قالت امرأة : يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب ؟

قال ﷺ : " لتلبسها صاحبته من جلبابها " (٢)

رأت المرأة أداميتها في الإسلام، فأسرعت إلى الدخول فيه، وكانت أول من دخل في الإسلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

تمتعت المرأة في الإسلام بحقوقها كاملة ، ... وثبتت أهليتها للعمل ، والسعي، والإنفاق، والتعاقد ، .... يقول الله تعالى : -

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من

الرجال والنساء - حديث : ٦٩٠٠

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب - حديث : ٣٤٧

(٣) سورة النساء الآية : ١٢٤ .

- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١) .
- ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢)
- وجعلها الإسلام صنو الرجل، وشريكته في الخطاب والتكليف ، ...
- يقول الله تعالى :

- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهٖ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهٖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣)
- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهٗ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهٗ فَقَدَ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (٤) .
- ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَمْزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ بِيَسِّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٥) .
- وسواها الإسلام بالرجل في العمل والجزاء .... يقول الله تعالى :
- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) سورة النحل الآية : ٩٧ .

(٢) سورة غافر الآية : ٤٠ .

(٣) سورة النساء الآية : ٣٢ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

(٥) سورة الحجرات الآية : ١١ .

وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴿ (١)

- ﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ  
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿ (٢) .

- ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ الْيَوْمَ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ (٣) .

وضمن لها كافة حقوقها المالية ، والإنسانية ، يقول الله تعالى :

- ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ  
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿ (٤) ﴿

وحافظ الإسلام على سمعة المرأة، وعفتها، وعاقب من يسيء إليها

بلا دليلا، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا  
تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ (٥) .

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ (٦) .

(١) سورة التوبة الآية : ٧٢ .

(٢) سورة الفتح الآية : ٥ .

(٣) سورة الحديد الآية : ١٢ .

(٤) سورة النساء الآية : ٧ .

(٥) سورة النور الآية : ٤ .

(٦) سورة النور الآية ٢٣ .

وقرر الإسلام للمرأة قدرا من الميراث، وحرّم حرمانها منه، فقال تعالى :  
﴿ يَتَّيِبُهَا لَازِنَاتٍ ءَامَنُوْا لَا يَجُلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا الْمَالَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ  
مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ  
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝ (١) .

وأعطى الإسلام المرأة حق إبداء رأيها، والجهر بالحق الثابت، فعن  
الشعبي قال: ( خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله وأثنى عليه،  
وقال : ألا لا تغالوا في صدق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من  
شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال  
ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين كتاب الله  
عز وجل أحق أن يتبع أو قولك ؟

قال رضي الله عنه : بل كتاب الله عز وجل فما ذلك ؟

قالت : نهيت الناس أن يغالوا في صدق النساء والله عز وجل يقول  
في كتابه: ﴿ وَءَاتَيْتُمُوهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۝ (٢) .

فقال عمر رضي الله عنه : كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر  
فقال للناس : " إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ألا فليفعل رجل في  
ماله ما بدا له " (٣)

رأت المرأة كل ذلك في الإسلام ، فأسرعت إليه ، ودخلت فيه صادقة  
مخلصة، وشاركت الرجل في الإيمان بالله تعالى، والالتزام بشرعه، وبينت

(١) سورة النساء الآية : ١٩ .

(٢) سورة النساء الآية : ٢٠ .

(٣) سنن سعيد بن منصور - كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصداق - حديث : ٥٧٥

لسائر الناس ما تمتعت به من مزايا شرعها الإسلام لها ، وطبقها المسلمون طاعة الله تعالى .

**وعند بدء ظهور الإسلام برز دور المرأة مع رسول الله ﷺ ، يقول ابن كثير في البداية والنهاية : " وأمنت خديجة بنت خويلد ﷺ، وصدقت بما جاء به زوجها رسول الله ﷺ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالإسلام، وصدقت بما جاء به ، فخفف الله بها عن رسوله ﷺ، لا يسمع رسول الله ﷺ شيئاً مما كان يكرهه إلا فرج الله عنه بها، وكان ﷺ إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عنه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس " (١) .**

**وكانت ﷺ تبحث عن راحته ﷺ ، وتسعى لتطمئن عليه، فكلمت أبا بكر صاحبه ، وذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لما عنده من علم بالكتب السابقة ، فلما بشرها بأن ما أتى زوجها محمداً ﷺ هو الناموس الذي أتى موسى ﷺ أخذت رسول الله ﷺ إليه ليسمع منه ، ويطمئن (٢) .**

**ولما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهر بالدعوة ، وقال له : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣) ، أخذ ﷺ ينادي الرجال والنساء من أقربائه لينجوا بأنفسهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣) ، قال : " يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترؤا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً،**

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٣٨ .

(٣) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً) (١) .

وهكذا

توجه رسول الله ﷺ بالدعوة في أول الأمر للرجال والنساء، وحثهم على طاعة الله تعالى ، والدخول في الإسلام ، وعرفهم أن الكل مسئول عن عمله أمام الله تعالى، ولن يتحمل إنسان وزر إنسان آخر ، وتحملت المرأة مع الرجل المشاق التي أحاطت بهم بسبب الإسلام .

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : ( لقيت رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، فمر بعمار وبأم عمار يعذبان ، فقال : " صبرا آل ياسر ، فإن مصيركم إلى الجنة ) (٢) .

وأعطى الإسلام للمرأة حرية اختيار الدين ، فسبقت الرجل إلى الإسلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : " كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان، وأمي من النساء) (٣) .

يقول الحافظ بن حجر: وأم ابن عباس هي " لبابة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها" وتكنى بأُم الفضل، اسم ولدها الأكبر من العباس ، وسبق عبد الله وأمه أباه العباس في اعتناق الإسلام ، فلقد أسلم العباس بعد فتح خيبر، وهاجر إلى المدينة قبل فتح مكة مؤمناً، واشترك مع المسلمين في فتحها (٤) .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب : هل يدخل النساء والولد في الأقارب ؟ - حديث : ٢٦٢١

(٢) المطالب العلية للحافظ ابن حجر ، كتاب المناقب، باب فضل عمار بن ياسر - حديث : ٤٠٨٤

(٣) صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات - حديث : ١٣٠٣

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٨٧ ، طبع المكتبة التوفيقية .

ولما اشتد أذى المشركين برسول الله ﷺ ، وألقوا على كتفه الروث والفرث وهو ساجد عند الكعبة يريدون قتله جاءت أبنته فاطمة رضي الله عنها وأقلت الروث بعيدا ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ( بينا رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين ، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور ، فقفزه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام ، فأخذت من ظهره ، ودعت على من صنع ذلك ) (١)

ودخل في الإسلام كثير من نساء مكة، ولم يعلن إسلامهن خوفا من الأذى الذي ينزله المشركون بهن ، ومن أجلهن منع الله تعالى المسلمين من اقتحام مكة حين جاءوها معتمرين، وأبقاهم في الحديبية ، وأمرهم الله تعالى بمصالحة مشركي مكة هذا العام حتى لا يلحق بمسلم أذى، يقول الله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُمْ وَأَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِّبِكُمْ مِّنْهُم مَّعْرَةً بَٰعِرَةً لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ (٢)

ولما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بدعوة من خلفهم ، ومن معهم ، وقال لهم : ( بلغوا عني ولو آية ) (٣) ، وكثيرا ما كان يقول لهم : ( ألا ليبلغ

الشاهد منكم الغائب ) (٤) ، فقام بطاعة الأمر النساء مع الرجال .

لقد ربي رسول الله ﷺ صحابته من الرجال والنساء على الحق، ودعاهم

(١) صحيح البخاري - كتاب الجزية، باب طرح جيف المشركين في البئر - حديث : ٣٠٢٩

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل - حديث : ٣٢٩٢

(٤) صحيح البخاري - كتاب العلم، باب : ليبلغ العلم الشاهد الغائب - حديث : ١٠٤

إلى الصدق، وحثهم على الإخلاص والطاعة، وعرفهم الإيمان الصحيح فالتزموا به ، وعاشوا عبيدا لله تعالى في الأرض، ورضوا بحكم الله تعالى في حياتهم ولو كانوا يرغبون في غيره ، ... فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها ترضى بعد تمنع، وتتزوج زيد بن ثابت مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزولا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي تقول : إذا لا أعصي الله ورسوله ، حيث نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (١) .

وقد كافأها الله تعالى بأن زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد، وكانت تفاخر أمهات المؤمنين بذلك وتقول : (زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات) (٢) .

ومثلها فعلت الصحابية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، فعن أبي بكر بن أبي الجهم بن صخير العدوي رحمته الله قال : (سمعت فاطمة بنت قيس ، تقول : إن زوجها طلقها ثلاثا ، فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنى ، ولا نفقة ، قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا حلت فآذيني " ، فآذنته ، فخطبها معاوية ، وأبو جهم ، وأسامة بن زيد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما معاوية فرجل ترب ، لا مال له ، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء ، ولكن أسامة بن زيد " .  
فقالت بيدها هكذا : أسامة ، أسامة .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طاعة الله ، وطاعة رسوله خير لك " .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء - حديث : ٧٠٠٥ .

قالت : فتزوجته ، فاغتبطت (١) ، وزادت في رواية قولها : ( فتزوجته ، فشرفني الله بآب بن زيد ، وكرمني الله بآب بن زيد ) (٢) .

إن تكوين الشخصية الإيمانية للرجل والمرأة تحتاج إلى علم وعمل، وتوضيح وسلوك، وهو ما فعله رسول الله ﷺ مع المسلمين والمسلمات ليعرفوا الغاية التي وجد لها الإنسان، وهي العبادة الدائمة في شمولها وعمومها .

إن المسلم والمسلمة يعاهدان الله تعالى في كل صلاة بقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾ (٣) ، فقد خلقهم الله تعالى للعبادة، وعرفهم بها، وكلفهم القيام بها، وأوجبها عليهم شكرا لفضله، واستعانة برحمته وقدرته، فهو الإله الحق الذي لا يعبد سواه ، وهو المربي المعين الذي لا يقدر على العطاء إلا إياه ، فكل شيء بيده، وكل أمر عنده بمقدار .

إن الإنسان حينما يشكر الله تعالى فإنما يشكر لنفسه ، وحين يعبده فإنما يعبده رجاء غفرانه، وإحسانه، وإعانتة .

إن المرأة المسلمة تتخذ العلم بالله تعالى طريقا للوصول إليه ، وترتقي بعلمها إلى محيط الوجود البعيد عنها، وتستنبط من علمها ورؤيتها الواجب عليها نحو ربها ، ونحو نفسها ، ونحو الناس أجمعين، يقول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٤) ، والآية تشير إلى أن من يجمع هذه الأمور

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها - حديث : ٢٧٩٨

(٢) صحيح مسلم - كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها - حديث : ٢٧٩٩

(٣) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٢٠ .

الثلاثة في حياته يجمع أسباب الفوز ، وعوامل الوصول لأعلى الدرجات ، فالإيمان استسلام مطلق وطاعة دائمة لله تعالى، والهجرة ترك ما يتعارض مع الإيمان ، والجهد بذل الجهد، والوسع في الانقياد والطاعة . وهذه الآية تشير إلى أن رسول الله ﷺ دعا قومه إلى هذه الأمور الثلاثة فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

وضرب الله تعالى مثلا للمؤمنين والمؤمنات في امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، فقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (١) .

فلما علمت المسلمات هذه الأمثلة الرائدة، ورأوا امرأة فرعون وهي تسارع إلى الإيمان ، وطاعة الله تعالى ، وتوثر الموت في سبيل عقيدتها، وتسعد بقصر في الجنة أكثر من سعادتها بالدنيا وما فيها ، .... ورأوا أيضا مريم ابنة عمران الحصينة الحصيصة التي صدقت بكلمات ربها وكتبه، وأسلمت له أمرها، وكانت من القانتين .

رأت المسلمات هذه الأمثلة الغالية فآثرن الإيمان ، وطاعة الله تعالى ، وقدمن كل ما استطعن من طاعة وعمل .

وتحولت مكة إلى ساحة صراع بين الذين أسلموا ، وبين المشركين الذين عملوا على إبطال الإسلام، وقهر المسلمين، وصد الناس عن الدخول في دين الله ، إلا أن سعي المشركين بأء بالفشل والهزيمة ، وأخذ الضعفاء

---

(١) سورة التحريم الآيتين : ١١ ، ١٢ .

يدخلون في الإسلام تباعا، ويتحملون في ذلك العنت والأذى، ولم يصرفهم الاضطهاد عن التمسك بدين الله تعالى ، وبذل الجهد في الطاعة والانقياد .

**وفي يوم الهجرة** يترك أبو بكر رضي الله عنه بناته في مكة ، ويصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيأتي أبو جهل لعائشة رضي الله عنها ، ويلكزها في صدرها فلا تقر له بشيء، وتقوم أسماء بدورها ، فتصنع الطعام وتحضر اللبن لتمد أباهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعام والشراب ليلا، وتقطع الطريق بين مكة وجبل ثور في جوف الليل غير مبالية بوحشته، ومتحملة المتاعب برغم حملها يوم الهجرة، وتثبت رضي الله عنها أمام الكفار ولا تجيب وهم يسألونها عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**وحين تحين ساعة رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه من الغار** لا تجد أسماء رضي الله عنها ما تربط به الزاد سوى نطاقها فتشقه نصفين ، ... . وحينئذ يقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( **أبدلك الله صلى الله عليه وسلم بنطاقك هذا نطاقين في الجنة** ) (١) .

فمن أسماء رضي الله عنها أنها قالت: ( **صنعت سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلم نجد لسفرته، ولا لسقائه ما نربطهما به .**

**فقلت لأبي بكر : " والله ما أجد شيئا أربط به إلا نطاقي " .**

**قال : فشقيه باثنين ، فاربطيه : بواحد السقاء ، وبالأخر السفرة .**

**ف فعلت ، فلذلك سميت ذات النطاقين ) (٢) .**

**وكذلك " أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها " التي ضحت في سبيل عقيدتها بوطنها ، وقومها، وسافرت مهاجرة إلى المدينة المنورة وحدها بعد**

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٣٣ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو - حديث : ٢٨٣٨ .

صلح الحديبية، فعند ابن سعد أنها عليه السلام خرجت من مكة (حتى قدمت المدينة في الهدنة، هدنة الحديبية ، فخرج في أثرها أخوها الوليد وعمارة ابنا عقبة فدما المدينة من الغد يوم قدمت .

فقالا: يا محمد أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه .

وقالت أم كلثوم : يا رسول الله أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت ، فتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني ولا صبر لي .

فنقض الله العهد في النساء في صلح الحديبية، وأنزل فيهن الممتحنة وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم . وفي أم كلثوم نزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ (١)، فامتحنها رسول الله وامتحن النساء بعدها .

يقول لهن رسول الله عليه السلام : " والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام وما خرجتن لزوج ولا مال " ؟ ...

فإذا قلن ذلك تركن، وحبسن فلم يردن إلى أهلهن .

فقال رسول الله عليه السلام للوليد وعمارة ابني عقبة : " قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه فانصرفا ) (٢) .

وهناك أيضا " أم سلمة عليها السلام " ، التي هاجرت إلى الحبشة ، ثم عانت الكثير وهي تهاجر إلى المدينة بعد أن فرَّق المشركون بينها وبين زوجها، وكان زوجها يحسن صحبتها، فلما مات صبرت واسترجعت تنفيذًا لتوجيه النبي عليه السلام ، وهي تظن أنه ما بين الناس من هو خير من أبي سلمة عليه السلام ،

---

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٠ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد - طبقات البدرين من الأنصار ، تسمية النساء المسلمات

لكن الرب الرحيم أبدلها بمن هو خير من أبي سلمة رضي الله عنه جزاء معاناتها في سبيل الله تعالى ، تقول أم سلمة رضي الله عنها ( سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما من مسلم تصيبه مصيبة ، فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي ، وأخلف لي خيرا منها ، إلا أخلف الله له خيرا منها " قالت : فلما مات أبو سلمة ، قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إنني قتلها ، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ) (١) .

وهناك "أم الفضل" زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، التي دفعتها رغبتها في نصره دين الله تعالى إلى ضرب أبي لهب بعمود، وذلك حين عمد على ضرب مولاها أبي رافع لاتباعه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد شجت رأسه شجة عميقة قاتلة، وهي تقول : ( يا عدو الله ، استضعفته ، أن رأيت سيده غائبا عنه فقام ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتلته ) (٢) .

وهناك كثيرات غير هؤلاء من المسلمات الأوائل الأتني استعذبن العذاب في سبيل الله تعالى، وفي سبيل إعزاز دينه، غير مباليات بما يلقين في سبيل ذلك ، بل إنهن عمدن إلى التقدم للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين المؤمنين والكافرين، حيث شاركن بما استطعن من أعمال، من أجل مساندة المجاهدين، ولم يترددن عن الاشتراك في القتال حين الحاجة .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة - حديث : ١٥٧٦ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب معرفة الصحابة ، ذکر إسلام العباس - حديث : ٥٣٧٥

فهذه " صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها " يوم أحد، يقول هشام بن عروة رضي الله عنه ( إن صفية بنت عبد المطلب جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول : انهزمت عن رسول الله . فلما رآها رسول الله ﷺ قال : " يا زبير المرأة " . وكان حمزة قد بقر بطنه فكره رسول الله ﷺ أن تراه وكانت أخته . فقال الزبير : يا أمه إليك إليك . فقالت : تنح لا أم لك فجاءت فنظرت إلى حمزة (١) ، وقد تحلت بالحجاب بالصبر والشجاعة عند المصيبة . فعن ابن إسحاق، عن شيوخه الذين روى عنهم قصة أحد ، قالوا : ( فأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتتنظر إلى حمزة بأحد ، وكان أخاها لأمها وأبيها . فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : " القها فأرجعها " ، لا ترى ما بأخيها . فلقبها الزبير فقال : أي أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . فقالت : ولم ؟ فقد بلغني أنه قد مثل بأخي ، وذاك في الله لما أرضانا بما كان من ذلك ، فلأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إليه ﷺ فأخبره قول صفية، قال ﷺ : " خل سبيلها " . فأتته فنظرت إليه، واسترجعت، واستغفرت له . ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن (٢) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - طبقات البدرين من الأنصار، ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه

وسلم - صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، حديث : ٩٥٤٩

(٢) دلائل النبوة للبيهقي - باب ما جرى بعد انقضاء الحرب وذهاب المشركين في أمر القتلى، حديث :

ومثلها " نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها " التي استلقت سيفها يوم أحد ،  
واندفعت للذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عبر عن بلائها في ذلك اليوم بقوله  
صلى الله عليه وسلم : ( ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني ) (١) .

وقد استحقت نسيبة رضي الله عنها لجهادها في سبيل الله تعالى أن ترافق الرسول  
صلى الله عليه وسلم في الجنة، فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ( شهدت أحدا مع  
رسول الله فلما تفرق الناس عنه دنوت منه أنا وأمي نذب عنه ...  
ونظر صلى الله عليه وسلم جرح أُمي على عاتقها ، فقال : " أمك أمك اعصب جرحها بآرك  
الله عليكم من أهل البيت .

مقام أمك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت .  
ومقام ربيبك ، يعني زوج أمه خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل  
البيت " .

قالت نسيبة: ادع الله أن ترافقك في الجنة .

فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة " .

فقالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا . (٢) .

وقد حذت " أم سليم رضي الله عنها " حذو صفية، ونسيبة، وغيرهما من المجاهدات  
رضي الله عنهن ، حيث اتخذت لنفسها خنجرا يوم حنين لتضرب به من يدنو منها من  
المشركين .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - طبقات البدرين من الأنصار، ومن نساء بني النجار وهم تيم الله بن

ثعلبة بن عمرو - أم عمارة، حديث: ١٠٣٦٦

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد - طبقات البدرين من الأنصار، ومن نساء بني النجار وهم تيم الله بن

ثعلبة بن عمرو - أم عمارة، حديث: ١٠٣٦٥ .

ولصدق إيمانها، وحسن بلائها، استحقت أن يبشرها رسول الله ﷺ بالجنة، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ( دخلت الجنة فسمعت خشفة ، فقلت : من هذا ؟

قالوا : هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك ) (١) .

وقد ظهر أثر التربية الإيمانية في نفس مسلمة صدر الإسلام، حيث كانت تتحمل وهي راضية كل ما يصيبها في سبيل دينها، والتزامها بعقيدها في إيمان عميق بقضاء الله وقدره، وتسليم كامل لحكم الله تعالى، يظله حب الله ﷻ ورسوله ﷺ وطاعتهما .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ( كانت امرأة من الأنصار من بني ذبيان قد أصيب زوجها وأخوها يوم أحد، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا : خيرا ، يا أم فلان .

ف قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشاروا لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : " كل مصيبة بعدك جلل ) (٢) .

وتلك الخنساء يقتل أبناؤها الأربع ، فتقول : " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته" .

وقد حذت التابعية " معاذة بنت عبد الله " زوجة صلة بن أشيم حذو المسلمات الأوائل في الصبر على قضاء الله تعالى ، وقدره، حيث استشهد

---

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أم سليم - حديث : ٤٥٩٨

(٢) دلائل النبوة للبيهقي - باب ما جرى بعد انقضاء الحرب وذهاب المشركين في أمر القتلى، حديث

زوجها وابنها في بعض الحروب، فاجتمع النساء عندها فقالت : ( مرحبا بكن  
إن كنتن جئتن تهنئني ، وإن كنتن لغير ذلك فارجعن ) (١) .

وعن أم الأسود ابنة زيد العدوية رضي الله عنها ، وكانت قد أرضعتها معاذة رضي الله عنها  
قالت : (قالت لي معاذة : " لما قتل أبو الصهباء وقتل معه ولدها قالت :  
والله يا بنية ما محبتي للبقاء للذة العيش في الدنيا ، ولا لروح نسيم ،  
ولكن والله أحب البقاء في الدنيا بعد أبي الصهباء لأتقرب إلى الله  
بالوسائل لعلي يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده " ) (٢) .

ومثلها أيضا التابعة " حفصة بنت سيرين " التي اتخذت من الصبر  
معينا لها على مواجهة مصائبها في ابنتها الهذيل ، وقد كان بارا بها أشد  
ما يكون البر، فعن هشام بن حسان، قال : ( كان الهذيل بن حفصة يجمع  
الحطب في الصيف فيقشره ، ويأخذ القصب فيفلقه .

قالت حفصة : فكنت أجد قره فكان يجيء بالكانون حتى يضعه خلفي وأنا  
أصلي ، وعنده من يكفيه لو أراد ذلك فيوقد لي ذلك الحطب المقشر  
والقصب المفلق وقودا يدفئني ولا يؤذيني الحر، فربما أردت أن أنصرف  
إليه ، وأقول : يا بني ، ارجع إلى أهلك ، ثم أذكر ما يريد فأخلي عنه .  
وكان يغزو ويحج ، فأصابته حمى وقد حضر الحج فنقه ، فلم أشعر حتى  
أهل بالحج .

قلت يا بني : كأنك خفت أن أمنعك، ما كنت لأفعل .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - طبقات البدرين من الأنصار، ومن هذه الطبقة - صلة بن أشيم

العدوي، حديث : ٨٤٧١

(٢) اعتلال القلوب للخراطي - باب ذكر الوفاء بالعهد والمحافظة على الود، حديث : ٤٠٨ .

وكانت له لقحة فكان يبعث إلي حلبة بالغداة ، فأقول يا بني : إنك لتعلم أنني لا أشربه وأنا صائمة .

فيقول : يا أم الهذيل ، إن أطيب اللبن ما بات في ضرع الإبل ، اسقيه من شئت .

قالت : فلما مات رزق الله تعالى عليه من الصبر ما شاء الله أن يرزق ، غير أنني كنت أجد غصة لا تذهب ، فبينما أنا أصلي ذات ليلة وأنا أقرأ سورة النحل ، حتى أتيت على هذه الآية : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٩٥ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾ وَالَّذِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ (١).

قالت : فأعدتها ، فأذهب الله ما كنت أجد (٢)

إن الإيمان حين يملأ القلب يشرق على الجوارح ، وينير الطريق ، وينشط الأمل ، ويحقق النجاة ، ويحسن القول والخلق ، فلا يفعل صاحبه إلا خيرا ، ولا يقول إلا حسنا ، ويرى السعادة في طاعة الله تعالى ، وذكره ، ويتذكر نعم الله ﷻ ، وآلائه .

فعن علي رضي الله عنه ( أن فاطمة ، اشتكت ما تلقى من الرحي في يدها ، وأتى النبي ﷺ سبي ، فانطلقت ، فلم تجده ولقيت عائشة ، فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ ، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها ، فجاء النبي ﷺ إلينا ، وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم فقال النبي ﷺ : " على مكانكما " فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري ، ثم قال : " ألا أعلمكما خيرا مما

(١) سورة النحل الآيتين ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الطب ، باب بر الوالدين - حديث : ٢٦٠٠

سألتما ، إذا أخذتما مضاجعكما ، أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين ، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين ، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم " (١) .

وذكر الله تعالى من أفضل الأعمال التي يمكن للإنسان أن يؤديه بالليل وبالنهـار، وحين العمل، وأثناء الفراغ، لأنه يتم بحضور القلب، ويقظة الروح، والإحساس بمعـية الله تعالى .

والذكر أنواع كثيرة ، لأنه يكون نطقاً باللسان ، وعملاً بالجوارح، وتأملاً بالعقل، وسياحة بالروح، فالعبد في كل هذه الحالات يستحضر الله تعالى، ويقصده بقلبه، ويلمس عظمة المعبود الذي يرجو رحمته، ويخشى عذابه .

إن المرأة المسلمة في الصدر الأول آمنت برسول الله ﷺ، ودخلت في الإسلام مع الرجال، وأطاعت الله تعالى ورسوله ﷺ، وهاجرت إلى الحبشة، وإلى المدينة، ودعت إلى الإسلام أبناءها، وزوجها، وعشيرتها، وجاهدت في سبيل الله تعالى بمالها، ونفسها، وبحثت عن العمل الذي يوصلها بالله تعالى، ويحقق لها سعادة الدنيا والآخرة .

كما تمتعت بما كفله الإسلام لها من أهلية كاملة أزاحت عن كاهلها ظلمات الجاهلية، وحققت لها الكرامة والعزة، وحررتها من القيود الظالمة التي وضعت فيها .

لقد استقبلت المرأة المسلمة ما شرعه الإسلام لها بحب وإيجابية، فأطاعت ربها، وطبقت شريعته، وقامت بدورها الذي وضعه الإسلام لها، لقد أمر الله ﷻ المرأة كما أمر الرجل، وفرض عليها ما فرض على الرجل، وقبل

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسيح أول النهار وعند النوم -

عملها كما قبله من الرجل، يقول الله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِن بَعْضٍ ﴾ (١) .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

وأمر الإسلام المرأة بالنصح، والتوجيه، والدعوة، والمشاركة في إصلاح الحياة ، والقيام بولاية المسلمين، ومراعاة مودتهم وإخوتهم ، يقول الله تعالى :  
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَنُؤِنُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

وقد ثبت أن عائشة رضي الله عنها ومعها أم سلمة رضي الله عنها ، وغيرهما من المؤمنات كن يسقين المجاهدين ، ويعالجن الجرحى في يوم أحد .

وعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها، قالت : ( غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى ) (٤)

وأعطى الإسلام للمرأة حق تأمين المحاربيين وإجارتهم كالرجل.

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٥ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٧٢ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٧١ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم ، حديث : ٣٤٦٨

فعن أبي مرة رضي الله عنه مولى أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنه ( أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب يوم فتح مكة تقول : يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرته ، فلان ابن هبيرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ ( ١ ) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ( إن كانت المرأة لتجبر على المؤمنين فيجوز ) ( ٢ ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن المرأة لتأخذ للقوم ) ( ٣ ) ، يعني تجبر على المسلمين .

وجعل الله تعالى للمرأة المسلمة بيعة كبيعة الرجل ، يقول الله تعالى :  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَنِ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ( ٤ ) .

نزلت هذه الآية يوم فتح مكة ، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم بها النساء على الصفا بعد أن فرغ من بيعة الرجال على الإسلام والجهاد ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، حديث : ١٢١٤

(٢) سنن أبي داود - كتاب الجهاد، باب في أمان المرأة - حديث : ٢٣٩٨

(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، باب ما جاء في أمان العبد والمرأة، حديث : ١٥٤٤

(٤) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : قل لهن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً .

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متكررة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن .

قالت هند وهي متكررة : كيف يقبل من النساء شيئاً لم يقبله من الرجال ؟  
- وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد -

فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لعمر رضي الله عنه : " قل لهن: ولا يسرقن " .  
قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات، وما أدري أيحلهن لي أم لا ؟ ..

قال أبو سفيان : ما أصبت من شيء مضى ، أو قد بقي ، فهو لك حلال .  
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها، فدعاها، فأنته ، فأخذت بيده ، فعازت به .  
فقال صلى الله عليه وسلم : " أنت هند " .

فقالت : عفا الله عما سلف .

فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : " ولا يزنين " .

فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ ...

قال : " لا والله ما تزني الحرة " .

قال صلى الله عليه وسلم : " ولا يقتلن أولادهن " .

قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر، فأنت وهم أبصر .

قال ﷺ : " ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف " . أي منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطعن الشعور ، ويدعون بالثبور والويل (١) .

وعن أميمة بنت رقيقة رضي عنها ( أنها قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبايعنه، فقلن: نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف .

فقال رسول الله ﷺ : " فيما استطعتن وأطقتن " .

فقلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، .. (٢)

وحافظ الإسلام على المرأة منذ صغرها ، فصنعها كما صنع الرجل، وأمر بحسن استقبالها، وعاب على الجاهليين سوء تصرفهم مع البنت المولودة، وبين للمسلمين أن البنت كالولد هدية الله تعالى للأبوين ، فهو سبحانه ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْتَا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (٣)، وأمر الإسلام بتعليمها ، وتأديبها، والاهتمام بشأنها .

" وقد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الإسلام، فكان منهن راويات الأحاديث النبوية، والآثار يرويه عنهن الرجال، والأدبيات والشاعرات، والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة ، وكانوا يعلمون جواريتهم

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة الممتحنة، القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا

جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ ﴾ ، حديث : ٣١٤٥٦

(٢) صحيح ابن حبان - كتاب السير، باب بيعة الأئمة وما يستحب لهم ، حديث : ٤٦٢٣

(٣) سورة الشورى الآية : ٤٩ .

وقيانهم كما يعلمون بناتهم.

**وقد أجمع المسلمون على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده، وكل ما ندبهم إليه فالرجال والنساء فيه سواء إلا ما استثنى مما هو خاص بالنساء لأنوثتهن في الطهارة، والولادة، والحضانة، وما رفع عنهن من القتال، وغير ذلك مما هو معروف (١) .**

**ويكفي المرأة فخرا قيامها برواية الحديث عن رسول الله ﷺ ، فقد أكثرن من رواية الحديث حتى أن السيدة عائشة ؓ كانت من أكثر الصحابة رواية للحديث، ولم يتفوق عليها إلا أبو هريرة ؓ .**

**يقول الحافظ الذهبي: " لم يؤثر عن المرأة أنها كذبت في حديث (٢) .**

**ويقول الشوكاني : " لم ينقل أحد من العلماء بأنه رد خيرا روته امرأة صحابية.**

**فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول من واحدة من الصحابة ، وهذا أمر لا ينكره من له أدنى نصيب في علوم السنة ؟ ... (٣) .**

**إن الإسلام كرم المرأة، وحقق المساواة بينها بين الرجل والمرأة بطريقة إيجابية، فتعامل مع الواقع، وحافظ للرجل على رجولته، وكلفه بطاقته، وحافظ للمرأة على أنوثتها، وكلفها بما يتفق مع أنوثتها، ورقتها.**

**لقد جعل الخالق سبحانه وتعالى الاختلاف الفطري عاملا للتوافق العملي، والتكامل الوظيفي، وإيجاد مجتمع مستقيم ، هانى .**

---

(١) حقوق النساء في الإسلام، محمد رشيد رضا ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) مقدمة الميزان للذهبي

(٣) نيل الأوطار ج ٨ ص ١٢٢ .

**لقد أخذت المرأة المسلمة حقوقها كامرأة، وتساوت مع الرجل كإنسانة،**  
وصانت كرامتها بصيانة عرضها، وعفتها، وتركت كل مفاسد الجاهلية،  
فبقيت في خدرها في بيت أهلها إلى أن خرجت إلى بيت زوجها لتصنع معه  
رجالاً ونساءً، يعملون لله، ويبتغون الفضل منه سبحانه وتعالى في عفة  
وطهارة، والتزام بشرع الله ﷻ، واستقامة على منهج الله القويم.

**لقد تجلت كرامة المرأة المسلمة وهي تطبق شرع الله تعالى راضية**  
بأحكامه، سعيدة بما قدره الله لها.

**استفادت المرأة من أحكام الإسلام، فملكته، وأنفقت، وتعلمت، وتعاقدت،**  
ورتبت، وتمتعت بأهليتها السياسية والمدنية، والإنسانية، ... ولم يتمكن  
الشیطان من اللعب بمفاتها وأنوثتها، فلم تتبدل في صورة، ولم تتعر في  
عمل، ولم تتحول إلى سلعة يتمتع بجمالها آلاف النظار، ويراهم الناس صوراً  
في الطرقات، وجمالاً في الاستقبال، وكلاماً شجياً في عرض البضائع،  
وحانات الهوى، .... لم تفعل المسلمة شيئاً من ذلك .

**ولم تخالط المرأة المسلمة الرجال إلا في إطار المشروعية الإسلامية .**

## **المبحث الثاني** **الوضعية المعاصرة للمرأة المسلمة**

لم تستمر الحياة بالمرأة المسلمة على النحو الذي شرعه الله تعالى لها، وبخاصة بعد الانحدار الشديد الذي هوت فيه الأمة، وبعد السقوط الأخلاقي أمام الغزو الفكري حيث تخلت البلاد الإسلامية عن تطبيق شرع الله تعالى، واكتفت بأحكام الإسلام في النكاح، والفرق، والميراث، ورضيت بصبغ حياتها بصبغة غربية في مجالات عديدة .

**ففي المجال التعليمي التربوي** رضيت الدول الإسلامية بثنائية التعليم، وعزلت الإسلام في ركن صغير، وسمحت بالاختلاط العام بين الشباب والشابات، وانتشر العري والسفور، وانشغل المواطنون بأفلام الهوى، وأغاني الغرام، وصار الفساد الأخلاقي مثالا راقيا أمام الشباب، وأصبح البنات يتخذنه أسوة لهن، وأصبحت القوانين الوضعية هي المنظمة لحياة المسلمين، والحاكمة لكل ما يجد من أفضيات .

**واتجه الفساد إلى أفراد المجتمع كله**، وأخذ الرجال في الإساءة إلى ما شرع الله لهم من ولاية، وقوامة، وتعدد، وحولوا هذه الأمور المشروعة إلى تطبيق مشوه بعيد عن روح الإسلام، فتحكم الولي في نكاح المرأة، ولم يأخذ برأيها، وجعل الرجال القوامة نوعا من التحكم والتسلط، ولم يتعاملوا بالمعروف، وجعلوا التعدد طريقا لإشباع الجنس، وأبعدوه عن الغايات التي شرع لها .

**وجنحت المرأة عن طريق الإسلام**، وابتعدت عن طريق الصالحات المؤمنات، فخرجت من البيت سافرة، وخالطت الرجال في المدرسة، والعمل، والطريق، وفي الأنشطة المختلفة، وتخلقت بأخلاق بعيدة عن شريعة الإسلام

ونظمه، وأصبح المجتمع الإسلامي بعيدا عن حقيقة الإسلام، وصارت الأسرة ميدانا للصراع والخلاف، وتركت السكن، والمودة، والرحمة، وتحولت المرأة إلى عاملة في البيت، والحقل، ودواوين الحكومة، وأصبحت متعة الرجال من خلال المسلسلات الهابطة.

**وأخذ الغزو الفكري** يثير النساء بمزاعم كاذبة، وأباطيل واهية ، واتهموا الإسلام بما لم يأت به، وأخذوا في لي الحقائق، وتشويهها لتبدو في صورة مقبولة، وركز الغزاة على إفساد المرأة لأنها نصف المجتمع، ومربية الأجيال، وأثرها كبير في الأمة، أملين أن تضيع الأمة كلها، واستدلوا ببعض المفاصد بين المسلمين .

**ومن المؤسف** أنهم تمكنوا من تحقيق كثير من غاياتهم، وتحولت الحياة الأسرية إلى صراع ، وكثر الطلاق، وأصبحت قوامة المرأة مأساة في البيوت، وصار الزواج الثاني هدمًا للزواج الأول، وظهر الزواج السري، وانتشر الفسق والفجور بين الناس، ورضيت المرأة المسلمة بانحراف زوجها الأخلاقي على أن لا يتزوج امرأة أخرى .

**أخذ دعاة الغزو الفكري** يشجعون المرأة على الحرية التي ينادون بها، وحاولوا ستر باطلهم بشبهات في أحكام الشريعة الخاصة بالمرأة، وبعض السلوكيات في الحياة الاجتماعية البعيدة عن الإسلام، وظنوا ذلك دليلا على باطلهم ، مع أن فهم هذه الأحكام على وجهها الصحيح تكريم للمرأة، ومراعاة لفظرتها البدنية، والعقلية، والنفسية التي خلقها الله تعالى بها.

**إن التعامل مع الواقع** على قدر وجوده حكمة رائعة، كما إن إهمال الواقع في التشريع يضر ولا يفيد، فقد شرع الله تعالى للمرأة أحكام الحمل ، والولادة، والإرضاع لحاجتها إليها، ولو شرعها للرجل لما كان لها فائدة .

لم يلتفت خصوم الإسلام لهذه الحقيقة ، وأخذوا في اتهام البراءة، وإدعاء النقص في الكمال، شأنهم كشأن كاره للجمال أراد أن يعيب وردة فقال: إن لونها أحمر .

ذهب خصوم الإسلام إلى أن الإسلام ظلم المرأة ، وضيع حقوقها، وجعلها متاعاً ومتعة للرجل، وألغى أهليتها، ولم يحافظ على حقوقها كإنسانة خرجت من آدم عليه السلام ، واشتركت في ملء الأرض بالذرية ، وبقيت في البشر زوجة، وأما ، وبناتنا، ...، وهذا افتراء من الخصوم قائم على تفسير الأحكام الشرعية بالهوى، وإغفال خصائص المرأة الفطرية ، وتأکید نظريتهم في التساوي المطلق بين المرأة والرجل .

إن الفروق بين الرجل والمرأة عديدة ، وقد أقر بها العلماء والمربون في كافة التخصصات مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، وهذا يقتضي منهم الرضى والتسليم بتغاير الأحكام الشرعية في بعض الحالات للرجل والمرأة ، إلا أن خصوم الإسلام لم يسلموا بذلك جهلاً بالحقيقة ، وإعلاء للهوى، وثقة في عقولهم .

إن أهم القضايا التي اختلفت فيها أحكام الإسلام للمرأة عن أحكامها للرجل هي :

أولاً : أحكام في مرحلة ما بعد الولادة :

أقر جميع العلماء بالواقع وهو أن الولد يأتي نتيجة التقاء رجل وامرأة ، ونادوا بالعناية به، والاهتمام بتربيته، إلا أنهم بعد ذلك رأوا أن شريعة الإسلام لا تستقبل البنت عند الولادة كما تستقبل الولد، ويستدلون بذلك على مشروعية العقيقة في الإسلام، فهي للولد ذبح شاتين، وللأنثى ذبح شاة واحدة.

كما أن الإسلام سن حلق شعر الذكر والتبرع بوزنه فضة أو ذهباً، ولم يجعل حلق شعر البنت كذلك .

ومن السنة ختان الذكر، أما ختان البنت فهو مكرومة وعلاج .

ثانياً : أحكام في التربية:

يرى الخصوم أن الإسلام أهان المرأة بإطالة فترة حضانتها، ووضعها تحت ولاية الرجل إلى أن تتزوج .

ثالثاً : أحكام في العمل والاختلاط :

يرى خصوم الإسلام أن الإسلام لم يفتح باب العمل للمرأة كما فتحه أمام الرجل، وأنه منعها من الاختلاط بالرجل، وحرمها من العمل .

رابعاً : أحكام في التكاليف :

منع الإسلام المرأة من السفر إلا مع ذي محرم منها.

وأنه جعل جسدها كله عورة ما عدا الوجه والكفين .

وأنه حرّمها من ثواب الصلاة والصوم أثناء الحيض والنفاس.

ولم يشرع لها ملابس خاصة بالإحرام في الحج والعمرة كما جعل للرجل .

خامساً : أحكام اجتماعية :

جعل الإسلام شهادة المرأة أمام القضاء أقل من شهادة الرجل، وديتها

أقل من دية الرجل، وميراثها أقل من ميراث الرجل .

وحرّمها من بعض الأحكام الشرعية مثل الجمعة والجماعات، والجهاد

في سبيل الله تعالى .

سادساً : أحكام في تأسيس الأسرة :

يرى خصوم الإسلام أن الإسلام أعطى للرجل دور البدء في الخطبة .

وجعل المهر ثمنا لامتلاك المرأة .

سابعاً : أحكام في العلاقات الزوجية :

يرى خصوم الإسلام أن الإسلام شرع القوامة للرجل دون المرأة، وأمره بعلاج نشوز زوجته، ولم يأمر الزوجة بذلك .  
وأباح تعدد الزوجات للرجل دون المرأة.  
وجعل الطلاق بيد الرجل، ولم يجعل ذلك للمرأة .

إن الأمور السابقة فيها اختلاف بين حكم الإسلام للمرأة، وحكمه للرجل وفقاً لطبيعة كل منهما، إلا أن خصوم الإسلام يبحثون عن شبهة يلبسونها ثوب الحقيقة ويسبئون بها إلى الإسلام، ولذلك سأتناول ما قالوه، وما يمكن أن يقولوه لأرد عليه ، وأثبت عظمة الإسلام في تكريمه للمرأة .  
إن خصوم الإسلام يلوون الحقائق، ويحولون مزايا تشريع الإسلام للمرأة إلى عيوب ومضار يختلقونها بهواهم، ويفسرونها بعقولهم الضالة، المتمسكة بالكفر والفساد .

إن خصوم الإسلام يركزون على قضايا المرأة ليسيئوا إلى الإسلام كله، لأنها نصف المجتمع، والتأثير فيها ينعكس على المجتمع كله ...  
إن خصوم الإسلام ينكرون الفروق الجوهرية الموجودة بين المرأة وبين الرجل، وهي فروق يقرون بوجودها، وثبوتها أكيد لا ريب فيه، فجسد المرأة غير جسد الرجل، وكذلك صوتها، واهتماماتها، وفهمها، وميولها، ورغباتها، ... وهذا يدل على سوء قصدهم، وتعصبيهم المضاد للإسلام والمسلمين .  
إن الله تعالى هو الذي يشرع للرجل والمرأة معاً، وكل شرع الله عدل تام، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً .

إن الإسلام يهتم بالمرأة بصورة شاملة ابتداء من مولدها وحتى وفاتها، ويقدر لها دورها في المجتمع كله، فهي صانعة الرجال، ومربية الأجيال، ومكونة الأطفال، وبصلاحها يصلح المجتمع كله ، وصدق أحمد شوقي في قوله :

**الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق .**

وقد سبق بيان الوضعية العالية التي عاشتها المرأة في صدر الإسلام حين ألتزم المسلمون بحكم الله تعالى، وطبقوا تعاليم الوحي تطبيقا دقيقا على كل عناصر المجتمع، في هذا العصر الأول تمتعت المرأة بحريتها، ونالت أهليتها، وأخذت حقوقها، وقامت بواجبها، ولو تمسك المسلمون بأحكام دينهم لشعر كل مسلم ومسلمة بالرضى ، والأمن في ظل نظام الله الذي يحقق الكرامة للإنسان (١)

إن منتهى أمل المرأة في كل الحضارات أن تعيش حياة زوجية طيبة ، فيها زوج محب يعمل لإسعادها، وراحتها، ويحقق لها السكن، واللباس، وأن ترزق بأولاد تربيههم صغارا، ويبرونها كبارا .

هذا الأمل لا يعارضه إلا من فقدوا التحليل الواقعي للجوانب النفسية ، والعاطفية ، والفطرية للمرأة، .... ووصلوا بجهلهم إلى تصور المرأة عاملة في منجم، أو محصلة للأجرة في المركبات العامة والخاصة، ... وأفتوا بهذا الجهل، كما أجازوا أن تتزوج المرأة امرأة أخرى مثلها، وسمحوا لها بالعري التام في النوادي، والاجتماعات العامة، وأباحوا تبادل الزوجات .

لقد سقط كثير من المسلمات وأولياؤهن في شرك خصوم الإسلام، وصدقن

---

(١) أنظر المبحث الأول من الفصل الثالث .

ما قيل لهن، وتمردن على مفهوم القوامة، ورفضن تعدد الزوجات، وتعجبين من جعل الطلاق بيد الرجل، وبذلك تحولت الأسرة المسلمة إلى ساحة للخلاف والخصومة، وكثر الطلاق .

**ولو سألت العاقلات من النساء اللاتي خبرن الحياة، وشاركن الرجال في إخراج جيل من الصالحين والصالحات عن أحكام الإسلام للرجل والمرأة لأجبن بحكمة التشريع، وعظمة الإسلام في تحقيق الخير للناس .**

**إن الإسلام راعى الفروق بين الرجل والمرأة، وأنزل الخالق ﷻ الأحكام المناسبة للمخلوق على قدر طاقته ، واستعداده، وهذا حق وصواب نجده في سائر المخلوقات، حيث لكل مخلوق وظيفة يقوم بها، يكمل بها مسار حياته، فالنحل يجلب العسل، والبقر ينتج اللبن، والزرع يأتي بالحب والثمر، .... وهذا من مسلمات العقل.**

**فلم نفرض على المرأة ما نفرضه على الرجل وبينهما فروق عديدة سبق ذكرها في الفصل الثالث ؟ ....**

**وسأثبت بإذن الله تعالى أن ما جاء به الإسلام من أحكام خاصة بالمرأة هو التكريم اللائق بها وذلك في الفصل الخامس .**

**وقد فطن بعض علماء الغرب إلى وظيفة المرأة الأساسية، ومنهم "الكسيس كاريل" الذي قال في كتابه " الإنسان ذلك المجهول: " يجب أن تحسب قوانين التعليم وبخاصة تلك التي تتعلق بالبنات ، والزواج، والطلاق حسب مصلحة الأطفال قبل كل شيء، وينبغي أن تتلقى النساء تعليماً أعلى لا لكي يصبحن طبيبات، أو محاميات، أو أستاذات، ولكن لكي يربين أولادهن حتى يكونوا أقواماً نافعين ، .....**

يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل على الحمل فقط، بل أيضا على رعاية وتربية الصغار (١) .

لذلك كان على المرأة أن تختار العمل المناسب لها، لأن غيرها لن يقوم به على الوجه الصحيح .

ولذلك وجب على المرأة المسلمة، وعلى الرجل المسلم العودة إلى دينهم، والالتزام بأحكامه، والتخلص من كافة الشبهات التي أصابت حياتهم، ونفرتهم مما أباحه الله تعالى لهم، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٢) .

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ٧٥ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

## الفصل الخامس

### مظاهر

### التكريم الإسلامي للمرأة



## مظاهر التكريم الإسلامي للمرأة

تقديم :

بعد التطواف في الفصول السابقة مع قضايا ضرورية قبل مناقشة ما أثاره خصوم الإسلام في قضية مساواة المرأة بالرجل .

**حيث بينت أوجه تكريم الإسلام للإنسان - رجلا كان أو امرأة - في**

الفصل الأول .

**وثبت بتوضيح الهوان الذي عاشت فيه المرأة قبل الإسلام، والمصير الذي تعيشه المرأة غير المسلمة في العصر الحديث نتيجة تحكم الفكر الوضعي في شئونها.**

**وثلثت ببيان أهم خصائص المرأة الفطرية ، والفروق بينها وبين الرجل.**

**لقد جعل الله تعالى الحياة قائمة على الذكر والأنثى، وقضى بوجود فروق بين الأنواع، وبين أفراد النوع الواحد وكان لابد من أحكام شرعية تناسب هذا الاختلاف، وتكون منهجا لتحقيق المساواة الإيجابية بين أفراد المجتمع كله .**

**ولقد لجأ خصوم الإسلام إلى الأحكام الشرعية التي اختلفت فيها أحكام المرأة عن أحكام الرجل وزعموا أنها إساءة للمرأة، وضياح لأهليتها، وإنسانياتها، ولذلك كانت ضرورة بيان هذه الأحكام ، ومناقشتها مناقشة صريحة وعقلية، لتوضيح الحق فيها .**

وفي هذا الفصل سآبين - بعون الله تعالى- قضايا الخصوم، وردھا بالبرهان العقلي، وأدلة الواقع ، وآيات الوحي الصادق الأمين ، .... وذلك

في المباحث التالية : -

## **المبحث الأول** **تكريم البنت بحسن استقبالها بعد الولادة**

إذا أتم الجنين حياته في بطن أمه ، وحن موعده الولادة نجد الإسلام يشرع له كل ما يحافظ عليه ويصونه، وذلك بإرضاعه اللبن الذي قدره الله تعالى له في ثدي أمه ليتغذى به ، وتستريح الأم بإخراج هذا اللبن، ويلهم الله تعالى الوليد إلتقام ثدي أمه ومص اللبن بلا فرق بين ذكر وأنثى .

**ويحث الإسلام الوالدين على ما يقومان به للوليد من آذان وإقامة في أذنيه، وتحنيك فمه، وتسميته، وإقامة العقيقة له، وحلق شعر رأسه، وختانه، وثقب طرف أذنيه.**

**هذه الأعمال التي دعا إليها الإسلام أمور ضرورية وقف على منافعها المسلمون، وأقر بها العلماء المتخصصون من غير المسلمين مع ما فيها من تغاير في التطبيق حين القيام بها بين الذكر والأنثى.**

**فقد شرع الله تعالى في عقيقة الذكر ذبح شاتين، وفي عقيقة الأنثى ذبح شاة واحدة، كما شرع الختان واجبا للرجل، ومكرمة للبنت، وسن للولد حلق شعر رأسه في العقيقة ولم يشرعه للبنت، كما شرع ثقب أذن البنت دون الولد .**

**وحتى لا يتصور أحد أن هذا الاختلاف له دور في قدر الولد أو البنت أحب أن أبين الحكمة في اختلاف الأحكام الشرعية في هذه الأعمال سدا للباب قبل أن يلجه أحد، وسوف أبين القضايا التي دار حولها الاتهام، والتي لم يدر حولها نقاش حتى لا يحدث حولها بعد ذلك اتهام .**

**إن الإسلام دين واقعي يشرع للواقع ويقويه، وينفي الباطل ويرده، ويعدل الخطأ ويصححه، ويأمر بما يصلح للذكر والأنثى .**

والعقيقة أحد الأمور الشرعية التي اختلف حكمها مع الذكر عنه مع الأنثى لما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : ( أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعق عن الجارية شاة ، وعن الغلام شاتين ) (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ( أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن اليهود تعق عن الغلام ولا تعق عن الجارية ، فعقوا عن الغلام شاتين ، وعن الجارية شاة ) (٢) .  
وذبح العقيقة عن الذكر والأنثى لا تعود للمولود بذاته، وإنما ينتفع بها أهله وأقرباؤه، والمحيطون به، فيأكلون، ويتمتعون، ويدعون للمولود ولآبائه بالبركة والتوفيق .

وقد اختلف مقدار العقيقة للذكر عن الأنثى في حكم الله تعالى، لأن الإسلام يؤكد أموراً فطرية تتعلق بالولد الذكر وتتميه، فهو رجل المستقبل، وساعد أبيه، وسند أسرته، وعماد أهله في إبراز القوة، وهو القوام، والولي، والمتحمل للشدائد، وحامل اللواء عند اللقاء، والمنفق على زوجته، وأبنائه، وأبيه، وأمه، وبه يستمر النسب ويدوم .

وأيضاً فإن فطرة الناس عموماً تميل للذكر أكثر من الأنثى، لما تحتاجه البنت من رعاية طوال حياتها رغم بلوغها ورشدها، بينما الولد يقوم بشئونه كلها إذا بلغ راشداً عاقلاً... ولهذا شرع الله تعالى العقيقة للولد شاتين إعلاناً رمزياً منذ مولده على التضحيات التي سيتحملها، والنفقات التي سيقوم بها، وليعلم الجميع ضرورة العدل في المهام التي سيقوم بها بعد ذلك،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٤٦٨٧

(٢) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الضحايا، جامع أبواب العقيقة - باب ما يعق عن الغلام، حديث :

يقول النبي ﷺ: (من أحب أن ينسك عن ولده فلينسك عنه ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاة ) (١) ، والحديث يشير إلى ضرورة تحري العدل، والتساوي بين الناس، وعدم الميل عن الحق، لأن الشياخ المتكافئة تكون متساوية في السن، والسلامة، وكثرة اللحم ليتساوى كل من يأخذ من الشياخ لحما ، أو إطعاما، وفي هذا عدل في العطاء يتساوى الناس فيه حيث لا يختص البعض بلحم شاة أفضل من الشاة الأخرى .

وما دام الآباء يميلون للذكر أكثر فليضحوا في سبيله أكثر .

إن تربية البنت أيسر من تربية الولد، لما في طبيعتها من هدوء، ومسالمة، وطاعة، أما الولد فإنه يميل إلى الخشونة، والعدوان، والعصبية، ولذلك فإن الولد يحتاج إلى عناء أشد في التربية، ولذلك شرع الله تعالى للولد في عقيقته قدرا ضعف عقيقة البنت .

إن الرمزية في العقيقة تدفع الآباء ليهتموا بأبنائهم الذكور لحاجة الذكور إلى العناية حتى يقوموا بواجبهم الشرعي تجاه أسرهم، وأهليهم، ودينهم، والأمة كلها، وفي نفس الوقت لا يقصرون في تربية البنت فتربيتها أيسر وأسهل .

ولا صلة للتغاير في مقدار العقيقة بالتكريم ، لأن مجرد الذبح يحقق التكريم، والتفاضل لمعان أخرى يدعو إليها الواقع ، واختلاف الوظائف المقررة للذكر والأنثى، وقد جاء الإسلام بصور من التغاير في أحكام المرأة والرجل لا تتعارض مع التكريم الإنساني العام .

وقد فاضل الله تعالى بين الرجل والمرأة في كثير من الأحكام ، ومنها ما رواه الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ( أيما امرئ

---

(١) السنن الكبرى للنسائي - كتاب العقيقة، باب - حديث : ٤٤٠٧ .

مسلم ، أعتق امرأ مسلما ، كان فكاكه من النار ، يجزي كل عضو منه  
عضوا منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار  
يجزي كل عضو منهما عضوا منه ، وأيما امرأة مسلمة ، أعتقت امرأة  
مسلمة ، كانت فكاكها من النار ، يجزي كل عضو منها عضوا منها ) (١)

ومن آثار العقيقة في الناس ودلالاتها الرمزية بيان أن الذبح والإطعام  
أفضل من التصدق بثمن الشياه، أو بأكثر من ثمنها، لأن العقيقة سنة ونسك  
وفيها شكر الله ﷻ على نعمته، ورجاء صلاح الولد، وتآلف الأهل والجيران.  
يقول ابن القيم ﷻ : إراقة الدم مقصود لذاته في العقيقة، فقد قرن الله

تعالى الدم بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ ۝٢ ﴾ (٢) .  
وفي قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسَيْتُ وَمَجَّيْتُ وَمَمَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٣ ﴾ (٣) ،  
بيان أن النسك غير الصلاة ، وعلى ذلك قدم العقيقة، والقران، والتمتع نسك  
لا تقوم الصدقة مقامه، ولو كانت أضعاف قيمة الذبيحة .

هذا عن ذبائح العقيقة ، ...

أما حلق شعر الرأس ، والتصديق بزنته ورقا " فضة" أو ذهباً، فقد ذهب  
الجمهور إلى أن السنة تتعلق بحلق رأس الغلام دون الجارية ، لأن للغلام  
فائدة في الحلق دون الجارية ، فشعر الغلام يكون فيه من الوسخ ما يحتاج  
إلى إزالته، وحسن صورته لا تحتاج إلى إطالة شعره ، وليتحمل والده صدقة  
أكثر معه مستدلين بما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ( أن رسول الله ﷺ

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، باب ما جاء في فضل من أعتق، حديث : ١٥٠٨ .

(٢) سورة الكوثر الآية : ٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٦٢ .

أمر برأس الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليهما السلام يوم سابعهما فحلقا ثم تصدق بوزنه فضة (١) .

أما البنت فهي تحتاج إلى الشعر تنزين به من صغرها .  
ولا مانع من حلق شعر البنت، والتصدق بزنته كما يفعل مع شعر الولد، فقد روى مالك في موطاه عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام أنه قال :  
(وزنت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر حسن ، وحسين ، وزينب،  
وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة ) (٢) .

وأما الختان فهو واجب للذكر، ومكرمة للأنثى، لأن الذكر يحتاج إلى الختان، وهو ضروري لتحقيق الطهارة الواجبة شرعا في الصلاة، ودخول المسجد، والطواف، وقراءة القرآن، وغير ذلك .... كما أن ختان الذكر ينقذه من العديد من الأمراض، ويفيد الزوجين عند اللقاء .

وذهب الجمهور إلى أن ختان الذكر واجب لقوله صلى الله عليه وسلم : ( الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة : الختان، والاستحداد ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار، وقص الشارب ) (٣) .

ورأوا أن القلفة ( بضم القاف وسكون اللام وفتح الفاء ) التي تقطع في الختان يصيبها البول، ولا يمكن تطهير باطنها، وإزالة الرواسب الداخلية منها ولا تتم الطهارة إلا بقطعها ، ولذلك كان ختان الذكر واجبا ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الضحايا، باب العقيقة سنة، حديث : ١٧٩١٩

(٢) موطأ مالك - كتاب العقيقة، باب ما جاء في العقيقة - حديث : ١٠٦٧

(٣) صحيح البخاري - كتاب اللباس، باب قص الشارب - حديث : ٥٥٥٧

وتشدد الإمام مالك في هذا الوجوب، فقد ذهب إلى أنه لا تجوز إمامة غير المختون، ولا تقبل شهادته .

وذهب أبو حنيفة، والحسن البصري، وبعض المالكية ، وبعض الحنابلة إلى أن الختان سنة ، وليس واجبا ، إلا أن هذا الرأي مرجوح، والرأي الراجح هو وجوب ختان الذكر (١) .

أما ختان الأنثى فهو مستحب وليس واجبا ، لقوله ﷺ : (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) (٢) ، وسبب تغاير الحكم أن المرأة في حاجة إلى بعض الجلدة الموجودة فوق الفرج لتحس بالجماع مع زوجها، فلو كانت هذه الجلدة صغيرة لا يجوز قطعها، وإن كانت كبيرة يجوز قطع بعضها، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على ذلك، وأمر الخاتنة أن تبقى جزءا من جلدة البنت، فعن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها (أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ : " لا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة ، وأحب إلى البعل ) (٣)

إن الختان ضروري للرجل ولا بد منه، وليس ضروريا للمرأة، وقد يكون ضارا بها، ولذلك كان اختلاف حكم الختان بين الذكر والأنثى. ومثله تماما مشروعية ثقب أذن البنت دون الولد لحاجة البنت إلى لبس القرط للتحلي به (٤) .

---

(١) ينظر هذا البحث في " نظام الإسلام في صناعة الإنسان " ص ١٣٠ : ١٣٢ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الأدب، في الختانة من فعلها - حديث : ٢٥٩٢٧

(٣) سنن أبي داود - كتاب الأدب، أبواب النوم - باب ما جاء في الختان، حديث : ٤٦٠٨

(٤) انظر " نظام الإسلام في صناعة الإنسان "

## المبحث الثاني

### تكريم البنت

#### باطالة الحضانة ووجود الولي

حفظ الإسلام كرامة البنت وهي في مرحلة الطفولة، فحث على إرضاعها، وحضانتها بلا فرق بينها وبين الولد، ودعا إلى تعليمها العلوم التي تفيدها، ولا تختلف عن الولد في هذه المرحلة إلا في المسائل التالية :-

#### - أولاً -

#### طول مدة الحضانة

تبدأ مرحلة حضانة الصغير بعد انتهاء مدة الرضاعة تامة أو ناقصة ، وتنتهي حضانة الذكر إذا استغنى عن خدمة المرأة، واستطاع أن يخدم نفسه، ويولي شئون ذاته من طعام، وشراب ، وملبس، وقد قدرها جمهور الفقهاء عند بلوغه السابعة، وهي سن التمييز، حيث تبدأ أهلية الأداء، وصلاحية الولد لتقبل الأمر والنهي، لقوله ﷺ: ( مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) (١)، والأمر الديني لا يكون إلا في المستطاع، وبذلك تنتهي فترة الحضانة للولد عند السابعة .

وأما البنت فإن حضانتها لا تنتهي عند سن السابعة كما قال الشافعية ، وإنما ذهب الجمهور إلى أن مدة حضانة البنت تمتد بعد السابعة. فقال الأحناف: أن حضانة البنت تمتد إلى أن تبلغ حد الاشتهاء، أو إلى أن تظهر عليها علامات البلوغ ، وتبقى البنت هذه المدة مع الحاضنة

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة - حديث : ٤٢٣

لتحافظ عليها، وتصونها من أي ضرر يلحق بها، وتعلمها ما تحتاج إليه المرأة من رعاية البيت، وتربية الأولاد، والقيام بحق الزوج .

**وطول حضانة البنت** تكريم لها، لأنه ينمي فطرتها، ويصون عفتها وطهارتها، ويعرفها أحكاما تحتاج إليها في مستقبل عمرها، ولم يكن ممكنا تعريفها بها قبل ذلك .

**كما أن طول حضانة البنت** يحميها من الذئاب الجائعة الراغبة في الفسق والفجور، ويظهر هذا الأمر أوضح في العصر الحديث، حيث كثرة التحرش بين الكبار والصغار، ووسط كافة الطبقات .

**أما الولد فإنه** يحتاج بعد سن السابعة إلى مصاحبة الرجل ليتعود منه على الشجاعة، وتحمل المشاق، وتقدير المسؤولية، وطرق التخلص من المشاكل الخاصة به وبأسرته، وكيفية أدائه للواجب عليه تجاه أمه، وأخوته، وزوجته، وأبنائه ...

**إن طول حضانة البنت** حفظ لفطرتها، وتنمية للخصائص والوظائف التي خلقها الله تعالى لها، ويكفي حاجة البنت في هذه الفترة إلى أن تتعلم مفاهيم العفة والطهارة، ومعرفة أحكام الدم التي تراه البنت عند بلوغها، ولن يتم لها ذلك إلا بعد أن تعيش في كنف حاضنة ترعاها وتوجهها .

**وبقاء الولد بعد سن السابعة** في رعاية حاضنة ضرر له ، لأنه بذلك لن يتعلم حنكة الرجولة، وشهامة المواجهة، وكيفية المعاملات، وحماية الأسرة ، والإنفاق عليها ، ودوره في حماية الوطن والدفاع عنه .

## - ثانياً -

### استمرارية الولاية على البنت

الولاية على النفس وعلى المال يحتاجها الولد منذ صغره - ذكرا كان أو أنثى-، ولذلك شرع الإسلام الولاية مع المرضعة والحاضنة، لأن كلا من المرضعة والحاضنة تحتاج لرجل يراعى شؤون الولد المالية، والخارجية، ... وغيرها .

إن الولي يتولى إدارة مال الولد إن كان له مال، ينميه له، وينفق عليه منه، ويتولى كافة المسائل التي يحتاج إليها خارج البيت، مثل الإجراءات الصحية، والإدارية، والاجتماعية ... .

إن وجود الولي بصورة عامة ضروري لرعاية جميع مصالح المولود خارج البيت البعيدة عن إرضاع الولد وحضانته، وتظهر عمليا أكثر بعد مرحلة الحضانة، فالولد ينتهي من الحضانة، ويستمر معه الولي إلى أن يبلغ راشدا عاقلا يعتمد على رشده، ورجولته بعد البلوغ، ويتولى أمر نفسه، وأمر ماله، وكافة شؤونه .

أما البنت فإن حضانتها تستمر مع الولاية التي تشمل أموالها، ونفسها إلى أن تتزوج، فالولي يتولى التعاقد عن البنت الصغيرة في مالها، وينوب عنها في العقود ويختار معها من يتقدم لخطبتها حتى لا تتزوج غير كفاء لها . وعموم الولاية على البنت، واستمرارها بعد البلوغ تكريم لها للمحافظة عليها، وضمان حقوقها، وحتى لا تقع في غرر أو ضرر .

إن الولي يلي أمر البنت مع المرضعة، والحاضنة مثل الولد لينفق، ويعلم، ويشرف على توفير متطلبات الغذاء، والمأوى، ونفقات الملبس، والصحة، والتعليم، وهو مسئول عن حماية الصغيرة من العدوان والإهمال،

وهذا أمر مشروع لا اعتراض عليه، فإذا بلغت البنت تملك الأهلية في كافة العقود والتصرفات كالبيع والشراء، والهبة، والوصية، ... ما عدا عقد النكاح فليس لها أن تقوم به وحدها .

**فقد اتفق الفقهاء والعلماء على أهمية وجود الولي في الزواج ، يقصده الخاطب، ويناقشه في المهر، ويعلم منه أحواله، وصفاته، ودينه، وسائر المسائل التي تحتاجها الزوجة مع زوجها، ويسأل عنه من عاشره في سفر، أو تجارة، أو جوار، ... وهي مسائل تعجز فيها المرأة عن معرفة حقيقتها، كما يقوم الولي بأخذ رأي المخطوبة في الرجل الذي يتقدم لخطبتها، ومباشرة العقد، ومباركة زفاف المرأة لزوجها، واستقرارها في بيت الزوجية .**

**اتفق الفقهاء على رعاية البنت قبل الزواج، ولكنهم اختلفوا في ولاية التزويج، وفصلوا آراءهم في مؤلفاتهم الفقهية ، وكلها تؤكد حرص الإسلام على مصلحة المرأة، والمحافظة عليها لتعيش حياتها مع أولادها وزوجها في رغد، وخلق، ودين .**

**وقد نظر خصوم الإسلام إلى ولاية الزوجية نظرة سيئة ، ورأوا أنها إهانة للمرأة ، وأنها ضيقت أهليتها وكرامتها، وهذا اتهام باطل سنرد عليه - بإذن الله تعالى - في المطالب التالية : -**

## المطلب الأول رأي الفقهاء في ولاية التزويج

ولاية التزويج نوع من الولاية على النفس التي شرعها الله تعالى للبنات قبل بلوغها وبعده.

أما تشريعها قبل بلوغ البنت فهو حكم متفق عليه بين الفقهاء، حيث يذهب جميع الفقهاء إلى أن وجود الولي لإنكاح الصغيرة ولو كانت ثيباً واجب لا بد منه مثل نكاح المجنونة، والأمة لضعف عقولهن، وغفلتهن، وعدم أهليتهن بسبب الصغر، أو الجنون، أو عدم الحرية، وهو واجب يقوم به الأب، أو الابن، أو الجد، أو السيد، أو من يقوم مقامهم .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الولاية في نكاح البالغة العاقلة :

فذهب المالكية، والشافعية إلى أن وجود الولي ركن من أركان النكاح لا يتم العقد إلا به (١) .

وذهب الحنابلة إلى أن وجود الولي شرط لصحة العقد لا يصح النكاح إلا بوجوده (٢) .

وذهب ابن سير، والقاسم بن محمد، والحسن بن صالح، وأبو يوسف إلى أن البالغة الرشيدة لها أن تزوج نفسها بشرط إذن وليها لها في ذلك (٣) وقد استدلت المالكية، والشافعية، والحنابلة على مذهبهم بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ( لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل ، وما كان من

(١) المغني لابن قدامة ج٦ ص ٤٦٢، كشاف القناع ج٥ ص ٥٦ .

(٢) المغني لابن قدامة ج٩ ص ٣٩٨ .

(٣) بدائع الصنائع ج٢ ص ٢٤٢ .

نكاح على غير ذلك ، فهو باطل ) (١) ، ووجهوا النفي في الحديث إلى نفي الصحة، وبقوله ﷺ في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها : (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل) (٢) ، وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها ) (٣) .

وذهب الأحناف إلى أن الولاية شرط في صحة عقد نكاح الصغيرة، والمجنونة، والأمة لعدم أهليتهن، وعدم إدراكهن للمصلحة، متفقين مع غيرهم من الفقهاء، أما البالغة الرشيدة الحرة فلها أن تزوج نفسها عندهم، ولا يشترط وجود الولي.

واستدل الأحناف على مذهبهم بأن الله تعالى خاطب المرأة في شأن نكاحها في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ (٤) ، وبحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ( الأيم أحق بنفسها من وليها ) (٥) ، وبقوله ﷺ : ( ليس للولي مع الثيب أمر ) (٦) ، ففي الآية أسند الله تعالى نكاح المرأة إليها، وبين الحديث أن المرأة أحق بنفسها من وليها .

---

(١) صحيح ابن حبان - كتاب الحج، باب الهدي ، حديث : ٤١٣٨

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب النكاح حديث : ٢٦٣٦

(٣) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي - حديث : ١٨٧٨

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٠ .

(٥) صحيح مسلم - كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق - حديث : ٢٦٢٣

(٦) مستخرج أبي عوانة، كتاب النكاح ، باب ذكر الخبر الدال على أن الثيب إذا رغبت في رجل - حديث

**وقاس الأحناف النكاح على البيع** ، وذكروا أن المرأة يجوز لها أن تبيع وتشترى بلا ولي، فكذاك النكاح، وذكروا أن الأحاديث التي علقت النكاح على ولي يراد منها كمال النكاح لا صحته، ولأن المرأة بمجرد البلوغ تتمتع بأهلية كاملة في كافة تصرفاتها، ومنها عقد النكاح .

**وقد رد المشترون** وجود الولي أدلة غيرهم، وقالوا إن إسناد النكاح في المرأة مجازي لا ينافيه أن يقوم بالعقد الولي بعد أمر البنت، وأن الأحاديث لا تفيد استقلال المرأة بعقد نكاحها، والذي تفيده هو ضرورة أخذ رأيها وإبداء رضاها صراحة أو تلميحاً، وبينوا أن النكاح يختلف عن سائر العقود لأسباب عدة ... منها :

- أن النكاح يتعلق بالعرض والشرف، وهو محل اهتمام الأولياء .
  - ومنها أن العار والفضيحة في النكاح تلحق الأولياء، وتصيبهم أكثر من المرأة ، ولذلك كان دورهم في النكاح مهما.
- وعلى هذا تتنوع ولاية التزويج** عند الفقهاء إلى ولاية إجبار، وولاية اختيار واستحباب .
- وقد أجمع الفقهاء على** أن ولاية الإجبار لازمة مع الصغيرة، والمجنونة، والأمة لثبوت قصور عقلم (١) .

---

(١) المهذب ج٢ ص٢٨ ، بدائع الصنائع ج٢ ص٢٤١ ، ومتهى الإرادات ج٣ ص١٤ ، المغني ج٩ ص٣٩٨ ، الفتاوى ج٣ ص١٣٥ ، طبع الريان.

## المطلب الثاني

### سبب مشروعية ولاية التزويج

ذهب جميع الفقهاء إلى أهمية مراعاة مصلحة البنت، واستنباط الأحكام التي تكرمها، وتحافظ على مصالحها، وكان اختلافهم نابعا من رؤيتهم في كيفية تحقيق هذه المصلحة .

**فالذين يرون أن وجود الولي ركن في العقد، أو شرط في صحة النكاح** يرون ذلك لأنه يتفق مع طبيعة المرأة، وحاجتها إلى خبير يهّمه أمرها، وبخاصة في هذا الأمر الهام .

**ولأن فكر المرأة حين يتقدم لخطبتها رجل ما يدور بين العقل والعاطفة،** فإن هي غلبت عقلها رفضت الزواج خوفا من المجهول الذي ستنتقل إليه، وإن غلبت عاطفتها رضيت بالزواج بلا تبصر وتفكير ، ومن هنا كان وجود الولي ضروريا للمرأة عند نكاحها، لأنه يبصرها بحال الخاطب، ويسأل عنه من عاشره في سفر، أو جوار، أو معاملة ، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بالأدلة المذكورة في المطلب السابق.

**ومما يؤكد الحاجة إلى الولي أن القائلين بضرورة وجوده في العقد** اشتراطوا فيه أن يكون رجلا حرا، راشدا، بالغاً، سليماً، عادلا قريبا من المرأة ليقوم بدوره في رعاية مصلحة موليته، وردوا أي ولي لا يتصف بهذه الصفات .

**ويؤيد ذلك أيضا أن الأحناف لم يلغوا وجود الولي أصلا ، وإنما أثبتوا** الولاية ، وحكموا عليها بالندب مستدلين بقصة البنت التي جاءت تشكو أباهَا لرسول الله ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ( جاءت امرأة تريد رسول الله ﷺ فلم تلقه، فجلست تنتظره حتى جاء .

فقلت : يا رسول الله إن لهذه المرأة إليك حاجة .

قال ﷺ لها : " وما حاجتك ؟ " .

قالت : إن أبي زوجني ابن أخ له ليرفع خسيسته بي ولم يستأمرني فهل

لي في نفسي أمر ؟ .

قال ﷺ : " نعم " .

قالت : ما كنت لأرد على أبي شيئاً صنعه، ولكني أحببت أن تعلم النساء

ألهن في أنفسهن أمر أم لا ؟ (١) ، فقد جوز الحديث ولاية الأب ولم

يردها، وما رفضه رسول الله ﷺ هو إنكار مخالفة رأي البنت في أمر

زواجها.

وقد بين العلماء أن اشتراط الولي في النكاح لصالح المرأة ، وتكريم

لها، لأن الرجل يعلم أنه قوام على المرأة ، ولذلك حسن أن يتعامل مع رجل

من عصبتها، يكافئه في الفهم والإدراك، ويناقشه في مسائل المهر، وإعداد

بيت الزوجية، والنفقة، وكافة الأمور الاجتماعية المتصلة بالزواج .

ووجود الولي في النكاح جزء من مسئوليات الرجال الذي جعله الله

تعالى لهم على النساء في قوله تعالى : ﴿ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢) ، حيث

تشير الآية إلى الفوارق الفطرية الموجودة بين الرجل والمرأة ، فقد أعطى الله

تعالى للرجل قوة الجسم، ودقة الفهم، وبقطة العقل، وهذا يستتبع بالضرورة أن

يباشر درجته التي تميز بها في تولي مصلحة المرأة ، وحماية شرفها وشرف

أهلها.

---

(١) سنن الدارقطني - كتاب النكاح، حديث : ٣١٠٧

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .

إن الرجل أكثر ابتكارا في التفكير، واستقلالا في الرأي، وأكثر انتباها، وأرشد حذرا من الوقوع في الخطأ أثناء الحوار والمناقشة، ويتأني في الإجابة ، ويحلل ما يراه قبل أن يقرر ما يرى .

إن الرجل في هدوئه يكتشف العلاقة بين المعلومات المتغايرة، والظواهر العديدة، ويميل إلى اكتشاف القضايا الغامضة، ويدقق في الجزئيات إذا عاش في مسألة هامة ...، ولذلك كانت ولايته في تزويج المرأة حرصا من الشارع على مصلحة المرأة، وتوضيحا للخاطب ليعلم قدر مخطوبته، وهو يتعامل مع وليها .

لم يشرع الإسلام الولاية بسبب تفضيل الرجل، أو قصور المرأة، وإنما شرعها لتجنب أي نقص تقع فيه المرأة، وتجنب أي ضرر، أو غرر ينالها، وهي لا تدري عنه شيئا .

إن تشريع الولاية بصورة عامة تكريم للمرأة، لأن الله تعالى خلق الذكر والأنثى مختلفين في أمور عدة، وجعل لكل منهما طاقة ودورا.

والواجب أن يدرك الذكر أنه أخ للأنثى، أو أب لها، وعليه أن يسخر كل قدراته لإقامة أسرة حنونة، ومجتمع متماسك .

وخير للبنات أن يتولى تزويجها رجل من قومها ليرى الخاطب حسب مخطوبته، ونسبها، ويعلم هوية أسرتها، وطرق معاملاتهم للآخرين ، ....

ويجب على المرأة أن تحافظ على برجها العالي الذي وضعها الإسلام فيه، وهي مصانة في خدرها، يبحث عنها الرجل، ويفتش عن صفاتها، وخصائصها، ويتقدم لوليها راغبا في نكاحها، مؤملا في موافقتها، ورضاها، ويدرك أن وصوله إليها لا يتم إلا عن طريق حصن يعادله ، ويناقشه بوضوح لا خفاء فيه ولا حياء .

ومما يؤكد أن الولاية تكريم للمرأة ، وحرص على مصالحها أن الولي لا يقطع بأمر الزواج دون أخذ موافقتها ، ولا بد من رضاها بالأمر أو بالأذن مادامت بالغة عاقلة، رشيدة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن " .

قالوا : يا رسول الله ، وكيف إذن؟

قال : " أن تسكت ) ( ١ ) ، وسبب المغايرة بين البكر والثيب أن الثيب خبرت الرجل، وتملك الجرأة ، أما البكر فهي ليست كذلك، وهي تستحي، ويكفي منها ما يشير إلى رضاها .

عن عائشة رضي الله عنها ( أنها قالت : يا رسول الله ، إن البكر تستحي ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " رضاها صمتها " ) ( ٢ ) .

وأصل الاستثمار طلب الأمر ، فلا يصح للولي أن يعقد لموليته البالغة الثيب قبل أن يأخذ رأيها الصريح، فوجود الولي ضروري إلا أنه لا يتصرف إلا بأمر البنت ما لم تكن البنت غير مدركة لمصلحتها لصغرها، فإن كانت صغيرة يزوجه أبوها بغير إذنها، لأنها لا تقدر لمصلحتها حق قدرها .  
أما البالغة البكر فلا بد مما يدل على إذنها، مثل السكوت، والضحك، والإشارة .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها - حديث :

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها - حديث :

ولقد اقتدى الفقهاء برسول الله ﷺ في ذلك، فقد رد ﷺ زواج الثيب التي زوجها أبوها وهي كارهة، ( فعن خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنهما أن أبوها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك ، فأنت رسول الله ﷺ " فرد نكاحه ) (١) .

وكانت خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنها قد تأيمت من زوجها أنيس بن قتادة الأنصاري الذي استشهد يوم أحد، فأنكحها أبوها رجلا وهي له كارهة، فأنت النبي ﷺ فرد نكاحها .

يروى أبو بكر بن محمد حريصه ( أن رجلا من الأنصار يقال له أنيس بن قتادة زوج خنساء بنت خدام ، فقتل عنها يوم أحد ، فأنكحها أبوها رجلا ، فجاءت النبي ﷺ، فقالت : " إن أبي أنكحني رجلا ، وإن عم ولدي أحب إلي منه " ، فجعل النبي ﷺ أمرها إليها ) (٢) .

وهذا يدل على أنها قد ولدت من زوجها الأول، وأخوه هو عم أولادها، وقد رغبته ليرعى معها أولاد أخيه، وقد خبرت فيه الأمانة، وحسن الصحبة، والمرحمة.

وبفهم من حديث خنساء رضي الله عنها أن من حق المرأة أن ترفض رجلا وافق عليه أبوها لعله تراها في الخاطب ، أو في نفسها، أو في مصلحة أولادها، أو في غير ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها ( أن فتاة دخلت عليها فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة . قالت رضي الله عنها : اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ .

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود - حديث : ٤٨٤٦

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب النكاح، باب ما يكره عليه من النكاح فلا يجوز - حديث :

فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته ، " فأرسل إلى أبيها فدعاه ، فجعل الأمر إليها .

فقالت : يا رسول الله ، قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم أالنساء من الأمر شيئا) (١) .

والنكاح هنا ليس مردودا، ولا باطلا، لأن في قوله ﷺ " فجعل الأمر إليها" يفيد أن النكاح منعقد إلا أن نفاذه موقوف على أمرها، وخاصة أن هناك احتمال زوال العلة بزوال الخساسة من الزوج ورفعها عنه، بدليل لفظ الحديث " ليرفع بها خسيسته" وفي هذا الحال ترفع عنه إذا فعل فعلا يكون فيه رفعته، وإلا لفرق بينهما رسول الله ﷺ ، ولم يجعل الأمر إليها ، لأن الإسلام " لا يحل للأب تزويج ابنته من غير كفاء، ولا من معيب" (٢) .

ولأن الزواج لا يقوم إلا عن رغبة بين الأكفاء، كان من حق المرأة أن ترفض ما لا ترغب فيه، وتقبل ما ترغب فيه، ولها أن تفاضل بين كفاين في الاختيار لنفسها ، فعن موسى بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : (خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فأبته. فقبل لها : ولم ؟

قالت : إن دخل دخل ببأس ، وإن خرج خرج ببأس ، قد أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه ، كأنه ينظر إلى ربه بعينه .  
ثم خطب الزبير بن العوام ، فأبته .  
فقبل لها : ولم ؟

---

(١) السنن الصغرى - كتاب النكاح، البكر يزوجها أبوها وهي كارهة - حديث : ٣٢٣٤

(٢) ابن قدامة المغني ٦ / ٤٨٩ .

قالت : ليس لزوجته منه الإشارة في قراملها .

ثم خطبها علي ، فأبت .

قيل لها : ولم ؟

قالت : ليس لزوجته منه إلا قضاء حاجته ، ويقول : كيت وكيت ، وكان

وكان .

ثم خطبها طلحة، فقالت : زوجي حقا .

قالوا : وكيف ذلك ؟

قالت : إني عارفة بخلائقه إن دخل دخل ضاحكا ، وإن خرج خرج بساما ،

إن سألت أعطى ، وإن سكت ابتدأ ، وإن عملت شكر ، وإن أذنبت غفر .

فلما أن ابنتى بها ، قال علي عليه السلام : " يا أبا محمد ، إن أذنت لي أن أكلم

أم أبان ؟ "

قال : كلمها .

فأخذ علي بسجف الحجلة ثم قال : " السلام عليكم يا عزيزة نفسها " .

قالت : وعليك السلام .

قال : " خطبك أمير المؤمنين فأببتيه " .

قالت : قد كان ذلك .

قال : " وخطبك الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد حواريه فأببيت " .

قالت : وقد كان ذلك .

قال : " وخطبتك أنا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله فأببيت " .

قالت : وقد كان ذلك .

قال : " أما والله لقد تزوجت أحسننا وجها ، وأبذلنا كفا ، يعطي هكذا وهكذا (١) .

فالذين تقدموا لخطبتها كانوا من كبار الصحابة - من العشرة المبشرين بالجنة- ، وكلهم قرشيون ، فهم في الحسب، والنسب، والشرف سواء، وإذا كانت الذي اختارته لنفسها يفضله عمر، وعلي رضي الله عنه ، لفضلهما في الإسلام ، فقد اختارت ما فيه الخير لنفسها دونما إلحاق ضرر بالآخرين، وهذا حق مشروع لها من الوجهة الدينية ، ولا يضيرها ما فعلت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها إذ قدمت أسامة رضي الله عنه على أبي الجهم ومعاوية رضي الله عنهما ، بإرشاد من رسول الله صلى الله عليه وآله وهدية، لكن أم أبان جعلت لنفسها الحق في الاختيار، فاختارت أخيرهم لها من بين أربعة كلهم أكفاء، وهو حق كفله لها التشريع " (٢)

إن الإسلام يسر للمرأة سبل الاختيار، فأباح لها أن تنظر إلى من يتقدم لخطبتها لترى فيه ما يدعوها إلى الرضى، وما تميل إليه نفسها ، فعن إبراهيم بن ميسرة رضي الله عنه قال : ( خطب رجل شاب امرأة قد أحبته ، فأبوا أن يزوجوها إياه .

فسألت طاووسا، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لم ير للمتحابين مثل النكاح " ، وأمرني أن أزوج (٣) .

إن الله تعالى خلق الإنسان، وهو العليم بظاهره وباطنه، ولذلك شرع له ما يشبع نفسه، وعواطفه، وما يرضي بدنه وقلبه .

(١)المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب معرفة الصحابة ، ذکر مناقب محمد بن طلحة حدیث : ٥٥٩٣

(٢) الأسرة في ضوء الكتاب والسنة للدكتور / السيد أحمد فرج ، ص ٧٧ .

(٣)مصنف عبد الرزاق الصنعاني - کتاب النکاح، باب ما یکره علیه من النکاح - حدیث : ١٠٠١٧

**والخلاف بين الفقهاء** ينحصر في فهم النص، وتوجيه الدليل، والجمع بين ما ظاهره التعارض، ... ويحتار كثير من العلماء في هذا الاختلاف بعدما يرون قوة استدلال كل فريق لدرجة أنهم يميلون لهذا الفريق مرة، ولهذا الفريق مرة أخرى ، .... ويرون في النهاية أن اختلاف الفقهاء في توجيه الأدلة، وفهم النصوص رحمة بالأمة، لأن تحليل الفقهاء لأدلة أحكامهم دليل على عظمة الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، لأنها تفتح أمام المكلف اختيار الحكم المناسب له، معتمدا على ما ذهب إليه الفقهاء، فكلهم يرجع في استدلاله إلى رسول الله ﷺ .

**وفي مسألة الولي** أرى رجحان رأي الشافعية، والمالكية، والحنابلة الذين ذهبوا إلى ضرورة وجود ولي للمرأة في العقد - ركنا أو شرطا - ، لقوة أدلتهم، ورعاية لمصالح البنت ، وبخاصة في عصرنا الذي كثرت فيه الفتن ، وساءت الأخلاق، وصارت الأعراض مرتعا للتجار، والعبثيين، ولا مانع من الأخذ برأي الأحناف فلم أدلتهم الشرعية، وقد تجد أحوال تدفع إلى ضرورتها مثل الهجرة، والسكن في بلاد غير إسلامية ينعدم فيها وجود أولياء .

## المبحث الثالث

### تكريم البنت في مرحلة التكليف

تصل البنت إلى مرحلة البلوغ بظهور علامات معينة تدل عليه، وتبدأ التكاليف الشرعية مع هذه المرحلة ، حيث تضع لها الشريعة الإسلامية أحكاما خاصة بها .... أهمها :

- وجوب ستر المرأة عورتها، وهو بدنها كله ما عدا الوجه والكفين .
- عدم الاختلاط بالرجل الأجنبي إلا عند الضرورة .
- منع السفر مدة تستغرق يوما وليلة إلا مع محرم لها .
- منعها من الصوم والصلاة أثناء فترة الحيض والنفاس .
- عدم تكليفها بحضور الجمعة والجماعات، ومباشرة الجهاد .
- جعل صفوفها خلف صفوف الرجال، والصبيان في الصلاة .
- عدم تعيين ثوب خاص تحج فيه كالرجال .
- جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.
- جعل ديته نصف دية الرجل .
- جعل ميراثها نصف ميراث الرجل .

إن أحكام الإسلام في هذه الأمور تختلف إذا كانت للمرأة عنها إذا كانت للرجل، ولذلك كانت مظنة وجود تفاضل للرجل على المرأة ، فتصور بعض الضعفاء وغير المسلمين أن أحكام الإسلام في هذه القضايا تسيء إلى المرأة، وتحرمها من أشياء مباحة للرجل، وجعلوا هذه الأحكام مع غيرها دليلا على عدم مساواة الإسلام المرأة بالرجل، واتبعوا رأيهم بضرورة إلغاء هذه الأحكام، وإطلاق الحرية للمرأة في الاختلاط، والعمل، وفي النادي، وفي السفر، وفي أي مجال، ولو كان التجارة والحدادة، والعمل في مصانع الحديد

والغزل، وتنظيف الشوارع والطرق .

**إن هؤلاء الخصوم عملوا على إبعاد المرأة عن دينها بأوهام تخيلوها، وعاشوا معها بلا تأمل لأحكام الإسلام وأدلة التشريع .**

**إن الله ﷻ شرع للمرأة أحكاما تكليفية تختلف عما كلف به الرجل، وفيها تكريم واضح للمرأة ، لأنها تلتقي مع طبيعتها، وتحافظ على أنوثتها، وعفتها، ورقتها، وتتوافق مع الفوارق التي تتميز بها .**

**إن الغريزة الجنسية دافع رئيسي عند الذكر والأنثى في سائر الكائنات، وهي في الإنسان أشد وأقوى، لأن الواقع والعلم يوضح أن الأنثى في الكائنات الحية غيرها في الإنسان لأنها لا تميل للذكر إلا عند رغبتها في التلقيح قبيل الحمل ، والتكاثر ، .... وفي غير هذا الوقت يختفي الدافع الغريزي عند إناث الكائنات الحية ، ونشاهد ذلك النفور في إناث الغنم، والأنعام، والخيل، والجمال، ... وغيرها من الإناث، حيث نراها ترفض الفحل، والكبش، والتيس وغيرها من الذكور في سائر الأوقات .**

**أما الإنسان - ذكرا أو أنثى - فإن الدافع الجنسي يستمر في نشاطه بصورة دائمة بلا انقطاع، فيميل الذكر للأنثى، وتميل الأنثى للذكر بعد بلوغهما، وقبل بلوغهما، وعلى الآباء والمربين ملاحظة هذه الخاصية في الأولاد، والتعامل معها بما يوجهها نحو الخير والصلاح ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالفصل بين الولد والبنت الأخوين في المضاجع إذا بلغا عشر سنين، يقول النبي ﷺ : ( مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها ، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع " ) (١) .**

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة - حديث : ٤٢٣

وشرع الله ﷻ الزواج المبكر ليشبع الإنسان بالزواج فطرته، ويثري المجتمع بالذرية الصالحة، ويحافظ على الأنساب، وكرامة الناس.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ( كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله ﷺ : " يا معشر الشباب ، من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) (١)

وعوامل الفتنة في المرأة أكثر وأكبر، فلامح جسدها من حيث الدقة ، وليونة الجلد، ورخاوة الصوت ظاهرة لمن تختلط بهم، فوجهها، ورأسها، وصدرها، وحركتها، ومشيتها، تنطق بالإثارة، وتشعل الغرائز .... ولذلك شرع الإسلام ما ينقذ الإنسان من أضرار الدوافع الغريزية ، فنبه على أخذ الحذر عند التعامل مع المرأة، وتذكر الفضيلة عند الالتقاء بها، تجنباً للفتنة، وهجرا لوساوس الشيطان، واستعلاء على خواطر النفس الأمارة بالسوء .

يقول النبي ﷺ :

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء ) (٢) .

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته : ( .... ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبايل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ) (٣) .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم - حديث : ٤٧٨٠

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، حديث : ٥٠٢٩

(٣) المطالب العالمة للحافظ ابن حجر ، كتاب الرقائق، باب الوصايا النافعة - حديث : ٣١٨٠

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : ( إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ) (١) .

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها ) (٢) .

ودعا الإسلام المرأة إلى حسن التعامل مع واقعها، وتجنب مواطن الإثارة والفتنة، فشرع ما يلي : -

١- ضرورة ستر المرأة عورتها، وعورتها تشمل كل جسدها ما عدا الوجه والكفين، وقد سبق توضيح ما يتصل بالعورة .

٢- تحريم اختلاط المرأة بالرجال الغرباء إلا عند الضرورة ، مع المحافظة على كافة الضوابط الشرعية عند الاختلاط مثل غض البصر، وعدم إبداء الزينة ، وعدم إخضاع القول .

٣- تجنب اختلاء المرأة برجل أجنبي عنها في مكان مغلق لقوله صلى الله عليه وسلم:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويقول: ( لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ) (٣)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، حديث : ٥٠٣١

(٢) صحيح ابن خزيمة - كتاب الإمامة في الصلاة، باب اختيار صلاة المرأة في بيتها، حديث : ١٥٨٣

(٣) صحيح مسلم - كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره - حديث : ٢٤٦٨

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ولا يخلون أحدكم بالمرأة ، فإن الشيطان ثالثهما ) (١) .

٤- منع المرأة من السفر إلا مع محرم لها ولو كان السفر إلى الحج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة ) (٢) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم .

فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، امرأتي خرجت حاجة، واكتتبت في غزوة كذا وكذا .

قال صلى الله عليه وسلم : " ارجع فحج مع امرأتك ) (٣) .

٥- إقامتها في صف مع النسوة خلف الصبيان إن صلت في جماعة، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم يليه في الصلاة الرجال ، ثم الصبيان ، ثم النساء " ) (٤) .

٦- عدم فرض حضور الجمعة والجماعات في المسجد تيسيرا لها ، وحتى لا تختلط بالرجال .

٧- ترك الصلاة والصوم حين يأتيها الحيض والنفاس لصعوبة تطهرها، وضعفها لسيلان الدم، وعليها أن تعيد الصوم ولا تعيد

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ ذكر الإخبار عما يظهر في الناس من المسابقة في الشهادات، حديث: ٦٨٣٦

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجمعة، باب: في كم يقصر الصلاة، حديث: ١٠٥٢

(٣) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم - حديث: ٤٩٣٨

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الصلاة، باب الرجال يأتمون بالرجل ومعهم صبيان ونساء، حديث: ٤٧٩٦

الصلاة ، لقول عائشة رضي الله عنها: (كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ثم نظهر فيأمرنا بقضاء الصوم، ولا يأمرنا بقضاء الصلاة) (١)

٨- جعل ميراث الرجل ضعف ميراث الأنثى.

٩- جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

١٠- جعل ديته نصف دية الرجل .

١١- عدم تكليفها بثوب خاص تحرم به للحج، وجواز حجبها

بثوبها العادي الذي تلبسه.

**والحق أن العاقل المنصف يرى هذه الأحكام تكريما للمرأة، وصيانة لعفتها وطهارتها ، ويتيقن من عظمة الإسلام في مراعاته لواقع المخلوقات ، ويزداد إيمانا بأن تشريعات الإسلام من لدن حكيم خبير .**

**إن حال المرأة قائم على الحسن والجمال مظهرا ومخبرا، وأنوثتها مطلب غريزي يشد الرجل إليها ، وقد بدأت الإنسانية بزواج شرعي أمر الله تعالى به آدم وحواء - عليهما السلام- إشارة عملية إلى أن تنوع الإنسان إلى ذكر وأنثى وجد ليلتقي الطرفان في زواج شرعي يحقق غاية رئيسية هي ملء الأرض بالناس في جو من الأُنس والسكن، والحنان، والمودة، ولا يتحقق ذلك إلا في إطار أسرة فيها الرجل، وفيها المرأة ، حيث يميل كل منهما للآخر، ويسكن له ومعه ... ولم يترك الله ﷻ الأمر هملا للناس، وإنما شرع الزواج بأركانها، وشروطه، ليشبع الإنسان فطرته بمنهج الله تعالى .**

**ومن رحمة الله تعالى بالناس أن وضع قيودا لأعمال الإنسان تبعده عن مواطن الزلل ... منها ما شرعه الإسلام للمرأة في الجوانب الاجتماعية التي**

---

(١) لسنن الصغرى - الصيام، وضع الصيام عن الحائض - حديث : ٢٢٩١

تضطر فيها للتعامل مع الرجل، ....

ومن هذه الأعمال تقسيم الرجال إلى محارم وغير محارم، وتقسيم المحارم إلى صنفين ، صنف يحرم عليه أن يتزوج المرأة تحريماً دائماً، وصنف يحرم عليه الزواج حرمة مؤقتة.

وقد بين الله تعالى المحرمات على التأبيد في قوله ﷺ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُ الْمَنِيِّ أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا نَّجِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (١) .

وبين رسول الله ﷺ أن الرضاعة تحرم ما يحرمه النسب، وذلك في قوله ﷺ : ( وإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ) (٢) .

كما بين رسول الله ﷺ ما تحرمه المصاهرة، فحرم أن يجمع الرجل الأخت مع أختها، أو عمتها، أو خالتها في وقت واحد .  
ومن تحديد المحارم على وجه التأبيد أو التأقيت يعرف الرجال والنساء الحالات التي يجوز فيها الاختلاط ، والتي لا يجوز فيها، لأن المحرم يعرف واجب الحرمة، ويعد نفسه مسئولاً عن المحافظة على محارمه .

(١) سورة النساء الآية : ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الرضاع، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة - حديث : ٢٧٠٢

## ومن هنا

أوجب الله تعالى على المرأة أن تستر جسدها كله أمام الرجل الأجنبي، وألزمها بالحجاب الذي يستر بدنهما، فعن عائشة رضي الله عنها (أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا " وأشار إلى وجهه وكفيه) (١) .

وأمر الله تعالى المرأة المسلمة بعدم إبداء الزينة أمام الناس، فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٢) .

إن ثوب الحجاب يجب أن يكون ساترا للجسد كله، ولا يشف عما تحته، ولا يجسد حسن ما تحته، ولا يثير من يراه بزخرفته، وزينته المصنوعة، وأناقته المبهرة فوق عادة الناس .

إن الإسلام فرض الحجاب على المرأة حماية لعرضها، وتكريما لها، وصيانة لمحاسنها، .... ومن المعلوم أن الشيء الثمين يحرص صاحبه عليه، ويضعه في مكان أمين، ويخاف عليه من السرقة والضياع.

وعامة الناس وخاصتهم يرون أن كشف الحلوى يعرضها لهجمات الذباب، والحشرات الضارة، ويفقدها قيمتها، ولذلك حرص الباعة الجيدون على تغطية الحلوى، ووضعها في علب مغلقة بإحكام .

ومن هذا المنطلق فرض الله تعالى الحجاب للمرأة لتعيش في ستر يبعدها عن عيون الغرياء، وفيه تتمتع برقتها، وتحافظ على نقائها، ونفاستها.

---

(١) سنن أبي داود - كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها - حديث : ٣٥٩٨

(٢) سورة النور الآية : ٣١ .

ومما يؤكد أن الغاية من الحجاب ستر المرأة، والمحافظة عليها ما شرعه الله تعالى عند التقائها بمحرم لها، فقد خفف حدود عورتها معه، لأن المحرمية تمنع الرجل من النظر إلى محرمته، .... وأيضا خفف الإسلام حدود العورة حين تلتقي المرأة مع امرأة أخرى ، فعورة المرأة مع المرأة كعورة الرجل من السرة إلى الركبة، وأباح للزوجة أن تكشف جميع جسدها مع زوجها .

إن خصوم الإسلام قلبوا موازين العورة، فأصبحنا نرى الستر في الرجال دون النساء، وصار الرجل يستر جسده كله بجلباب واسع مهما تغيرت صورته، ورأينا المرأة تظهر عورتها في سفور وإثارة، ...

ترى الرجل يلبس في رجله نعلا رقيقا، وبشكل هادئ، وترى المرأة تلبس في قدمها الكعب العالي، والحذاء المزركش.

ترى الرجل لا يهتم بزينته فوق العادة، وترى المرأة تظهر زينتها في يدها، وعلى ثيابها ولو غطى جسدها كله ...

وصار للرجل طيب لا يشم، وصار للمرأة عطر خاص يشم من بعيد، ويبقى في المكان الذي تمر فيه مدة طويلة.

وترى الرجل جادا في مشيته، نشيطا في حركته، بينما أغلب النسوة في الطريق مائلات، مختالات، متبخرات .

إن ستر العورة تاج للمرأة ، تضعه على جسدها، فتصون عرضها، وترضي ربه، وتكرم نسبها، وتنتشر بين العقلاء الفضيلة، والمكارم، ومحاسن الأخلاق، وتبعد نفسها عن المقال، ... وتبقى في حصن منيع بعيدا عن الخبثاء .

ومن المعروف أن الشيء الممنوع على الإنسان يرغبه، ويتمنى الحصول عليه بخلاف الشيء السهل المنال، الهين، فإنه أمر عادي لا يحتاج لسعي أو رغبة، ومن هنا كان ستر محاسن المرأة بالحجاب سببا رئيسيا لرغبة الزواج بها .

ولتتمام الغاية المقصودة من الحجاب حث الإسلام المرأة على عدة أمور:

**أولها : الإقلال من ملاقاته الرجل الأجنبي عنها، والمكث في البيت ،** والانشغال بالذكر والدعاء، وتربية الأبناء، ولتتخذ من نساء النبي ﷺ قدوة وأسوة ، وقد قال الله تعالى لهن : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) .

**ثانيها: أن تعمل على تهيئة البيت،** ليكون سكنا لها، ولزوجها، ومحضنا راقيا لأولادها، ومسجدا تطيع الله ﷻ فيه .

**ثالثها : أن تحصر نشاطها الذهني، والعملية فيما شرع الله تعالى لها،** فهي في البيت ملكة تدير شئونهم، وتصنع منه جمالا لأسرتها، وراحة لزوجها ونورا يشع ضوءه على كل من يتصل به .

**رابعها: أن لا تنخدع بالمظاهر الحديثة في اختلاط المرأة بضيوفها ،** ولو مع وجود زوجها، وقيامها بخدمتهم، وتكريمهم، ومؤانستهم ... وهذه نقطة هامة أحب أن أتكلم فيها بعد أن شاعت هذه العادة في البيوت

---

(١) سورة الأحزاب الآيتين : ٣٣ ، ٣٤ .

المسلمة، وصارت ظاهرة من ظواهر المجتمع، حيث نجد تزاور الرجال والنساء سوياً مع الاختلاط، والمحادثة، والمؤانسة أثناء الزيارة، ولا مانع عند من يفعل ذلك من أن يصطحب معه أولاده الذكور والإناث ليلتقوا مع أبناء الأسر التي سيقومون بزيارتها وفيهم الذكور والإناث، ويتصورون ذلك رقباً وتحضراً.

**ويتصور القائمون على شئون هذه الأسر أن وجود المحارم في المجلس كاف في المحافظة على الدين، والخلق، ولا يعارض التطبيق الصحيح لتعاليم الإسلام، ويتعجب العاقل وهو يرى وسط هذه التجمعات أن يتحدث الرجال مع النساء، والأولاد مع البنات في أي شأن، وأن يعلقن على مسلسلات الهوى، وقصص الغرام، ... ولا مانع من اللعب سوياً، واشتراك الرجال والنساء في اللعبة الواحدة .**

**وقد حاول المجيزون لهذا الاختلاط الاستناد إلى أدلة شرعية أحب بيانها ومناقشتها لأهميتها، ....**

**يستند دعاة الاختلاط في الموائد، والحفلات، والزيارات إلى أنه ﷺ حضر وليمة عرس صاحبه أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه حيث قامت العروس في يوم زفافها، وخدمت المدعوين بنفسها.**

**فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ( دعا أبو أسيد الساعدي رضي الله عنه رسول الله ﷺ في عرسه ، وكانت امرأته يومئذ خادمهم، وهي العروس . قال سهل: " تدرّون ما سقت رسول الله ﷺ ؟ أنقعت له تمرات من الليل، فلما أكل سقته إياه ) (١) .**

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة - حديث: ٤٨٨٢

واستدلوا بهذه الحادثة على جواز استقبال المرأة ضيوف زوجها، والقيام بإطعامهم، وسقيهم، والجلوس معهم، ومؤانستهم، والترحيب بهم .

ومع صحة وقوع الحادثة فقد روتها كتب السنة الصحيحة فإننا نرى أنها لا تدل على ما ذهبوا إليه ، لأن رسول الله ﷺ اتبع في توجيه أصحابه منهج التدرج في الأحكام حتى لا يصطدم الناس بحكم يعجزون عن العمل به ، لأن الصعود من القاع العميق والوصول إلى القمم العالية يحتاج إلى التدرج في الحركة، والانتقال الهادئ ليتم الوصول بأمان ، وبصحة جيدة .

**فقيام عروس أبي أسيد الساعدي** رضي الله عنه بخدمة الأضياف كان بعد الهجرة، وقبل نزول الآيات القرآنية التي تأمر بستر المرأة ، وغض البصر والحجاب، .... وأيضا فإن الحادثة لم تتكلم ولم تشر إلى أن العروس جلست مع الرجال، وتركت زوجها ، واختلطت مع غير محارمها، وكل ما أشار إليه الحديث أن العروس نعتت التمر من الليل، وقدمته لرسول الله ﷺ .

**يقول الحافظ ابن حجر :** وفي الحديث جواز خدمة المرأة ، ومن يدعوه زوجها، ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة، ومراعاة ما يجب عليها من التستر (١) .

إن الإسلام لم يحرم على المرأة أن تخدم ضيوف زوجها إذا توفر الستر، وتحقق الأمان، وقيام العروس بخدمة رسول الله ﷺ وصحابته مع انعدام المجالسة، والمخالطة، والمؤانسة، وأي أمر منهي عنه .

**والحديث لم يشر إلى أي شيء من هذا، وإنما بين الحديث أنها** رضي الله عنها نعتت تمرا من الليل، أعطته لرسول الله ﷺ عقب انتهائه من الطعام ليشره.

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ١٦٠ .

لقد شاع اختلاط المرأة بالرجل في الجاهلية، وقضى النبي ﷺ عليه بالتدريج، ونزلت آيات الحجاب والستر، وعدم إبداء الزينة بعد ذلك ، وهذا يعني أن الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية جاءت للتحذير من الاختلاط، وخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، ونسخت ما كان عليه الناس قبلها .

ويستدل هؤلاء بحادثة أخرى وهي أنه ﷺ رفض قبول دعوة وجهها إليه جاره إلا أن تدعى معه زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فلما دعاها معه لبي النبي ﷺ دعوة الرجل ، فقد ورد عن أنس رضي الله عنه، ( أن جارا لرسول الله ﷺ فارسيا كان طيب المرق ، فصنع لرسول الله ﷺ ، ثم جاء يدعوه .

فقال ﷺ : " وهذه ؟ " لعائشة .

فقال : لا .

فقال رسول الله ﷺ : " لا " .

فعاد يدعوه ، فقال رسول الله ﷺ : " وهذه ؟ " .

قال : لا .

قال رسول الله ﷺ : " لا " .

ثم عاد يدعوه ، فقال رسول الله ﷺ : " وهذه ؟ " .

قال : نعم في الثالثة .

فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله ( ١ ) .

ويرون في هذه الحادثة دليلا على جواز اختلاط المرأة بالرجال الأجانب، ومجالستهم، والاختلاط بهم ، والحادثة لا تساعد على ما ذهبوا إليه .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام - حديث

إن رسول الله ﷺ أراد برفضه إجابة الدعوة وحده أن يكرم زوجته السيدة عائشة ؓ ، ويرفع منزلتها في أعين الناس، ويعلم المسلمين الحرص على كرامة المرأة، وإعلاء قدرها، فبين ﷺ بموقفه هذا أن مصاحبة الرجل لزوجته في وليمة، أو عرس ليس محظورا ما دامت هذه الصحبة خالية من أي محظور شرعي....

**يقول الإمام النووي:** " كان هناك عذر شرعي يمنع وجوب إجابة الدعوة، وهو أن يلبي ﷺ دعوة جاره ويترك عائشة ؓ في بيتها وحدها، وفي يومها، ووجد نفسه ﷺ مخيرا بين إجابة الدعوة وتركها، فاختار أحد الجائزين، وهو ترك إجابة الدعوة إلا أن يأذن الداعي لعائشة ؓ مع رسول الله ﷺ، لما كان بها من الجوع أو نحوه، فكره ﷺ تركها، وهذا من جميل المعاشرة، وحقوق المصاحبة (١) ، فلما علم جاره ﷺ ذلك ، وعلم جواز دعوة عائشة ؓ مع رسول الله ﷺ دعاها، فحضرت ؓ مع النبي ﷺ .

ولم يصرح أحد أن عائشة ؓ خالطت الرجال، أو تكلمت معهم، أو نظرت إليهم، وفعلت ما يفعله المتحضرين اليوم، فلم يذكر أن هذه الحادثة اشتملت على مجالسة المرأة لرجال غرباء عنها، ومؤانستهم .

**إن الحكم بعدم اختلاط المرأة بالغرباء لا يعني قطعها عن الحياة، ولكنه يعني حمايتها من الفساد، فقد شرع الله لها أن تخرج مع أحد محارمها، أو وحدها لقضاء ما تحتاج إليه لنفسها، وأولادها، من غير سفور، أو اختلاط بغرباء، أو مجالسة فيها الأئس، والإعجاب والهزل، .... ومن المؤسف أن نرى المرأة المسلمة اليوم تجالس الرجال، وتتفكه معهم، وهي سافرة في زيها،**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج٧ ص ٢٠٣ ، طبع دار الفجر للتراث .

عارية بجسدها.

وواجب الأمة المسلمة، والدولة المسلمة، والرجل المسلم بذل الجهد في رفق ومثابرة لإقناع المرأة بعظمة الإسلام، والعودة مرة أخرى إلى نور وكرامة الإسلام، وعظمة الخلق والسلوك .

وقد يتصور البعض أن هذا التكريم يؤدي إلى نقص أجر المرأة عن الرجل في الآخرة، لأن الرجل يجاهد، ويحضر الجمعة والجماعات ، وله الصفوف الأولى ، ويقوم بالدعوة إلى الله تعالى ، ويزدهي في أيام الحج بملابس الإحرام ، ...

قد يتصور البعض أن الرجل ينال حظا من الله تعالى أكثر من المرأة ، وهذا ما تصوره النسوة في المدينة ، وشكوا أمرهن إلى رسول الله ﷺ، وأرسلوا واحدة منهن إلى رسول الله ﷺ، ( فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها من بني عبد الأشهل ، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه ، فقالت : بأبي أنت وأمي ، إني وافدة النساء إليك ، واعلم - نفسي لك الفداء - أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي ، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فأما بك وبإلهك الذي أرسلك ، وأنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجا أو معتمرا ومرابطا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثوابا ، وربينا لكم أولادكم ، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟ " فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا . فالتفت النبي ﷺ إليها ، ثم قال لها : " انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله . فادبرت المرأة وهي تهلل، وتكبر استبشارا (١) .

وفي رواية أنها أخذت تطوف في طرق المدينة وهي تنادي : " يعدل ذلك كله " ، لتعلم المرأة قيمة عملها، ووظيفتها ، ويعلم الرجل أن دور المرأة لا يقل درجة عن عمله في ميزان الله تعالى . إن اختلاف التكاليف بين الرجل والمرأة لا يؤدي إلى التمييز في الأجر والجزاء لأن الله ﷻ يكلف كل إنسان على قدر استطاعته، فإذا أدى المكلف ما كلف به استحق المثوبة كاملة .

إن الله جلت حكمته خالف بين الجنس البشري، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، وفطر كل منهما على طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة الآخر اختلافا بيّنا، ومن ثم صار لكل منهما مهمة خاصة تناسبه ، ولن تستقيم الأمور إلا بقيام كل عنصر بما خلق له . ولا يصح أن نحافظ على أمر ونضيع الأهم منه، ولا نهتم بحاجات عنصر واحد في المجتمع ونضيع باقي العناصر، والعقلاء وحدهم هم الذين يفكرون في كل شيء، ويختارون المناسب بعد الفحص والتدقيق .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي - التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، حديث : ٨٤٥٧

إن المرأة بأنوثتها، ورقنتها، وطبيعتها مسئولة عن شئون المنزل، والأولاد، والأسرة، وقد فرض الله تعالى عليها الستر والحجاب، وحثها على المكث في البيت، والإقلال من الاختلاط بالرجال خارج البيت في العمل، وفي السوق، وأعفاها من العناء والكد لكسب عيشتها ، فجعل لها النفقة على أبيها إن كانت بنتا، أو على أخيها إن كانت أختا، أو زوجها إن كانت زوجة، أو على غير هؤلاء جميعا في الأحوال الأخرى .

## المبحث الرابع تكريم المرأة باختيار العمل المناسب لها

المهام التي تقوم بها المرأة في بيتها ومع أولادها مهام كبيرة، وخطيرة لا يقدر عليها الرجل ولو تفرغ لها، فأرضاع الصغير يسير على المرأة، صعب على الرجال، وحركات الولد وتقلبه يصعب على الرجل تتبعه، وهو أمر محبب إلى الأم، ولذلك كان توجيه الإسلام للمرأة، وحثها على الاهتمام بأعمال البيت، والعناية بشئون الوليد، والمحافظة على حقوق الزوج، كما يناسب العقل، والمنطق، ويحقق المصلحة للرجل والمرأة معا .

وعلى المربين أن يركزوا في تربية البنت على بيان الأعمال التي تقوم بها في مستقبل حياتها، لتعرف قيمة حسن معاملة زوجها، ورعاية ولدها، وفهم ما يجب عليها من عمل داخل البيت وخارجه.

ومن الحقائق الواقعية التي لا يصح إغفالها معرفة واقع المرأة المسلمة في العصر الحديث، وأهمها ما يلي : -

أولاً : تعلمت البنت، وتثقت كما تعلم الولد بلا فرق بينهما في مقررات الدراسة، ومناهجها، فهم ينتسبون إلى دور التعليم ذكورا وإناثا بلا تفرقة، ويختلطون في الفصل الواحد، ويتعلمون على مدرس واحد وفق منهج واحد يعم كافة المدارس على مستوى الوطن كله وفي بعض الأحيان توجد مدارس للبنين، وأخرى للبنات في مراحل ما قبل الدراسة الجامعية ومنهجها واحد .

ثانياً : يقوم بالتدريس في مدارس البنين والبنات مدرسون متخصصون في موادهم، وكذلك مدرسو الدين واللغة العربية، فعبئهم ثقيل، وأثرهم في الأولاد قليل، وقصورهم لا شك فيه.

ثالثاً : التحقت البنت بالدراسة الجامعية في كافة التخصصات، فتخرجت الطبية، والمهندسة، والصانعة، والمعلمة، والتاجرة، وتفوقت على الأولاد في كثير من التخصصات .

رابعاً : عملت البنت في كافة مفاصل الدولة سواء وافق العمل تخصصها العلمي أو لم يتفق، فنرى في الشارع العاملة لكنس الطريق، وفي المصانع نرى المهنية تدير الآلة، وتباشر الإنتاج، ونرى في المستشفى الممرضة، والطبيبة، والصيدلانية، والمديرة ، وفي التشييد نجد المهندسة والخبيرة .

خامساً : شاركت المرأة الرجل في الإنفاق على البيت، ومصاريف الأبناء بعد عجز كثير من الرجال عن الإنفاق على الأبناء والأسرة .  
لقد صار عمل المرأة، ومخالطتها الرجال أمراً واقعياً، ولذلك وجب عليها أن تحافظ على الآداب الإسلامية الآتية :-

١- المحافظة على عفة المرأة وشرفها، وذلك بتحقيق ما يبعتها عن الرجال، ويقطع الأنس معهم، وعليها ألا تختلط بهم حتى لا تسمعهم صوتها إلا عند الضرورة، ولا تريهم شيئاً من مفاتها، وإذا ما اشتركت مع الرجال في صلاة جماعة تتأخر عن الصبيان بعيداً عن الرجال فلا يراها أحد، ويحسن لها الانصراف من المسجد قبل الرجال .

٢- لا تسافر إلا مع ذي محرم منها ليحافظ عليها، ويقضي لها حاجياتها في الديار التي ستسافر إليها، ويحميها من أي أمر يسيء إليها أثناء سفرها .

**إن عمل المرأة قضية هامة** تحتاج لمشروع يضعه في مواضعه الصحيح، ويظهر حكم الإسلام فيما يجوز من عمل المرأة ، وما لا يجوز، ويوضح الشروط التي تلتزم بها المرأة أثناء العمل خارج البيت، ...  
**كما تحتاج إلى** نساء ورجال يؤمنون بالله تعالى، ويلتزمون بشريعته، ويرضون بدين الله تعالى حكما في حياتهم، ويستسلمون لما يراه المصلحون الصادقون الأمناء، ....

**ومواجهة الواقع** خير من الصمت والسكوت، فالأمر يتصل بدين الله تعالى، والجميع يفتخر بأنه مسلم، ويتصور صحة ما يقوم به، ويسأل عن الحكم الإسلامي الصحيح لاتباعه، وهنا نحتاج من العلماء بيان حكم الله تعالى في عمل المرأة وسط هذا الواقع الذي نعيشه اليوم، وتعيشه المرأة معنا **ومن تكريم الإسلام للمرأة** أنه اختار لها أعمالا تناسب طبيعتها، ولم يحرمها من ميولها ورغباتها، وحنانها لوليد تحمل به، وتلده، وترضعه، وتربيته، ولم يكلفها بأعمال خاصة بالرجال، كما خص الرجال بالجمعة والجماعات، والجهاد، ولم يكلف بها المرأة، وأشار إلى أن كرامة المرأة تكمن في مراعاة دوافعها، واستعدادها .

**إن المرأة وقعت في مصيدة العمل**، ورضيت بأعمال الرجال باسم المساواة، وأصبحت تتفق على البيت مثل الرجل، وتتعب أكثر في الأعمال الشاقة ، وأهملت حقوقها الفطرية، ولك أن تتصور أما عاملة تخرج مع زوجها في الصباح، وتعود معه عند العصر، وتسأل ...

- كيف يريح أحدهما الآخر من العناء والتعب ؟ ...
- من يقوم بعمل البيت وكلاهما متعب ؟ ...
- من يرعى الصغار وهما في العمل ؟ ...

- وهل تستطيع المرأة بعد عودتها أن تقوم بعمل البيت ؟ ...
  - وما أثر عمل المرأة على الذرية، ونفقة البيت ؟ ...
  - وأيهما تفضل المرأة عمل البيت، أو عمل المهنة إن تعارضا ؟ ...
- لقد تحولت الأسر إلى موطن للتنافس، والشقاق حول الأولاد، وأعمال البيت، والاستفادة بمال الزوجة العاملة .**

**إن الترقى الصحيح لأي مخلوق يكمن في تنمية ما خلق له ، وبما يناسب فطرته وطبيعته ، .... فترقية السمك لا يكون بوضعه فوق الصخر .**

**وترقية الطير لا يتم بوضعه في قفص من ذهب .**

**وترقية الحيوان لا يصح بتركه في الخلاء وسط السباع والذئاب .**

**وترقية الرجل لا تحدث بحمل الأثقال، والانتقال بها إلى بلد بعيد .**

**وترقية المرأة لا يتم بتكليفها بما يكلف به الرجل، بالإضافة إلى الحمل والإرضاع.**

**وإنما الترقى الحقيقي للكائنات يحدث بتمكين عناصر كل كائن من النمو الطبيعي، ووضعه فيما وجد له، وعدم تكليف المكلف بما لا يناسبه، وبما لا يصلح له .**

**وقد سبق بيان الفروق الكثيرة الموجودة في أفراد النوع الواحد، وبين الأنواع المختلفة في الفصل الثالث .**

**والواجب عند وضع خطة لترقية المرأة وتنمية مكوناتها الفطرية، وضعها فيما خلقت له، وتكريمها بإشباع حاجاتها وفطرتها، وتقدير ما وصلت إليه من علم ومعرفة، وما تقوم به لمنفعة الأسرة والمجتمع .**

**وحق المرأة في العمل يجب أن يوضع في إطار الرقي بها ، وليس من المسلم تسخيرها بالمشاق، وتكليفها بأعمال ليست لها ، وجعل ذلك هو العمل**

الذي خلقت له .

لم يمنع الإسلام المرأة من الخروج من البيت لقضاء حاجاتها أو للعمل، وكل ما أمرها به أن تعرف رسالتها الأساسية التي خلقها الله تعالى لأجلها، وتحافظ عليها، فتخرج محجبة بلباس يسترها ، ولا تختلط بالرجال الغرباء، وتحافظ على الآداب الإسلامية، والحياة الجادة، الطاهرة، كما عاشت المرأة المسلمة في عصر رسول الله ﷺ، فقد شاركت في عدد من المشاركات الاجتماعية، فسعت إلى العلم ، ودعت إلى الله تعالى، وجاهدت في سبيل الله تعالى، وساهمت في الأعمال المهنية، وبايعها رسول الله ﷺ على الطاعة والتزام العفة، والمحافظة على أسرتها، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وسجلت السنة النبوية مواقف رائدة للمرأة المسلمة في العمل المهني :

فعن جابر رضي الله عنه ( أن النبي ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل

لها ، فقال لها النبي ﷺ : " من غرس هذا النخل ؟ أم مسلم أم كافر ؟

فألت : بل مسلم .

فقال ﷺ : " لا يغرِس مسلم غرسا ، ولا يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان ،

ولا دابة ، ولا شيء ، إلا كانت له صدقة (٢) ، فكل من غرس غرسا

صدقة رجلا كان أو امرأة .

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع - حديث : ٢٩٨٤

وعن سعد بن معاذ رضي الله عنه : ( أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما بسلع ، فأصيبت شاة منها ، فأدركتها فذبحتها بحجر ، فسئل النبي ﷺ فقال : " كلوها ) (١) .، ولم يعترض ﷺ على فعل المرأة .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة ببردة، قال: أتدرون ما البردة؟ فقبل له : نعم ، هي الشملة منسوج في حاشيتها .  
قالت : يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها .  
فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها ، فخرج إلينا وإنها إزاره ،.. ) (٢) .

وفي الطبري ( وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده ، كانت تداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : " اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب ) (٣) .

وفي عصرنا هذا ينبغي أن نعي جيدا ظروف المرأة بعد أن علمت، وعملت، وشاركت الرجل في كثير من الأعمال، مع مسئوليتها عن البيت، ورعاية الأولاد، وضرورة التخصص في الأعمال .

" إن التخصص في الأعمال والمهن أرقى ما توصل إليه الإنسان واعتمده في هذا العصر، وقوام التخصص الموهبة الفطرية التي جبل عليها الإنسان ،

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الذبائح والصيد، باب ذبيحة المرأة والأمة - حديث : ٥١٩٢

(٢) صحيح البخاري - كتاب البيوع، باب ذكر النساج - حديث : ٢٠٠٤

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة الأحزاب ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ نَارًا ﴾

وينميها صاحبها بالتعليم، والممارسة، والمران.

**هذا إنسان** ذو عقل رياضي، ثاقب النظر في الربط بين الأجزاء واستنباط أمر من كل منها، فهذا إنسان يصلح للهندسة، والتخصص في علوم الرياضيات، والفيزياء .

**وهذا إنسان** ذكي ماهر في التحليل والتركيب ، فهو يصلح للكيمياء ، أو للصيدلة، أو نحوها ، ... وهكذا ، ... وهكذا ...

**والواقع أن** قانون التخصص ليس بدعا في نظام الحياة، بل هو قانون فطري فطر الله تعالى الحياة بها، وأقامها عليه، وأمر عباده بإتباعه، والأخذ به.

**وإذا جئنا إلى** طبيعة المرأة ، وبحثنا عن الوظيفة المناسبة لفطرتها، فإننا نجد وظيفتها المناسبة لها أن تكون أما، فرحمها هو المكان المكين الذي ينمو فيه الجنين، وثديها هو المصنع العجيب الذي يأتي باللبن ، وصدرها الحنون هو منبع الرحمة والأمن للولد .

**يقول ألكسيس كارل:** " والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وجهازها العصبي، وعواطفها النفسية، وكل ذلك يتحرك في نظم حيوية غير قابلة للتغيير، وليس من الممكن إحلال الرغبات الإنسانية محلها ، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي (١) .

**ويقول الأستاذ العقاد :** " ومن قديم الزمان هيأت الأقدار الإلهية الأمومة طبيعة المرأة لتدبير السكن، وتزويده بزد المودة، والرحمة، ومن أراد أن يتكلم بلغة الاستفادة بالفرص السانحة فله أن يقول : إن النوع الإنساني خليق أن

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ١٢١ ، ١٢٢ .

يستغل الفروق بين الرجل والمرأة لينتفع كل منهما بما يملكه صاحبه، ويضعه في موضعه ، .... وليكن ذلك من قبيل تقسيم العمل، وتخصيص كل طبيعة لما يناسبها ، وبذلك لا توجد خصومة على دعاوي المساواة والتفاضل، فقد خلق الله تعالى الذكر والأنثى على نحو يحتاج فيه كل طرف للآخر، وليس من الممكن أن يكون كل منهما مساويا لصاحبه في طراز واحد من الخصائص والملكات، وإنما خلق الله ﷻ لكل منهما مزاياه، وملكاته ليكمل صاحبه ، ويزيد معه ثروة النوع كله من خصائص النفس، وألوان الفهم والشعور (١) .

**ويقول أبو الأعلى المودودي :** " والحق أن محيط العائلة هو الذي يمكن أن يجد فيه الطفل نفوسا تحبه، وتعطف عليه، وتود أن يبلغ الطفل في حياته مكانة اجتماعية أعلى من التي ولد عليها، ....

**إنهما الأبوان وحدهما اللذان يحبان أن يجدا الأولاد في حال أحسن من حالهما، وفي مكانة أرقى من مكانتهما، يجتهدان من أنفسهما أن يجعلا الجيل اللاحق أحسن من السابق، ويمهدا بذلك سبيل الارتقاء الإنساني .**  
**وهذا الجهد من الأبوين لا تشوبه شائبة من الذاتية ، لأنهما لا يريدان شيئاً لأنفسهما، وكل ما يريدانه فلاح الولد ، ونجاحه، ورقيه .**

**ولن تجد هذه الصورة المثالية في الحب والخدمة في أي نظام عالمي كما هو موجود في الإسلام، فقد أودع الله تعالى حب الولد في فطرة أبويه، فمن أجله يتعبون، ويبذلون كل ما يملكون من الوقت، والراحة، والمال، والقوة والكفاءة، والطاقة، ويضحون بأنفس ما يملكون في سبيل كل ما يحقق الخير**

---

(١) حقائق الإسلام، وأباطيل خصومه ص ١٨١،، ١٨٢ .

للولد، ويرضون بتعبهم، وشقائهم لتهيئة الأمل الطيب، والمستوى الراقى،  
والكمال المنشود للولد (١) .

**وعلماء الاجتماع والتربية المعاصرون** يبحثون عن دور الأم في إخراج  
جيل سليم ، ويرون أن خروج المرأة للعمل أهمل النشء، ونشر الفساد في  
الأجيال القادمة، وضع الأخلق، وحرم الأمة من المواطن الصالح الذي  
ينهض بنفسه ، ويقومه، وأمته .

**تقول الدكتورة " إيدا الين "** وهي أخصائية في الدراسات الاجتماعية ،:  
" إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها، وإشرافها على تربية أولادها،  
فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقى لهذا الجيل الذي خرجت فيه الأم  
للعمل، والمستوى الخلقى للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت  
بيتها، وأهملت طفلها، وتركته لمن لا يحسن تربيته (٢) .

**وأدى عمل المرأة إلى ظهور جيل سيء،** يميل للعنف، ولا يتعاطف مع  
الآخرين، ولا يرضى بالقيم النبيلة، والخلق القويم .

**وقد دلت التجارب والأبحاث العلمية على أن** الطفل الذي تربيته أمه ينمو  
نموا طبيعيا في جسده، وعقله، وروحه، بينما الطفل الذي تربيته امرأة أخرى  
يتأخر في تعلم الكلام، والمشى، وطرق تناول الطعام، ولا يشعر بنمو  
عاطفي، أو عقلي ، أو نفسي .

**إن الطفل الصغير يستفيد من الحنان والحب أكثر مما يستفيد من**  
الطعام والشراب، وقد دلت التجارب على أن الطفل يأخذ الذكاء مع

---

(١) الحجاب ص ١٨٩ ، ١٩٠ بتصرف يسير .

(٢) ماذا عن المرأة ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

الرضاعة، والحب مع البسمة، والحرص مع خوف الأم عليه من المضار، وحرصها على راحته وإشباعه .

**فالحنان شرط رئيسي للوليد لا غنى عنه أبدا من أجل نموه،**  
وتطوره النفسي، والعقلي، والجسدي .

**أما إذا حرم هذا العنصر فقد يتعرض - حتى إن أحسنت تغذيته-**  
للذبول وربما للموت ، وهذه المهمة المقدسة هي مهمة الأم .

**ومما لا ريب فيه أن تأثير الحرمان من الحب، والحنان يؤثر أشد وأفدح**  
على صعيد نمو الشخصية، وسلوك الطفل وتصرفاته، فالإجرام والعنف  
العصبي، والتعقيد النفسي، والتصرفات الاجتماعية الشاذة، وغيرها من  
اضطرابات السلوك يمكن تفسيرها جميعا بالحرمان الذي يكون قد عاناه  
الشخص وهو صغير في فترة طفولته " .

**" والواقع أن الصورة التي يكوّنها الطفل عن العالم راجعة في الدرجة**  
الأولى إلى العلاقة التي تقوم بينه وبين أمه، فإما أن تترك هذه الصورة في  
نفسه انطباعات عن عالم ودود، أو عالم معاد تبعاً لما كان عليه حاله مع  
أمه ، محبوباً أو غير محبوب، فمن لم يلق العطف أبداً كيف يستطيع أن  
يعطيه ؟ !!

**مثل هؤلاء الأطفال يصبحون أشخاصاً من الصعب عليهم استيعاب**  
المعاني العميقة للحب والحنان، ومن هنا كانت جميع العلاقات التي يقيمونها  
مع أترابهم سطحية أو عابرة " .

**"أرني مجرماً عريقاً، أو جانحاً حديث السن، أو مريضاً نفسياً، أو مخلوقاً**  
لا مبالياً ، وسيكون بوسعي دائماً أن أقدم إليك البرهان على أنه في أعماقه  
السحيقة يبذل قصارى جهده لاستدرار الحب والحنان اللذين حرم منهما في

طفولته، ولكن الوسائل تعوزه، وبطيش سهمه ويسقط في مهاوى الحقد والكراهية للناس وللمجتمع جميعا، وما ذلك إلا بدافع من شدة شعوره بالحاجة إلى تلك العواطف التي حرم منها .

"ومن هنا كانت أفضل وسيلة لمعالجة الأطفال ذوي المسلك العدوانى، أو ما نسميهم " أشقياء " هي إغداق المزيد من الحنان عليهم لا أخذهم بالشدة والعنف .

" إن للحب قدرة خلقة ، وفيه نبع دافق من العطاء سواء لمن يعطاه ، أو يعطيه، وهو الشيء الوحيد في العالم الذي لا ينبغي لأحد أن يضمن به على أحد، فإذا كان الحب صادقا أصيلا ، لا كلفة فيه ولا افتعال، انطوى على قيمة تربوية عالية، لا يمكن لأي قيمة أخرى أن تحل محلها، والحب الحقيقي الصادق لا يمكنه أن يؤذي أو أن يضر، فهو لا يستطيع إلا أن يكون خير عطاء " .

" والفكرة ليست بالجديدة، إنما الجديد فيها هو تأكيد العلم المعاصر لها، وذلك أمر جوهرى للإنسانية جمعاء (١) .

إن الإسلام في تشريعه للمرأة سبق كل هذه الآراء، وحث على أن تكتفى المرأة المسلمة بما وضعه الله تعالى لها ، وتعلم أن قيامها برعاية ولدها ، وحسن تبعلها لزوجها أفضل لها ، وأجمل لطبيعتها .

وقد يقال إن المرأة المسلمة اليوم قد تعلمت، وتخرجت في تخصصات عدة في الهندسة، والإدارة، والطب، وغيرها ،... وأنها قد تحتاج إلى مال تنفق منه على نفسها ، وبيتها، وولدها .

---

(١) مجلة طبيبك نقلا عن ماذا عن المرأة : د . نور الدين عتر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

وهذا قول ممكن، والرد عليه يكون ببيان أن الإسلام لا يمنع المرأة من العمل ما دامت تحافظ معه على ما شرعه الإسلام من ستر وعفة، وطهارة، ورعاية لبيتها، وزوجها، وأولادها، ..... وعلى المرأة أن تعلم أن الإسلام جعل النفقة على الرجل أباً، أو أخاً، أو زوجاً، ..... ويكفيها أنها مصنع الرجال، وأم القادة والزعماء .

**وإنتاج جيل صالح، وإسعاد زوج مؤمن، وتهيئة مسكن بهيج خير لها** من أي عمل تقوم به خارج بيتها ما لم تتعين له .

**وفي نفس الوقت عليها أن تعرف أن تفرغها لزوجها، وولدها، وبيتها** أفضل لها من العمل خارج البيت مهما كان تخصصها .

**ونحن ندرك واقع الناس اليوم، فقد اشتركت المرأة في أعمال عديدة خارج** البيت، وأصبح كثير من الأسر يحتاج لدخل المرأة، ولذلك لابد من دراسة هذا الموضوع دراسة قوية وجادة تركز على الحقائق التالية :

**الحقيقة الأولى: العلم الدقيق بحكم الإسلام في عمل المرأة خارج البيت** في إطار معرفة المستوى المادي للأسرة، وكفاية دخل الرجل، وتخصص المرأة العلمي، ومجال عملها .

**الحقيقة الثانية: معرفة الآثار المترتبة على عمل المرأة خارج البيت** بالنسبة لها، ولزوجها، وأولادها، وموازنة ما هو إيجابي بما هو سلبي في هذه الآثار .

**الحقيقة الثالثة: المحافظة على حياة المرأة الدينية وهي تعمل من** حيث الاختلاط، والتبرج، وضرورة التوافق مع أحكام دين الله تعالى .

**الحقيقة الرابعة : ضرورة وضع تصور لعمل المرأة المناسب لها ،** وضرورة استسلام كل مسلم ومسلمة لحكم الله تعالى .

**الحقيقة الخامسة: عدم التأثر بمظاهر المرأة الغربية عند التحليل والمقارنة، فمظهرها براق لا ينطق بالحق الكامن في نفسها وعاطفتها .**

**الحقيقة السادسة: رعاية الوليد رعاية كاملة فهو المستقبل الحقيقي لأبيه، وأمه، وأهله، وللأمة كلها .**

**الحقيقة السابعة: المرأة في عصرنا الحاضر محتاجة إلى المشاركة في العمل المهني.**

**الحقيقة الثامنة: المجتمع المعاصر محتاج إلى إسهام المرأة في النشاط الاجتماعي ، والسياسي .**

**إن تعقد المجتمع المعاصر وكثرة المؤسسات، سواء مؤسسات التعليم، أو التطبيب، أو الخدمات، أو إدارات الحكومة ، وخاصة ما يتصل اتصالا مباشرا بالأفراد رجالا ونساء، مثل : إدارة السجل المدني ، والبطاقات الشخصية، والجوازات، والشهر العقاري، ومراكز الشرطة، والمرور ...، وكثرة المؤسسات، وحاجة المرأة للتعامل معها، يدفعها إلى الخروج من البيت، والتعامل مع الرجال .**

**إن الإسلام يقرر للمرأة أهليتها كاملة، ويحافظ على حريتها الإنسانية، فلها حق اختيار الزوج الذي تريده، والعمل الذي ترغبه، والسلوك الذي تنمناه لنفسها بشرط واحد، وهو أن لا تجعل حريتها أداة إيذاء لغيرها، أو عدوان على حقوق الآخرين ، وقد رأينا المسلمة في الصدر الأول تشارك الرجال في أعمال كثيرة .**

**إننا نذكر المرأة المسلمة ببعض الضوابط الشرعية التي يجب عليها الالتزام بها، والتمسك بتطبيقها، لأنها أسلمت لله أمرها، ورضيت دينه لدنياها وأخرتها**

إن الإسلام يعني التصديق التام بأركان العقيدة ، والالتزام المطلق بأحكام الشريعة، وتجميل الأقوال، والأعمال بأخلاق الإسلام .

ومن الضروري التزام المسلم والمسلمة بالإسلام كله، فلا ينبغي من المسلم أو المسلمة أن يتمسك ببعض الإسلام ويترك البعض الآخر، وفاعل ذلك عمدا ليس مسلما لقوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ (١) .

ولذلك

فإني اکتفی بإيراد بعض الأمور، والآداب الإسلامية التي وضعها الإسلام أمام المرأة المسلمة لكي تتحلى بها داخل البيت وخارجه في كافة أحوالها الأسرية، وأعمالها المهنية، وأهم الآداب الشرعية ما يلي :

أولاً : العلم بالإسلام:

من المهم أن تعلم المرأة أحكام الإسلام، وبخاصة في الأمور التي تحتاجها المرأة، وأهمها معرفة أركان العقيدة، وأحكام العبادات، والعلم بأحكام الحيض، والنفاس، وواجبات البنت بعدما تكون زوجة وأما، والوقوف على فضائل الطهر والعفاف التي أمر الإسلام المرأة بها، ومن السهل أن تتعلم البنت ذلك نظريا وعمليا ، فإذا كبرت كانت نعم الفتاة المسلمة، ونعم الزوجة الصالحة، ونعم الأم المربية، ونعم المرأة الداعمة لهضة دينها ووطنها .

وقد دعا الإسلام إلى تعليم المرأة، فقال النبي ﷺ :

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : ( من يلي من هذه البنات شيئا،

---

(١) سورة البقرة الآية : ٨٥ .

فأحسن إليهن ، كن له سترا من النار) (١) .

- وعن أبي بردة، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله : ( أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران ) (٢) ، وإذا كان الحال كذلك مع الجارية فهو مع الفتاة الحرة، والبنات المولودة من صلب الرجل أعظم وأحسن .

ومن خلال تعليم المرأة أحكام الإسلام تدرك دورها الديني في المجتمع التي هي عضو فيه، ولا تتخطى آداب الإسلام وهي تتحرك فيه .

ثانياً : المحافظة على حقوق الله تعالى :

على المرأة أن تحافظ أثناء عملها، أو عند لقاء الرجل الأجنبي على حقوق الله ﷻ، وحقوق العباد، وذلك بطاعة الله تعالى فيما أمر به، وتنتهي عما نهى عنه، مثل أن تسافر في عملها مسافة السفر بلا محرم ، أو تعمل عملاً لا يمكنها من أداء الصلوات في وقتها، والمحافظة على الحجاب المشروع .

ثالثاً : تجنب عوامل الإثارة والفتنة:

على المرأة أثناء العمل، وعند اختلاطها بالرجال أن تستر العورة باللباس المحتشم، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ يَخْمِرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٣)

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته - حديث : ٥٦٥٥

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري - حديث : ٤٧٩٥

(٣) سورة النور الآية : ٣١ .

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ (١) .
- ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (٢) .

ويقول النبي ﷺ :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رعوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) (٣)
- وعن فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ قال لها : ( ... فإنني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ) (٤)

ومن الإثارة المنهي عنها تطيب المرأة، ... يقول النبي ﷺ :

- عن زينب، امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : ( إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا " ) (٥) .
- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية) (٦)

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات - حديث : ٤٠٦٥

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، حديث : ٥٣٤٥

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، حديث : ٧٠٣

(٦) صحيح ابن حبان - كتاب الحدود، باب الزنى وحده - ذكر وصف زنى الأذن ، حديث : ٤٤٨٨

#### رابعاً : جدية اللقاء والنظر :

ومعنى جدية اللقاء والنظر عدم التماذي في الحوار ، وعدم جعل اللقاء للمؤانسة والمصاحبة ، وعض البصر ، وتجنب الليونة في الحديث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه ) (١) .

#### خامساً : تجنب الخلوة بالرجل الأجنبي :

ويجب عدم خلوة المرأة برجل أجنبي عنها أثناء العمل ، لأن ذلك مدعاة للمنكر ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ) (٢) .

وليس من الخلوة المحرمة أن تجلس المرأة مع المرأة أو مع عدد من الرجال

#### سادساً : التبكير في الزواج :

إن الولد والبنت ينشدان بعد بلوغهما حياة أسرية هانئة ، وإذا ما تيسر لأحدهما أو لكليهما مرادهما فإن رسالة الأسرة تملأ حياتهما ، ويشعران بالرضا وهما يلتزمان بأحكام الإسلام .

وقد دعا الإسلام إلى الزواج المبكر لتحقيق العفة والطهارة في المجتمع ، فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (أن أباه ربيعة بن الحارث ، وعباس بن عبد المطلب ، قال لعبد المطلب بن ربيعة ، وللفضل ابن عباس : اتتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولا له : يا رسول الله ، قد بلغنا من

(١) صحيح البخاري - كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج - حديث : ٥٨٩٧ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره - حديث : ٢٤٦٨ .

السن ما ترى، وأحببنا أن نتزوج، وأنت يا رسول الله أبر الناس ،  
وأوصلهم، وليس عند أبويننا ما يصدقان عنا ....

فقال ﷺ : ادعوا لي نوفل بن الحارث " .

فدعي له نوفل بن الحارث .

فقال ﷺ : " يا نوفل ، أنكح عبد المطلب " .

فأنكحني نوفل .

ثم قال النبي ﷺ : " ادعوا لي محمئة بن جزء " وهو رجل من بني زبيد

كان رسول الله ﷺ استعمله على الأخماس ، فقال رسول الله ﷺ لمحمئة :

" أنكح الفضل " .

فأنكحه .

ثم قال رسول الله ﷺ : " قم فأصدق عنهما من الخمس كذا وكذا (١) .

وعن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : ( لو كان أسامة جارية ،

لحليتها ، ولكسوتها حتى أنفقها ) (٢) .

إن الإحصان يحقق للمتزوج العفة، والطهر ، وكمال الدين، ويمنعه من

الفحشاء والمنكر .

والمرأة إذا تزوجت صغيرة، وأنجبت أولادا فإنها تسعد بحياتها، وتستقر

في بيتها .

\*\*\*...\*\*\*

هذه أهم الآداب الشرعية التي يجب تحلي المرأة بها حين التقائها بالرجال

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في بيان مواضع قسم الخمس - حديث :

(٢) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار ، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، حديث : ٢٤٥٢٤ .

الغرباء عندما تخرج من بيتها للعمل ، أو لقضاء حوائجها، وبذلك تتمتع بحقها في العمل، وبحقوق الدين عليها .

إن هذه الآداب تشمل البنات في كل حالاتها، وبهذه الآداب تكون مسلمة في البيت وخارجه، وعلى أولى الأمر تيسير هذه الآداب على أفراد المجتمع، لأن تضافر الأفراد على العمل بهذه الآداب يجعلها سهلة ميسرة .

إن المرأة جزء من المجتمع، وعلى أولى الأمر رعايتها، وتسهيل أمالها في التعليم والعمل، ومن الممكن مساعدتها، وتحقيق رغبتها باختبار أعمال ميسرة لها، وتخفيض ساعات العمل لها، وإعطائها أجازات طويلة في وقت ضعفها، وحملها ، فإذا تزوجت وأنجبت تنال أجازة لتربية الأولاد بنصف أجر، أو بمضاعفة راتب الزوج إذا انسحبت زوجته من العمل وتركته للرجال والحذر من وضع المرأة في وضع مليء بالفتنة والإثارة يبعدها عن طاعة الله تعالى، ويوقعها في الفحشاء والمنكر .

## المبحث الخامس تكريم المرأة في الخطبة والمهر

وضع الإسلام المرأة في حصنها الجميل تحت رعاية أوليائها إلى أن يتقدم لها خاطب يريد الزواج بها .

وقد حثت الشريعة، وجرى العرف على أن يقصد الخاطب أو من ينوب عنه ولي المرأة التي يريد نكاحها ليخطبها منه .

إن المرأة الغربية تعيش مع الشباب منذ صغرها ، ولا مانع عندهم من أن تصادق المرأة الرجل وتخطبه، ولا حرج أن تدفع له مالا ليتزوجها، ولذلك عمل دعاة المساواة لأن تكون المرأة المسلمة مثل المرأة الغربية تبحث لنفسها عن رجل تتزوجه، وتتقدم لخطبته، وتدفع له المال والهدايا لتميله إليها، وظنوا أن ما يروونه تكريم للمرأة، لأنه يسوي بينها وبين الرجل، ولا يحرمها من أهليتها الكاملة، ولا يمنعها من العيش مع الشباب كواحد منهم، تخطب واحدا تريده، أو يخطبها واحد منهم بلا مهر لها أو له ، ورأوا أن اشتراط مهر للمرأة في النكاح يدفعه الخاطب يفيد أن الرجل اشترى المرأة بالمهر الذي سيدفعه ، ولذلك يغالي الأولياء في المهر في العصر الحديث، ويفتخرون بذلك، وكأنهم يرون المهر ثمنا لموليتهم، وهذا تصور بعيد عن الحقيقة نتناوله في المطالب التالية : -

## المطلب الأول

### تكريم المرأة بتقديم الرجل ليخطبها

تنشأ المرأة ضعيفة الحال، ومعها الحياء، وحب المكث في البيت مع أمها، وألعابها البسيطة، وعرائسها الجميلة، ولا تخرج من البيت إلا قليلا، بخلاف الولد فإنه يميل للقوة، ويحب ألعاب السباق والحرب، ويرغب في الخروج من البيت مع أبيه، ويبكي كثيرا إن خرج أبوه وتركه .

وقد لاحظت الشريعة طبيعة كل من الولد والبنت، فدفعت الولد بعد السابعة إلى مخالطة الرجال، والتعامل معهم تحت إشراف وتوجيه الولي، بخلاف البنت فإنها تبقى في البيت مع حاضنتها لتتعلم فنون البيت، وتربية الأولاد، ومعاملة الزوج، وهذا يوجد عند الولد والبنت أحوالا تمكن كل منهما من طريقة التعامل في حدود ما ألفه وتعلمه، .... ولهذا فإن الولد هو الذي يقدر على الطلب، ويحسن معاملة الآخرين، ويتمكن من الحوار والنقاش مع الأولياء بخلاف البنت التي شرع الله ﷻ لها المكث في البيت ، وقلة الاختلاط بالغرباء .

وكون الولد هو الذي يتقدم لخطبة البنت أمر فطري يناسب استعداده وطاقته، فهو الذي سيدبر المال الذي سيدفعه مهرا، ويقوم بإعداد بيت الزوجية ولذلك كان الخطاب إليه في قوله ﷺ : ( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) (١) ..

هذه واحدة :

وأخرى نجدها في أمر موجود في حياة الناس، وهو أن "الممنوع مرغوب"

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ : " من استطاع - حديث : ٤٧٧٩ .

وهذا يعني أن بقاء البنت في حصنها بعيدا عن الرجال يدفع الرجال إلى البحث عنها، والسؤال عن فتاة يتقدم الراغب لوليها يخطبها، ويعلن استعدادها للقيام بواجب الزوجية، ويلمح لمزاياه، وخصائصه، وحينئذ يسأل عنه الولي، ويقف على حدود كفاءته، ومدى صلاحيته لموليته، وتراه المخطوبة، وتقرر رضاها أو رفضها في عزة ترفع قدرها، ولا تلام عليها، ...

**ولو سمحنا للبنت أن تتقدم لخطبة الرجل فإن ذلك يدفعها إلى التبذل والهوان، ولو رفضها الرجل فهذه إهانة لها، ولو شاع في الشباب أنها بنت مرفوضة فإنهم يظنون بها سوءا في نسبها، أو حسنها، أو أخلاقها، ويتحول موقف الشباب منها إلى مأساة تعيش فيها .**

**وأیضا فإن البنت لو خرجت تبحث عن زوج فإنها ستختلط بعدد من الرجال، وقد تضطر إلى دفع مال لمن ترجوه، وأنى لها ذلك؟ ...**  
وما صورتها بين من يرفضون عروضها؟ ....

وأی الأمرین خیر للبنت أن تبحث هي عن الرجل، أم تبقى عزيزة في خدرها يأتيها من يريد لها؟ ...

**إن البضاعة الرخيصة القريبة من التلف يمر بها التجار على البيوت، وهم ينادون عليها، .... أما البضاعة الثمينة الطيبة فإن التجار يبقونها في أماكنها إلى أن يأتي إليها من يحتاج إليها من ثروة الناس .**

**إن الأنواع تتغير، وتبقى الحقيقة ثابتة في الواقع، وفي أذهان العقلاء .**  
**ومن مجمل هذا الكلام نعلم أن تقدم الرجل لخطبة البنت تكريم لها، ورعاية لمصلحتها، وصيانة لرقنتها، وعفتها، وحيائها، ورفع لشأنها .**

**ومن عظمة الإسلام أنه لم يمنع الولي أن يخطب لموليته الشخص الذي يراه مناسباً لها بعلم البنت أو بغير علمها، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه**

لما تأيمت ابنته حفصة رضي الله عنها بعد موت زوجها الأول "خنيس بن حذافة السهمي" عرضها على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرا، توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة .

فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر .

قال : سأنظر في أمري .

فلبثت ليالي ، فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا .

قال عمر : فلقيت أبا بكر ، فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر .

فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان ، فلبثت ليالي ثم " خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه " .

فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك ؟

قلت : نعم .

قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أنني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لقبلتها) (١) ، فتزوجها من هو خير من أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

ودلت الحادثة على جواز أن يقصد الرجل رجلا آخر ليزوجه موليته، ولا حرج في هذا على المرأة، لأنها لم تظهر، ولم يعرف أحد رأيها في الرجل .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا - حديث : ٣٨٠٢

## المطلب الثاني تكريم المرأة بدفع المهر

المهر ركن أساسي من أركان الزواج لا بد منه للمرأة، وهو حق ثابت لها تتصرف فيه بحريتها، ولها أن تتنازل عنه لزوجها، وهو ليس ثمنا لشراء المرأة، ولا تتحول به المرأة إلى أمة تباع وتشتري .

إن المهر عطية خالصة فرضها الله تعالى على الرجل بلا مقابل له، يدفعه لها حالا، أو يلتزم به إن كان مؤجلا، وليس على المرأة شيء تدفعه في مقابل المهر إلا إذا كان برضاها، يقول الله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ٤ ﴾ (١) .

فالمهر عطية صافية، ومنحة صرفة، وليس ثمنا لشيء، فالمرأة تنال من المتعة مع الرجل مثل ما ينال الرجل منها، وإنما المهر رمز يشير إلى أن الرجل يقدر المرأة، وإلى استعدادة لبذل كل ما تحتاج إليه من جهده، وماله، والقيام بما يريحتها، وأداء ما تحتاج إليه ، وفيه معنى أنه المعطي والمنفق .

وفي هذه الرمزية تكريم للمرأة، لأنها توضح ضرورة التضحية من أجلها، وبذل الغالي للوصول إليها، واستعداد المهدي للبذل والنفقة، وإعلان فهمه لدوره في الأسرة مع زوجته.

ومن واقع الحياة يحافظ الإنسان على كل ما وصل إليه بعد البحث الطويل، ويقدر ما تحمله من مال وعناء .

ولذلك لا يصح مطلقا إلغاء المهر لأنه ركن في عقد النكاح يجب الإبقاء عليه ليبقى ما فيه من دلالة ورمزية على تكريم المرأة، وعلى صورة علاقة زوجها معها .

---

(١) سورة النساء الآية : ٤ .

**ودعاة المساواة الذين ينادون بإلغاء المهر مدفوعون بعوامل عدة :**  
أحدها : ما يرونه عند الغربيين من قيام البنت بدفع مال للرجل، وقيامها بتأسيس بيت الزوجية، ويتصورون ذلك تكريماً للمرأة تعيش به مع الرجل، وتتساوى معه في كل شيء، وليس للرجل قوامه عليها بعد الزواج كما هو الحال في الأسرة الغربية المعاصرة .

**وثانيها : غلاء المهور في الحياة الإسلامية وكثرة المفاخرة بكثرة**  
ما تأخذه البنت من مال يعجز عنه كثير من الشباب، ولذلك كثر العوانس من الرجال والنساء.

**وثالثها : بعض أولياء المرأة يستولون على المهر، ويحرمون البنت**  
منه، وحينئذ لا تستفيد البنت بشيء من مهرها، وبصير الوالد تاجراً باع موليته .

**وكل هذه العوامل تشير إلى عدم الاستفادة من المهر في الواقع ، وبدلاً**  
من إصلاح التصرفات المعوجة في هذه العوامل ينادون بإلغاء المهر، وإهمال الحكم والفوائد المترتبة عليه، فيزداد السوء، ويضيع الحق.

**وما هكذا يكون الإصلاح !!!**

**لا يصح مطلقاً إلغاء المهر ، فهو أمر الله تعالى الذي لا يصح الحيدة**  
عنه، ... ولا يصح أن تتحول عملية الزواج إلى تجارة بالمال، وحرمان البنين والبنات من التمتع بما قرره الشريعة الإسلامية لهم .

**إن المهر هدية من الزوج للزوجة، يبذل المهدي وسعه في هديته، لأنها**  
تدل على قدره ومنزلته، ويأخذها المهدي إليه بسرور، وترحاب، تقديراً للمهدي، واستعداداً لمقابلة الود بمثله، ومواجهة الإحسان بالإحسان .

وليس من المعقول أن يرهق المهدي إليه صاحبه، ويرد هديته، أو يستهين الواهب بقدر الموهوب له، فيهديه ما لا يناسب مقامه في قلبه، أو يحرم الولي موليته من حقها.

والحمد لله على رحمته بعباده فقد شرع ﷺ المهر، ولم يحدد له قدرا معيناً، وجعله جائزاً بالمادة، وبالأعراض، وبالمنافع، وجعله حقا خالصا للزوجة تتصرف به كما تشاء .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ( جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : إني وهبت من نفسي ، فقامت طويلا . فقال رجل : زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة . قال ﷺ : " هل عندك من شيء تصدقها ؟ " . قال : ما عندي إلا إزاري . فقال ﷺ : " إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك ، فالتمس شيئا " . فقال : ما أجد شيئا .

فقال ﷺ : " التمس ولو خاتما من حديد " . فلم يجد .

فقال ﷺ : " أمعك من القرآن شيء ؟ " قال : نعم .

سورة كذا ، وسورة كذا ، لسور سماها .

فقال ﷺ : " قد زوجناكها بما معك من القرآن ) (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (إن من يمن المرأة تيسير خطبتها،

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب : السلطان ولي - حديث : ٤٨٤٣

وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها ) (١) .

إن الحياة الزوجية استقرار وطمأنينة ، وخير للمرأة أن تعيش مع رجل يملك الباءة المادية بيسر مرتبط بيسر المهر والنفقة، فقد كثر من يبدأ الحياة الزوجية وماله قليل فيتعب مع زوجته بذلك ، ....

ويعجبني حكمة ولي أمر غني سمعته يقول عند تزويج ابنته: " لن أغالي في المهر ليبدأ صهري قويا غنيا مع زوجته، ويبقى ذاكرا لي ما فعلته معه، فقد وافقت عليه لدينه وخلقه، وكيف لي أن أرهق ما رضيته زوجا لابنتي " .  
إن الله تعالى هو خالق الإنسان وهو المشرع له ، وخير لكل مسلم أن يستقيم على دين الله تعالى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٣٩٢١

## المطلب الثالث المغالاة في المهور

من البدع التي انتشرت بين المسلمين المغالاة في المهور، حتى صار المهر عبئاً لا يتحملة إلا عدد قليل من الرجال، وأدى إلى التأخر في الزواج إلى سن كبيرة، .... وهذه مشكلة يعاني منها البنون والبنات.  
إن الإسلام يحث على التيسير في المهر، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا ) (١) .

ولم يحدد الإسلام للمهر حداً، فقال تعالى : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝ ﴾ (٢) .

والمسلمون في العصر الأول كانوا يبسرون المهر ، ويختارون لبناتهم أصحاب الدين والخلق .

لقد كان زعماء المجتمع الإسلامي في العصر الأول يفعلون هذا، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه حذر الناس من التغالي في المهور، ... وهددهم بالاستيلاء على ما يزيد على مهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجاته لبيت المال، فلما حاجته المرأة لم يتراجع عمر رضي الله عنه عن هذا التحذير، وإنما رجع عن تهديده بأخذ ما زاد إلى بيت المال .

وسعيد بن المسيب رضي الله عنه وهو من كبار علماء التابعين زوج ابنته لتلميذه "ابن أبي وداعة" على درهمين، وقد خطبها الخليفة لولي عهده بزنتها ذهباً،..

---

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب النکاح، أما حدیث سالم - حدیث : ٢٦٦٣ .

(٢) سورة الطلاق الآية : ٧ .

فأبى .

والإمام السمرقندي الفقيه الحنفي صاحب كتاب "تحفة الفقهاء"، شرح تلميذه " علاء الدين الكسائي " تحفته فزوجه ابنته (١) .

وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما ( أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس فقال: يا أيها الناس ، لا تغالوا مهر النساء ، فإنها لو كانت مكرمة، لم يكن منكم أحد أحق بها ، ولا أولى من " النبي ﷺ ما أمهر أحدا من نسائه ، ولا أصدق أحدا من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية ، والأوقية أربعون درهما ، فذلك ثمانون وأربع مائة درهم ، وذلك أغلى ما كان رسول الله ﷺ أمهر ، فلا أعلم أحدا زاد على أربع مائة درهم) (٢) .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه أنه قال : ( سألت عائشة زوج النبي ﷺ : كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟

قالت : " كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا " ،

قالت : " أتدري ما النش ؟

قلت : لا .

قالت : " نصف أوقية ، فتلك خمسمائة درهم ، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه) (٣) .

ولا ريب أن ذلك كان أكثر مما يدفع للنساء من الصداق في ذلك الوقت، ولكنه كان في ظروف الإعسار آنذاك على سبيل السخاء والتكريم .

(١) طبقات الحنفية ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب النکاح، أما حدیث سالم - حدیث : ٢٦٥٧

(٣) صحیح مسلم - کتاب النکاح، باب الصداق - حدیث : ٢٦٣٣

فمن ابن أبي نجيح ، عن أبيه قال : ( أخبرني من سمع عليا علي منبر الكوفة يقول : لما أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ، فذكرت أن لا شيء لي ، ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها .

فقال ﷺ : " وهل عندك شيء ؟ "

قلت : لا .

قال ﷺ : " فأين درعك الحطمية التي كنت أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ "

قلت : هي عندي .

قال ﷺ : " فأت بها " .

قال : فأتيته بها ، فأنكحنيها ( ١ ) .

وقيل أن ثمن الدرع كان يساوي أربع دراهم ، وقيل باع علي بن أبي طالب ﷺ بغيرا بثمانين وأربعمائة درهم ، فأمر رسول الله ﷺ أن تجعل في شراء طيب وثياب لفاطمة ﷺ .

وتزوج عبد الرحمن بن عوف ﷺ امرأة من الأنصار وساق وزن نواة من الذهب مهرا ، فعن أنس ﷺ ( أن النبي ﷺ رأى علي عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة ، قال : " ما هذا ؟ "

قال : إني تزوجت امرأة علي وزن نواة من ذهب .

قال : " بارك الله لك ، أولم ولو بشاة " ( ٢ ) .

وهذه إشارات تدل على ما كان يدفع من المهر للنساء في ذلك

الوقت .

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل - ومن فضائل علي ﷺ ، حديث : ١٠٣٣

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح باب : كيف يدعى للمتزوج - حديث : ٤٨٦١

وعن أبي حردد الأسلمي رضي الله عنه ، قال : ( تزوجت امرأة من قومي ، فأصدقته مائتي درهم ، فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي . قال ﷺ : " وكم أصدقت ؟ " .

قلت : مائتي درهم يا رسول الله .

قال النبي ﷺ : سبحان الله لو كنتم تأخذون هذه الدراهم من بطن واد ما زدتم ( ١ ) .

وقال ﷺ لرجل أراد أن يتزوج امرأة: ( أعطها ثوبا " .

قال : لا أجد .

قال ﷺ : " أعطها ولو خاتما من حديد " .

فاعتل له .

فقال ﷺ : " ما معك من القرآن ؟ " .

قال : كذا وكذا .

قال ﷺ : " فقد زوجتكها بما معك من القرآن " ( ٢ ) .

وهذه أمثلة من المجتمع الإسلامي الأول نسوقها ليستفيد بها فقراء المسلمين وأغنيائهم، ويتخذوها مثلا يحتذى به في تيسير الزواج على الأولاد والبنات، ويعلموا أن المهر ليس ثمنا لشراء المرأة، لأن الثمن يكون بقدر السلعة لا يزيد ولا ينقص، وليس المهر كذلك .

ومن المعلوم أن التفاوت في المهر كان موجودا في العصر الأول، وكان يتصل غالبا بالحالة المالية، والمكانة الاجتماعية، كما كان مهر النساء

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني - باب العين، من اسمه عبيد الله ، حديث : ٤٢٥٧

(٢) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه - حديث : ٤٧٤٤

يختلف بين الأقارب والغرباء، وبين البلدان والقرى، ويختلف بالشباب والكبر، وبسبب الهيئة، والعقل، ويختلف بمستوى الجمال، وبصراحة النسب والهجنة، ويختلف بين الأباكار والثيب (١) .

وكان الرجل يدفع مال المهر، أو يدفعه له أبوه، وقد تدفعه الدولة أو تعينه فيه فقد جاء عبد الله بن أبي حرد رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه على النكاح، وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنه عاصم بعد زواجه من مال الله شهرا .

فمن عاصم بن عمر رضي الله عنهما، قال : ( لما زوجني عمر أنفق علي من مال الله شهرا ، ثم قال : يا يرفأ احبس عنه .  
ثم دعاني ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أي بني ، فإني لم أكن أرى هذا المال يحل لي إلا بحقه ، ولم يكن أحرم علي منه حين وليته ، وعاد أمانتي ، قد أنفقت عليك من مال الله شهرا ، ولن أزيدك عليه ، وقد أعتك بثمن مالي بالعالية ، فانطلق فاجدده ، ثم بعه ، ثم قم إلى جانب رجل من تجار قومك ، فإذا ابتاع فاستشركه ثم استنفق وأنفق على أهلك ) (٢) .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامله على العراق أن يعين البكر على الزواج .

---

(١) الأم للشافعي ٥ / ٦٤ .

(٢) الأموال للقاسم بن سلام - كتاب مخارج الفياء ومواضعه التي يصرف إليها ، باب فرض العطاء

لأهل الحاضر - حديث : ٤٨٥

وغير هؤلاء من عظماء الإسلام كثيرون في كل عصر من عصور تاريخنا الإسلامي ، يضربون المثل للناس في تقدير القيم العالية لدى الشباب الخاطب، ويغرسون هذه الروح في نفوس الناس .

**والوصول إلى روح الإسلام في المهور يحتاج إلى تثقيف الناس جميعا بالإسلام، وتطبيق تعاليمه، وترك أي أمر يخالف حكم الله تعالى .**

إن الإسلام يرغب في الزواج المبكر لينال كل من يبلغ من البنين والبنات طلبته، ويشبع كل منهما غريزته بالحلال المشروع، ويحافظ على طهارة الأفراد والمجتمعات، ويكثر النسل الذي يعمر الدنيا بالعمل والإنتاج، وتكثر الأمة الإسلامية وسط الأمم الأخرى .

**ويحسن لأولي الأمر والأغنياء في كل أوطان الإسلام القيام بتخفيض مهور بناتهم، وعدم المغالاة في حفلات العرس، وولائم النكاح ، وتمكين أبنائهم من أعمال جادة تدر عليهم الأموال التي تكفيهم وزوجاتهم .**

**ولياخذ العقلاء من الواقع عبرة وعظة، فقد أدى غلاء المهور إلى قلة الزواج، وكثر العوانس في المجتمع من الأولاد والبنات، وصارت الشوارع، ومحلات البيع والشراء، والمننديات العامة مليئة بالشباب والشابات بلا هدف سوى رؤية الحسن والجمال، والتلذذ والتحرش، والمعاكسة، وإهمال حق المجتمع على هؤلاء المتسكعين .**

**وعلى الولاة مراعاة هذه الأحوال في المجتمع، وهم مسئولون عنها أمام**

الله تعالى .



**والقوامة تعني** رياسة الأسرة، وإدارة شئونها في رحمة، وخلق، وحرص من غير إلحاق أي نقص في شخصية المرأة وأهليتها، وبلا تدخل في التزاماتها المادية، وعدم إلغاء شخصيتها المالية ، فلها أن تبيع وتشتري، وتباشر كافة العقود التي يباشرها الرجل.

**إن القوامة تكريم للمرأة**، وصيانة لرقتها وعفتها، وتكليف للرجل لحماية زوجته، والإنفاق عليها، والمحافظة على عفتها، ومساعدتها لتقوم بدورها في الأسرة، وفي الحياة العامة .

**وقد جعل الله تعالى القوامة** سياجا وحصنا قبل الزواج وبعده ، ويظهر هذا التكريم جليا إذا رأينا حال امرأة تباشر أمر نفسها مع الناس الغرباء، وفي المؤسسات المختلفة، حيث نراها مرهقة متعبة بين المرتشين، ونرى إهانتها من الخبثاء الذين يستهينون بها ويقدراتها .

مع هذا التكريم نجد من الناس من يعارضه ، ويدعي أنه إهانة للمرأة ، وإنكار لأهليتها، وصورة من صور عدم مساواتها بالرجل، ... وقد شاع هذا الرأي وبخاصة عند البنات المعاصرات، وعند المفكرين المنكرين للحق والصواب .

**والبعض يحصر القوامة** في طاعة الرجل حين يطلب زوجته للجماع، وعدم الخروج من البيت إلا بإذنه، ولا تدخل البيت أحدا يكرهه، و فقط ، ... وهذا تصور قاصر يجمد القوامة في عمل إداري بحت .

**إن القوامة تعني** إدارة شئون الأسرة ، وطاعة الزوج في تربية الأولاد، وحسن التبعل له، وجعل البيت موطنا للمودة والرحمة، ومسكنا لراحة الرجل وطاعته فيما يرضي الله تعالى، ولعل حديث رسول الله ﷺ عن صفات

السيدة خديجة رضي الله عنها تحدد أهم جوانب القوامة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء . فغرت يوما ، فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق ، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها . قال صلى الله عليه وسلم : " ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبنى الناس ، وواستني بماله إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء ) (١) .

إن القوامة المشروعة في الأسرة المسلمة ليست عملا إداريا يحدد الاختصاص والمهام داخل الأسرة كما يتصورها البعض، ولكنها تعاون إيجابي قائم على المودة والرحمة، وتحقيق التكامل داخل الأسرة لإخراج جيل من المؤمنين العاملين .

إن القوامة تهدف إلى الوصول بالسفينة إلى بر الأمان، وسلامة الجميع، وإحياء كافة الجوانب الإنسانية فيها . إن القوامة رئاسة عادية للأسرة التي لا بد منها ليستقيم أمرها، وتقوم بدورها في تكوين النشء، وتقوية الجماعة. وسوف أقوم بإثبات ما في القوامة من تكريم للمرأة ، وأناقش رأي معارضي قوامة الرجل من زاويتين كل زاوية في مطلب ... وهما :

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٤٣٠٩

## المطلب الأول التطبيق العملي للقوامة في الأسرة

شرع الإسلام قوامة الرجل على المرأة، وحدد مجالاتها المالية، والأخلاقية، وذلك في قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنَّ أَطَعَتْكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (١) .

جاءت الآية بصيغة الخبر في شطرها الأول، ومرادها الأمر والإنشاء كشطرها الأخير، والآية تبين سبب قوامة الرجل، وتبين أنه ينفق على الأسرة من كده وتعبه، وأنه يتميز عن المرأة بصفات عقلية وإدارية تمكنه من الرئاسة، كما توضح أن المرأة الصالحة تطيع زوجها، وتحفظه في ماله وولده حين يغيب عنها، وعلى الرجل أن يحسن معاملة زوجته، فإن رأى بوادر غضب لديها، فعليه أن يسارع إلى إصلاح أمرها بما يناسب نشوزها، ونفرتها إن الآية تشير إلى ضرورة القوامة، وتحدث عنها كأنها حق ثابت للرجل لا منازعة فيه بعد قيامه بما وجب عليه، كما يفهم من ورود الأمر بصيغة الخبر في الآية .

وقد بينت الآية مفهوم القوامة، ومشروعيتها في حياة الأسرة، ومن الآية نستنتج صور القوامة في حياة المرأة، ... وأهمها ما يلي : -

### ١- طاعة الزوج :

يلزم الإسلام المرأة بعد تمام العقد بطاعة الزوج فيما يأمر به ما لم يكن

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .

في معصية الله تعالى .

**وقد اختلف الفقهاء في حدود طاعة الزوجة، والقيام بعمل البيت ما بين** موسع ومضيق، وأحسنه ما جرى عليه العرف كما هو اليوم حيث تقوم المرأة بعمل البيت، وتربية الأولاد، ورعاية حاجات زوجها من مأكّل، وملبس، ... وسأفصل ذلك في رقم " ٦ " .

## ٢- متابعة الزوج في السكن :

**وكذلك يلزم الإسلام الزوجة بالإقامة مع زوجها في الدار التي يعدها** للزوجية ، وأن تقر فيه، ولا تخرج منه إلا بإذنه، وتحافظ على حرمة البيت ، فلا تدخل فيه أحدا يكرهه زوجها .

**فإذا خرجت المرأة من بيت زوجها من غير إذنه فله أن يعيدها إليه رغم** أنفها من باب إعادة الأمور إلى نصابها .

**وقد نادى دعاة المساواة بجواز خروج المرأة من مسكنها بغير إذن** زوجها، والعيش بعيدا عنه في مسكن آخر ، وهذا لون من الفوضى لا يقرها عقل ، أو شرع ، لأنه يجعل المرأة حرة في ترك بيت الزوجية ، وهذا يؤدي إلى الطلاق أو الضياع، أو إهانة الرجل، ...، ولذلك وجب على المرأة ملازمة بيت الزوج لا تخرج منه إلا بإذنه .

## ٣- التزين لزوجها:

**على المرأة أن تهتم بحسن هندامها، وزينة ملابسها، ولبس الحلي ليسر** زوجها بحسنها، وجمالها، فخير النساء من يُسر زوجها إذا نظر إليها ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم

عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله ( ١ ) .  
ولعل في استقرار المرأة في بيتها سببا رئيسيا لنتهيا لزوجها، وتجعل من  
البيت روضة للسكن ، والحسن، والجمال .  
ولا يصح أن تتجمل المرأة لمقابلة الغريب وتترك زينتها مع زوجها، ....  
فهذا شيء عجيب !!!؟

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله ﷺ : " ألا أخبركم  
بنسائكم من أهل الجنة الودود، الولود، العوود على زوجها ، التي إذا آذت  
أو أوذيت ، جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ، ثم تقول والله لا أدوق غمضا  
حتى ترضى ) ( ٢ ) .

#### ٤ - مبادرة الزوجة طلب زوجها :

وعلى الزوجة أن تأتي زوجها في الفراش الذي أعدته وجهازته ما لم تكن  
معذورة بحيض أو نفاس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ :  
( إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها  
الملائكة حتى تصبح ) ( ٣ ) .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( ... فإني لو أمرت  
شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفسي بيده  
لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي

---

(١) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح، باب أفضل النساء - حديث : ١٨٥٣

(٢) السنن الكبرى للنسائي - كتاب عشرة النساء، شكر المرأة لزوجها - حديث : ٨٨٥٦ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء، حديث : ٣٠٨١

على قتب لم تمنعه (١) .

وعن قيس بن طلق رضي الله عنه، قال : حدثني أبي، قال : (سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتجبه وإن كانت على التنور) (٢) .

ومبادرة الزوجة تكون في حدود طاقتها ، وعليها أن تعرف زوجها بهذه الطاقة ليعذر أي تقصير لديها من غير إفراط ولا تفريط .

وعلى الزوج أن يحرص على إتيان زوجته، لأن المتعة الزوجية لهما معاً، وهي ترغب ولا تطلب، وقد ذهب ابن حزم إلى أنه على الرجل أن يجامع زوجته مرة في كل طهر على الأقل إن قدر على ذلك ، لأن الجماع يدعم الحياة الزوجية ، ويلطف مجال الإنس والحنان بين الزوجين ، ويجلب المثوبة والأجر ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( .... وفي بضع أحدكم صدقة .

قالوا : يا رسول الله ، يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " أرايتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟

فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) (٣) .

٥- صيانة المرأة نفسها، وولدها، ومال زوجها من الضياع :

الحياة الزوجية تجمع صناعي لإشباع ميول الرجل والمرأة بصورة مشروعة، وعلى طرفي الأسرة أن يعلما قبل الزواج المسئولية على كل منهما

---

(١) صحيح ابن حبان - كتاب الحج، باب الهدى ، حديث : ٤٢٣٢

(٢) صحيح ابن حبان - كتاب الحج، باب الهدى ، حديث : ٤٢٢٦

(٣) صحيح مسلم - كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف - حديث :

ويلتزمها بها، فكلاهما سكن لشريكه وإيناس له، وعلى كل منهما أن يقوم بالواجب عليه تجاه الطرف الآخر، يسمع قوله، ويؤانسه، ويشاوره، ويقوم بكل ما يرضيه، ويسعده، يقول الله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ (١)، ويقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾ (٢)

ومن هذا الباب لا يصح للمرأة المسلمة أن تكشف عورتها لغير زوجها، ولا تهمل في تربية ولدها، ولا تضيع المال في غير وجهه، ولا تجعل نفسها منافسة لزوجها فيما لا يرضيه، ولا تجعل حياتها مع زوجها خصومة وصراعا، وتحرم نفسها من المودة والرحمة التي جعلها الله تعالى بين الزوجين.

**والعقلاء من النساء والرجال هم من يجعلون من الزواج سعادة الدنيا وموطن الخير، ونشر الرضا والطمأنينة .**

#### ٦- تدبير شئون المنزل :

**اختلف الفقهاء في قيام المرأة بتدبير شئون المنزل:**

**فذهب الأحناف والمالكية، والشافعية إلى أن عقد الزواج يرتبط بالعشرة الزوجية، والعلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة، ولذلك يذهبون إلى عدم تكليف الزوجة بأعمال البيت، ويرون حقها في خادمة تخدمها، وتقوم بشئون البيت .**

**ويرى غيرهم من الفقهاء أن طاعة الزوج تشمل شئون البيت وتربية الأولاد**

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٢٣ .

(٢) سورة الروم الآية : ٢١ .

والقول الفصل في هذه القضية يعود للعرف، فإن كان العرف جاريا على عمل الزوجة في البيت ، وتربية الأولاد، فهو الحكم في هذه القضية، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع علي وفاطمة عليهما السلام إذ قسم الأعمال بينهما، فكلف علي عليه السلام بالأعمال خارج البيت، وكلف فاطمة عليها السلام بالأعمال داخل البيت .

٧- تقبل قوامة الزوج:

أمر الله تعالى الزوج بمراعاة حال زوجته، فإن خاف منها نشوزا، وشعر به في نظرتها، وصوتها، وتغير أوضاعها فعليه أن يعيدها إلى طبيعتها، ويعالجها بما شرعه الإسلام له ، وبما بينته الآية الكريمة .

وأدعياء المساواة يهاجمون القوامة، وينسون أنها القلب الرحيم الذي وضع الإسلام المرأة فيه ، فقد أمر الله تعالى الزوج بحسن معاشرته زوجته، وربط الزوجين بميثاق غليظ يقوم على المودة والحب، والتعاون، فقال تعالى:

- ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ (١) .
- ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ (٢)
- ﴿ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ ﴾ (٣) .
- ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۗ ﴾ (٤)
- ﴿ يَتَأْتِيهَا مِنَ الْبَيْتِ ءَامِنُونَ لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا <sup>ط</sup> وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ۗ ﴾ (٥) .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٩ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣١ .

(٥) سورة النساء الآية : ١٩ .

ويقول النبي ﷺ :

- عن سليمان بن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه قال : حدثني أبي ( أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر ووعظ ، ثم قال : " استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن لكم من نساءكم حقا ، ولنساءكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نساءكم ، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ) (١) .

- وعن سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه : ( أن النبي ﷺ قال : ... الله الله في النساء، إن من حق المرأة على زوجها أن يطعمه، ويكسوها، فإن أتت بفاحشة فيضربها ضربا غير مبرح ) (٢) .

هذه الصورة النجلاء التي صنع الله ﷻ بها الرجل ، وأمره أن يتبعها مع زوجته تدل على أن القوامة تكريم للمرأة، ورفع مكانتها، وصيانة لعرضها، ورفعتها، فهي تطيع حبيبها لقلبها، ورفيقا لعمرها، ومن مقررات الواقع أن المحب لمن أحب مطيع .

إن الزوج في صورته الإسلامية يألف ويؤلف، والمرأة المسلمة العاقلة تفتخر بذكاء زوجها ، وتسمو على زميلاتها بكفاءته ، وحسن تدبيره، وتصنع

---

(١) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج - حديث : ١٨٤٧

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب النكاح، باب وجوب النكاح وفضله - حديث : ١٠٠٨٨

معه جنة في الأرض تتمناها في جنات النعيم .  
لقد عايشت امرأة صالحة تتمنى بعد وفات زوجها أن تعيش معه في  
جنات النعيم سعيدة بمصاحبته، وقوامته عليها .

إن القوامة تكريم حقيقي للمرأة لا ينكرها إلا المرضى والعميان  
وما ضر شمس الضحى في الأفق ساطعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وإذا قارنا مسئوليات الرجل ومسئوليات المرأة مع وجود القوامة نجد  
التكريم واضحا للمرأة، لأن القوامة لا تزيد عن طاعة الرجل في أوامره  
المتصلة بالبيت، والأولاد، والنفقة، ويقوم هو بالإنفاق، والعمل، وحماية الأسرة  
، وقضاء ما تحتاج إليه خارج البيت، وبذلك لا تزيد القوامة عن بث  
الطمأنينة في حياة المرأة وهي تطيع زوجها في عمل البيت، وتربية الأولاد .

ومن روائع النظم القرآني قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١)  
لأن هذه الآية الموجزة تبين أن الحياة الزوجية تقوم على المعروف عقلا  
وشرعا، وتقدم ﴿ وَكُنَّ ﴾ على ما ﴿ عَلَيْهِنَّ ﴾ تكريما للمرأة ، وبيانا بأن الحق  
المقرر لها تتاله مقابل أن تؤدي الواجب عليها ....

ولا يصح الاستدلال بتصرف رجل فاسق يؤدي زوجته، ويضيع حقوقها،  
ولا يعاملها بالمعروف، ويتصور القوامة قهرا وتحكما .

إن تصرفات هذا الرجل مع زوجته بعيدة عن أحكام الإسلام، والمسئولية  
تقع على الولي الذي وافق على تزويج موليته لهذا الرجل، لأنه قصر في  
معرفة الرجل، والبحث عن صفاته ومعاملاته قبل الزواج وبعده .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .

## المطلب الثاني ضرورة القوامة في الحياة الزوجية

القوامة في الحياة الزوجية ضرورة دينية، لأن الله تعالى أمر بها، وأقام الحياة عليها، وما يأمر الله تعالى به فهو الحق والصواب .  
وواجب المسلم في كل حال وأن يلتزم بمنهج الله تعالى ، وأن يرضى بحكم الله ﷻ ، ويستقيم على صراطه المستقيم حتى لا يضل ولا يضيع ، يقول الله تعالى :

- ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۗ ﴾ (١) .
- ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ﴾ (٢) .

وطاعة الله تعالى فيما أمر، وفيما نهى ضرورة دينية يثاب المرء بها على طاعته، ويعاقب على معاصيه .

والقوامة أيضا ضرورة حياتية لابد منها في مسار الحياة ، لأن الأسرة مؤسسة اجتماعية صغيرة تحتاج لمن يدير شئونها ، ويمثلها أمام المؤسسات الأخرى شأنها في هذا شأن سائر المؤسسات الاجتماعية ، فهي تحتاج إلى مدير يديرها، ويتولى شئونها، ويوزع الأعباء على المنتسبين إليها، وقد توصلت المؤسسات الاجتماعية ، والاقتصادية، ... وغيرها من المؤسسات المنتشرة في العالم كله إلى ضرورة اختيار مدير لكل مؤسسة، معه مساعده

---

(١) سورة طه الآيتين : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٥٣ .

ومعاونوه، على أن يرأس الجميع مدير عام للمؤسسة .

**ودرج الناس في كل المؤسسات على تقسيم الأعمال، وتوزيعها إلى فروع عديدة يشرف عليها المدير العام .**

**هذه الضرورة الحياتية** للأنشطة الإنسانية تحتاجها الأسرة على وجه دقيق أكثر من غيرها، فهي مصنع السكن والمودة، وموطن الحنان للرجل والمرأة ، وهي التي تنتج الولد، وتربيته، وتوجهه، وتصلحه ظاهرا وباطنا، ويصلح هذا المصنع يصلح المجتمع كله .

**هذه الضرورة** تحتم أن تكون القوامة للرجل، لأنه الأصلح لها، والأجدر بها، وكافة التصورات العقلية تؤكد ذلك .

**وحتى نثبت حق الرجل في القوامة على زوجته وأولاده نستعرض كل الاحتمالات العقلية الممكنة لهذه القوامة، ونحللها، ونقف على جدواها حتى نصل بعقولنا إلى صاحب القوامة الواجب للأسرة .**

#### **الاحتمال الأول:**

**الاحتمال الأول أن تكون القوامة للمرأة، وهذا الاحتمال يضيع الأسرة، ولا يمكنها من أداء وظيفتها، لأن المرأة يغلب الحنان عندها الحزم، وتعلو العاطفة على الإرادة، ويبدو ضعفها في مواقف تحتاج للشجاعة والقوة، وتعجز المرأة عن مواجهة مشاكل الأسرة الداخلية والخارجية التي لا بد منها، ومحاوره الرجال في القضايا الاجتماعية المتصلة بشئون الأسرة .**

**وعلى هذا لو تولت الزوجة القيادة تضيع الأسرة، لأن طبيعة المرأة تتعارض مع القيادة والقوامة، لخصائصها العاطفية، وضعفها اللإرادي .**

**ولن تنجح مؤسسة ما القائد فيها أضعف من المقود، والأعلى يمد يده إلى من تحته .**

ولهذا فاحتمال قوامة المرأة للأسرة أمر لا يصح ولا يجوز القول به.

#### الاحتمال الثاني:

والاحتمال الثاني أن تدار شؤون الأسرة بأهل المرأة، وتكون لهم القوامة، وهو احتمال تحاوله أسرة المرأة كثيرا عن طريق توجيه ابنتهم من خلف ظهر الرجل أو بعلمه، وتتمناه المرأة لتستمر الحياة معها كما كانت قبل الزواج ، ولا تسلم أمرها لرجل غريب عنها، وترى أن أباه وأخاها أولى .

وهذا احتمال لا يصلح لأن المرأة في هذه الحالة تكون غير مخصصة لزوجها، ولا خالصة له فهي تدار وفق هوى أهلها، وتنقاد لهم، وتضيع شخصية الزوج، وتفقد الأسرة الفائدة التي شرعت لها، وتصرف الرجل عن مهامه، لأنه سيهمل زوجته كما أهملته، ولن يسمح لهؤلاء الغرباء البعيدين عنه تولية قيادة الأسرة ، وخير له مفارقة الزوجة، وإن أبقاها لمصلحة الأولاد فهو بقاء معوج لا يقيم أسرة مستقرة، ... ولهذا فإن هذا الاحتمال لا يصلح للقوامة .

#### الاحتمال الثالث :

والاحتمال الثالث قيام أهل الزوج بالقوامة، وفيها يلتزم الزوج بما يأمره به أهله، وبذلك يفقد أهليته في بيته، ويصير الرجل في نظر زوجته ناقص الرجولة، وليس أهلا للطاعة والتقدير، وإن رضى الزوج بقوامة قومه فلن ترضى به الزوجة أبدا .

إن الاحتمالان الثاني والثالث لا يصلحان مطلقا لصدور القوامة من طرف بعيد عن الأسرة، لأن دور الأسرة توحيد مزاج الزوجين، وإشباع ميولهما، وربطهما بميثاق غليظ، يضم العقل، والجسد، والروح، .... وهذا الحال لا يتحقق أبدا حين تكون القوامة من خارج الأسرة .

### الاحتمال الرابع :

وهو أن يتناوب الزوجان القيام بالقوامة، فيقوم بها الرجل يوما ، وتقوم بها المرأة يوما آخر، وهذا حال لا يستقيم، لأن ما تقيمه المرأة يهدمه الرجل، وما يقيمه الرجل تهدمه المرأة ، ويستمر التضاد في الأسرة ولا يصلح لها حال .

### الاحتمال الخامس :

والاحتمال الخامس هو أن يتفق الزوجان على أنه لا قوامة في الأسرة، ويتزكا أمر الأسرة للصدفة، والهوى وهذا حال لا يرضي أحدا، ولا يربي ولدا، فهو احتمال غير صالح .

ولا يبقى بعد الاحتمالات الخمسة السابقة إلا الاحتمال الأخير، وهو أن تكون القوامة للزوج، يقوم بها حماية لزوجته ، وصيانة لأسرته ، فهو الأعم بشئونها، والحريص على رقيها، والمهتم بكل ما يفيدها، ومصحتها هي مصحته، وهي مستقبلة الذي يتمنى السعادة معه.

وهذا هو الاحتمال الصحيح الذي لا تقوم القوامة إلا معه ، وهو الحكم الذي قضى الله تعالى به للناس في قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١)، والمقصود بالرجال الأزواج، والمراد بالنساء الزوجات ، ف(ال) للعهد بدلالة الآية ، حيث بينت دور الرجل في الإنفاق ، ووصفت المرأة بأنها زوجة صالحة متصفة بقوله تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (٢) ، وهذه صفات المرأة

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣٤ .

الصالحة التي جمعت حسن المظهر، وطيب المخبر ، فالصلاح يحمل الناس على الثقة بالموصوف به لما يبدو في سلوكه من استقامة على المحامد، وتمسك بالمعروف، ودأب على البر ، وعكوف على التقوى، فإذا انضم إلى الصلاح القنوت والمحافظة على الغير يكون الخير كله.

**وتلك أمور تظهر للعشراء والخلطاء، والحياة الزوجية لا بد لإكمالها ،**  
وتمام أمرها من الجمع بين جمال الظاهر، وجلال الباطن، وقد أثبت ذلك وصف الزوجة بالقنوت، والصلاح، وحفظ الغيب .

**إن اللذة التي تجمع الزوج والزوجة لا يصح مطلقاً أن تضيع منهما**  
بسبب النزاع حول القوامة، .... والواجب أن تكون العلاقة بينهما بالمعروف  
والحسن .

**وهكذا**

**ثبتت ضرورة قوامة الزوج للأسرة بدلالة الوحي، ودلالة العقل .**

## المبحث السابع تكريم المرأة بعلاج النشوز

حال الإنسان في الدنيا لا يدوم على وتيرة واحدة، فهو يسر أحياناً، ويساء في أحيان أخرى، وهو كذلك في سلوكه وعمله، وسائر أموره، فهو دائم التقلب، كثير النسيان، سريع التغيير، وفي الحياة الزوجية لا يدوم الود، والحنان، والرفقة، وكثيراً ما يقع بين الزوجين نشوز واختلاف .

والإسلام دين الواقع ، حيث نجده يشرع للأسرة في كل حالاتها التي يتصورها العقل والمنطق .

**ففي حالات التوافق بين الزوجين** يدعوهم الإسلام إلى كل ما يمتن هذا التوافق بتوضيح أنهما من نفس واحدة، وبينهما تتحقق المودة والرحمة، فيحث الزوجة على الطاعة، والمودة، وتذكر فضل زوجها، ويحث الزوج على الاهتمام بزوجته ويوصيه بها خيراً، ويحثه على استمرار العناية بها في إطار القوامة المقررة، ويأمره أن يتبين أي تغيير يطرأ في سلوكها، أو على وجهها ، أو في نشاطها، ويبحث عما وراء هذا التغيير ليعالجه برفق وحكمة، فقال تعالى : ﴿ وَالَّتِي خَافَتْ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿٣٤﴾ (١) .

**ويدل ظاهر الآية** على أن الزوج لما له من ولاية على زوجته، عليه أن يتأمل حالها دائماً، فإن رأى فيها غضباً، أو توقع نشوزاً فعليه أن يقوم بعلاج النشوز قبل وقوعه برفق وهدوء، وليبدأ علاجه بالوعظ والإرشاد القولي، وذلك يكون بمناقشتها فيم تفكر فيه، وفيما يؤذيها، والوعظ يفيد مناقشة الأمر من

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .

جميع وجوهه، وردة بالأدلة المقنعة، وإثارة انفعالات الرضى، ومناقشة المسألة بعمق وحكمة.

**ووعظ الرجل لزوجته** يتضمن المناقشة الطويلة، والاستشهاد بقصص الماضي، والنظر للمستقبل، وضرورة المحافظة على سلامة الأسرة مع الاطناب والتكرار للوصول إلى الأمن المنشود للأسرة .

**ومن حقيقة الوعظ** استعراض آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ ، ومآثر السلف الصالح بروح المحب للموعوظ، والأمل في تحقيق الغاية من الوعظ، وغالبا ما تتأثر الزوجة بوعظ زوجها حينما يذكرها بأوقات الود ، ولحظة الحنان، والمحافظة على الأبناء .

**وقد صدرت الآية الأمر بالوعظ** بالفاء في قوله تعالى : ﴿ فَعَظُّوهُنَّ ﴾ ، لإرشاد الأزواج إلى المسارعة في وعظ الزوجات قبل أن يتسع الخرق ، ويتدخل فيه الأولياء، وبضخمه الشياطين من الجنة والناس .

**يقول الشيخ محمد المدني** عن وعظ الرجل لزوجته : " والوعظ يكون من الرجل لزوجته عندما يتوقع منها المخالفة، والمغاضبة، والاستعصاء، وهو قائم على النصح والإرشاد في رفق ولين، وما أبلغ دلالة الوعظ على المراد ، لأن الوعظ نصح مبني على التذكير بما يرقق القلب، ويخوف من عواقب العصيان ، ويحذر من وقوع النشوز في الأسرة .

**والمبادرة إلى الوعظ، والإسراع إليه** يفيد ضرورة أن يكون الحوار في رفق، ولين، ولباقة، وستر بعيدا عن جميع من في البيت من أولاد وخدم .

**إن الوعظ يتضمن** تذكير المرأة بالمواقف الجميلة ، ويظهر محاسن أخلاقها ، ودورها مع زوجها، ومع أولادها، .... ويحذرنا من شماتة الأعداء دون أن يظهر لها ضعفا أو شدة .

**والوعظ والحوار** خطوة طبيعية لحل الخلاف ، وكلا الزوجين يعرف كيف يؤثر في شريكه ، ويتذكر المواقف المؤثرة لديه .  
**وعلى الزوج أن يصبر في وعظه ، ويكرره ، ولا يتألم** لطول مدته حتى يسمع كل ما تشكو منه زوجته ، ويناقشها فيه ، ومن الضروري أن يظهر الزوج في وعظه التسامح والكرم (١) .

**ومن النساء من لا ينفع معها الوعظ ، والحوار ، وترى في نفسها حسنا** وجمالا تتيه به على الرجل، وترفض حوارها ، وتأمل في ضعفه واعتذاره ....  
**ولذلك حسن للزوج مع هذا الصنف من النساء أن يهجرهن في المضاجع ،** والبعد عن مواطن مضاجعتهن، والمراد تركهن منفردات في مضاجعهن، فلا يدخل معهن تحت اللحف، ولا يباشروهن، وهذا عمل يظهر فيه الرجل امتعاضه من زوجته بطريقة صامتة ، ولكنها شديدة التأثير فيها ،... لأن هذا الصنف من النساء تتباهى في نفسها وهي ترى زوجها هائما بها ، شديد الميل إلى جماعها، ... فإذا ما رأت منه انصرافا عنها أحست بالخطر، وأسرعت بترك نشوزها.

**وحتى الزوجات اللاتي لا يرغبن في الجماع يتأثرن بهذا الهجر،** لخوفهن من انصراف الزوج عنهن، وانشغاله بمهامه بعيدا عنهن .  
**وقد أمر الله تعالى الزوج بالهجر لتري الزوجة منه هذا الموقف السلبي،** فتسرع إلى إرضائه، والمحافظة عليه .

**ومن روائع النظم القرآني قوله تعالى: ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾** لأنه يبين أن المقصود هجر الزوجة لا هجر المضجع ، ليبقى الزوج قريبا من زوجته

---

(١) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء للشيخ / محمد محمد المدني ص ١٧٠ بتصرف .

وهو على وضع لم تألفه منه .

**فإن قيل:** إن الهجر قد لا يفيد في إصلاح بعض النسوة، لأن من النساء من تتمسك بنشوزها، ولا ترغب في لقاء الرجل ؟ ..

**أقول :** إن الحكم الشرعي يتقرر للعموم، ولا يتأثر ببعض الشواذ، وعادة أغلب النساء يتأثرن بهذا الأمر كثيرا لارتباطه بطبيعتهن ، وأنوثتهن.

**يقول الأستاذ / محمد رشيد رضا :** " والهجر ضرب من ضروب التأديب تتأثر به المرأة التي تحب زوجها، ويشق عليها هجره إياها في الفراش فقط، فعساها ترجع عن غيها، وتعيده إلى الفراش مرة أخرى (١) .

**إن أفسى العقوبات** هي العقوبة التي تمس الإنسان في غروره، وتشككه في المزية التي يعتز بها ، ويحسبها عماد أهميته .

**فالمرأة تعلم أنها ضعيفة أمام الرجل، وتعمل على أن تعوض هذا الضعف بفتنتها التي تجذب الرجل إليها ، ...**

**فليكن للرجل ما شاء من ثقة ما دام معها سحرها وجمالها الذي لا يقدر الرجل على الاستغناء عنه، ...** فإن هجرها الرجل، وأهمل سلاحها فإنها تشك في أنوثتها، وتعود إلى ضعفها، وترى نفسها بغير السلاح الذي كانت تراه سندها، ودعامتها، ...

**ولا تملك المرأة عند ذلك إلا أن تشعر بضعفها ، وبعدم جدوى أسلحتها، فنترك النشوز، وتعود إلى الطاعة .**

**إن الهجر في المضجع** عقوبة نفسية قبل أن يكون عقوبة معنوية ، وهي تبطل عناد المرأة المغرورة بجمالها، المدلة بحسبها ونسبها، ولذلك نراها تترك

---

(١) تفسير المنارج ٥ ص ٦٠ بتصرف .

نشوزها لأنه يفقدها مزاياها .

**ومن عظمة التشريع أن جعل الهجر في المضجع فقط حتى لا يشعر** به أحد ، ويبقى بين الزوجين ، لأن المرأة تستحي من الحديث مع غيرها في هذا الهجر، وتعيد الأمر إلى عقلها، وتتدبر فيه، وما عليها إلا أن تراجع نفسها، وتدرك قوة إرادة الرجل في ترك ما كان يشتهييه ويحبه، وترى أن الخير لها العودة إلى الطاعة، والتخلص من النشوز لتحافظ على زوجها، وعلى متعتها التي أحلها الله تعالى لها.

**وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر واحد كما فعل النبي ﷺ مع** زوجته اللتين تظاهرتا عليه ، .... ولا يبلغ به الزوج أربعة أشهر ، وهي المدة التي ضربها الله تعالى حداً للإيلاء .

**وهناك صنف من النساء** فيهن بلادة فطرية في عقولهن ، وطبيعتهن، لا يتأثرن بوعظ ، ولا يضارون بهجر ، وهن أشبه بالرجال في شدتهم ، لا يتأثرون بعاطفة، ولا يتعاملون برقة وحنان، وهؤلاء أباح الله تعالى للزوج أن يعالج نشوزهن بالضرب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْرُ بُؤْهَنَّ ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : ( تلك المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره فأمر الله عز وجل أن يعظها، ويذكرها بالله ويعظم حقه عليها، فإن قبلت وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يذر نكاحها ، وذلك عليها شديد ، فإن رجعت وإلا ضربها ضرباً غير مبرح ولا يكسر لها عظماً ، ولا يجرح لها جرحاً) (١)

وعن عطاء قال : قلت لابن عباس : ما الضرب غير المبرح ؟

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب القسم والنشوز، باب نشوز المرأة على الرجل - حديث : ١٣٨١١

قال : " بالسواك ونحوه ) (١) .

وقد ألف الناس أن يؤدبوا أبناءهم وبناتهم بالضرب الخفيف ليعودهم عن الخلق السيئ، والعمل الرديء .

ولجوء الزوج إلى الضرب لا يجوز إلا مع الزوجة التي لا يردها عن غيرها إلا الضرب، وقد حث الإسلام الرجال على أن لا يلجأوا إليه إلا عند الضرورة القصوى، لما يحمله من صورة عملية تتعارض مع متطلبات الحياة الزوجية السليمة، يقول النبي ﷺ :

- عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أيضرب

أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم ) (٢) .

- وعنه أيضا رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (بم يضرب أحدكم

امراته ضرب الفحل ، أو العبد ، ثم لعله يعانقها) (٣) .

- وعن هشام بن عروة ، عن أبيه رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله ﷺ :

" أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد يضربها

أول النهار ، ثم يضاجعها آخره، أما يستحي ؟ ... ) (٤)

وهذه الأحاديث تبين أن الضرب علاج أخير لا يلجأ الرجل إليه إلا عند الضرورة ، ومن المعلوم أن آخر الدواء الكي، وخير للمرأة أن تعالج بهذا الدواء بدل أن تترك زوجها وأولادها .

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة النساء، قوله تعالى : ﴿ وَأَصْرُهُنَّ ﴾ ، حديث : ٨٥٨٧

(٢) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب القسم والنشوز، باب الاختيار في ترك الضرب ، حديث : ١٣٨٢١

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يسخر - حديث : ٥٧٠١

(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني - كتاب العقول، باب ضرب النساء والخدم - حديث : ١٧٣٠٦

يذهب كثير من العلماء إلى أن طرق العلاج الثلاثة شرعت لتناسب أصناف النساء ، فكل صنف علاج ودواء .

يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: لكل صنف من النساء ما يليق به، وهو كاف في ردع المرأة ...

فالتى يكفيها الوعظ والحوار لا يستعمل معها الهجر أو الضرب ، ...  
والتي يصلحها الهجر لا يتهاون في جانبها بالوقوف عند حد القول والوعظ ، ولا يستعمل معها الضرب ، ويكتفي الزوج بهجرها .

وهناك صنف من النساء لا تؤثر فيه الموعظة ، ولا يكثر بالهجر، وقد أبيع للزوج مع هذا الصنف نوع من التأديب المادي ، وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم بالضرب .

إن التأديب المادي لأصحاب الطباع الشاذة أمر تدعو إليه الفطرة ، وقد وكلته الطبيعة إلى الآباء في الأسر، كما وكلته إلى الولاة في الأمم، ولولا هذا التأديب المادي ما بقيت أسرة ، ولا صلحت أمة، ولو سئلت المرأة العاقلة وخيرت بين هذه العقوبة المادية والبقاء على الأسرة ، وبين إلغاء هذه العقوبة واللجوء إلى القضاء ، أو إيقاع الطلاق فإنها سترضى بالعقوبة، وتحافظ على الأسرة ، ولا تفضح أمرها بين الناس والقضاة (١) .

ويذهب جمهور العلماء إلى أن صور العلاج الثلاثة يتعامل بها الزوج مع زوجته بصورة متتابعة عند نشوزها، فيبدأ بالوعظ فإذا لم يفد ينتقل إلى الهجر، فإذا لم ترتدع فالضرب .

فإذا أنهت الزوجة نشوزها فلا سبيل للرجل عليها لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ

---

(١) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ص ١٧٠ : ١٧٣ بتصرف .

أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴿١﴾ .

\*\*\* ... \*\*\*

وهذا المنهج في علاج نشوز الزوجة تكريم لها ، لأنه يراعي عواطفها وطبيعتها، وتسرعها في الحكم والرأي، ويأمر بعلاجها بقدر نشوزها، ولذلك كان الوعظ والإرشاد هو أول السبل لإرشادها، وفيه تعيش الزوجة بعقلها مع زوجها وهو يحبها في الاستقامة، ويذكرها بالمواقف الجلييلة ، ويرشدها إلى معاني الحب والحنان، ويستدل لها بأدلة القرآن الكريم، والسنة النبوية، وحياة السلف الصالح، ويستمر في هذا الوعظ مدة طويلة أملا في استقامة الزوجة. وفي مرحلة الوعظ من حق الزوجة أن تعرف زوجها كافة القضايا التي تشكو منها، وتحدد له الإصلاح الذي تتمناه وترغبه .

ومن روعة هذا التكريم أن يكون الوعظ بين الزوجين فقط من غير تدخل من أحد، لأن الزوجين يأتلفان بسرعة عند تذكر ما بينهما من حب، وود، وما كان بينهما من صفاء وإخلاص ، وتجمعهما العواطف الراقية، والمواقف المؤثرة ، .... أما من هو من خارج الأسرة فإنه يحكم بعقله المجرد، ويختار الحلول الجامدة القليلة الأثر .

ومما يدل على أن غاية العلاج الإصلاح بيان أن المرأة الصالحة القائنة مطيعة لزوجها، ولا تستحق من زوجها لوما أو عتابا، ﴿ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ (٢) ... أما المرأة الناشز فهي ليست صالحة، والعلاج مشروع لها .

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٣٤ .

ومن دلالة التكريم في علاج نشوز الزوجة تكليف الرجل بالمسارعة إليه قبل ظهوره، وقبل علم الآخرين به حتى يتم الإصلاح، ويسهل، لأن المرأة لو تركت لعقلها لتضاعف نشوزها ، وللعب الشيطان بها، ودفعها إلى تصرفات لا تليق بها، وربما تشرك أهلها وغيرهم معها، وحينئذ يتسع النزاع، ويكبر الضرر، لأن النار لا يقدر ضررها، وألمها إلا من يضع أصبعه فيها. وإذا كان النشوز من الزوج نجد الإسلام يعالجه بالتحكيم لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (١) ، وقوله ﷻ :  
﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَكِيمًا ﴿١٧٨﴾ ﴾ (٢) .

وإنما كان علاج نشوز الزوج بالتحكيم لأنه يأنف أن تصلحه زوجته، ويرى أنها لا تبين الحجة، وقد تعامله كمتهم أمام القاضي، ولذلك شرع الإسلام التحكيم لإصلاح ما بين الزوجين ، وذلك باختيار حكم من أهل المرأة، وحكم من أهل الرجل لبيحنا الأمر معا، ويتخذا قرارا يصلح الزوجين ، وعدم ترك أمر إصلاح الزوج للزوجة مراعاة لعاطفتها، وعدم قدرتها على الإبانة في هذا الحال، وعليها أن تصلح المسائل البسيطة بنفسها، ولا تلجأ للتحكيم إلا في المسائل الكبرى .

(١) سورة النساء الآية : ٣٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٨ .

**وعلاج نشوز الرجل تكريم للمرأة،** فقد يكون الرجل شديدا يأنف أن تعالجه زوجته، وقد تكون المرأة عاجزة عن محاورة الزوج، فيضيع حقها، أو يكون الرجل لبيبا أريبا يستعمل ذكاهه في إرضاء المرأة مستقيدا بعواطفها وأنوثتها، ولا يوفيها حقها، ولهذا كان تشريع التحكيم في نشوز الرجل صيانة لحق المرأة، وعلاجاً دقيقاً للرجل .

**والخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾** لأولياء الزوج والزوجة، ولولي الأمر، وللزوجين، حيث يجب على هؤلاء المعاونة في اختيار الحكمين العادلين الراغبين في الصلح ، .... وفي هذا منتهى التكريم للمرأة ، لأن الحكمين سيصلحان بينها وبين زوجها ، ولو ترك الأمر لها لعجزت عن مواجهة زوجها ، وعجزت عن إقناعه بما تريد .

## المبحث الثامن تكريم المرأة بتعدد الزوجات

خلق الله تعالى الذكور والإناث وميزهم عن سائر المخلوقات بالعقل الذي يدركون به مصالحهم، ويخططون للوصول به إلى غاياتهم وأهدافهم .  
وقضى الله تعالى لنوعي الإنسان أن يكون كل طرف عوناً للآخر ،  
يشبع به عواطفه، ويتكامل معه لإخراج الأبناء، وتكوين المجتمع في إطار المنهج الإلهي الذي أوحى الله ﷻ به للناس بواسطة الرسل .  
وقد ختم الله تعالى الرسالات بالإسلام الذي بلغه محمد ﷺ للناس،  
وكلفهم به ، ليتم دينهم بالعقيدة، والشريعة، الأخلاق .

وصار معلوماً لكل عاقل بلغه الإسلام أن الله تعالى شرع الزواج بين الرجال والنساء، فقال تعالى : ﴿ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ عَيْرَ مُسْلِفِينَ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ( كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً ، فقال لنا رسول الله ﷺ : " يا معشر الشباب ، من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " ) (٢) .

وثبتت مشروعية تعدد الزوجات بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة،  
والتطبيق العملي في كافة العصور الإسلامية .

وقد تحدث القرآن الكريم عن تعدد الزوجات وعن الزوجة الواحدة في آية

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٤ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم - حديث : ٤٧٨٠

واحدة ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًىٰ وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ آلًا تَعُولُوا ﴿١﴾ .

والآية لم تأمر بتعدد الزوجات، ولم تأمر بالاكْتفاء بزوجة واحدة ، لأن معناها أن الولي الذي يربي اليتيمة ويرغب في نكاحها ، ويخاف من الجور على مالها عليه أن يتركها ويتزوج غيرها من النساء بأي عدد يشاء مثنى، وثلاث، ورباع ، فإن توقع عدم العدل بين النساء فليكتف بزوجة واحدة .  
ومعنى هذا أن الرجل إذا عزم على العدل بين الزوجات، فليتزوج العدد المشروع، ويجتهد في العدل والإنصاف، وليعلم أن الإنسان عاجز عن العدل المطلق، وإنما عليه أن يعدل فيما يملك، فلا يميل الميل كله نحو امرأة دون أخرى، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴿٢﴾ .

وقد فهم الصحابة الكرام الإسلام من رسول الله ﷺ، فتزوجوا في أول شبابهم، واعددوا الزوجات، وطلقوا بلا حدوث شرخ في المجتمع، أو وقوع صراع بين الأزواج ، أو اختلاف بين الأسر، وسبب ذلك ما يلي : -  
١- أن الرجال والنساء من الصحابة الكرام رضوا بحكم الله ﷻ في أقوالهم وأفعالهم، فإذا أقدموا على الزواج أقدموا مخلصين، وإن عزموا على الفراق أدوا ما عليهم من حقوق وهم راضون .

---

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٩ .

- ٢- التزم كل عنصر في مجتمع الإسلام الأول بدين الله الذي آمنوا به، فلم يغدر رجل بزوجه ، ولم تخن امرأة زوجها، وكان كل عنصر يعلم ما يهم صاحبه، ويسعى لإرضائه، ويحافظ على حقوقه .
- ٣- صدقوا في إيمانهم، وتيقنوا أن حكم الله تعالى هو العدل، والصواب، فتمسكوا به، وسعدوا بتطبيقه .
- ٤- شعروا بعزة الإسلام، وعاشوا عظمة الدين، فلم يلتفتوا إلى أفكار كانت تأتيهم من فارس أو الروم، وكانوا يرون أنها من بقايا الجاهلية، ولم يلتفتوا إليها .
- ٥- لم يرد في خاطرهم أن يقارنوا بين أحكام الإسلام وبين القوانين الوضعية، ورأوا أن المقارنة لا يقوم بها المؤمنون، فحكم الله هو الحق والصواب .
- ٦- تميزوا بصفاء الاعتقاد والتطبيق، فلم يكن بين الرجال والنساء أدنى علاقة عاطفية قبل عقد الزواج، ولم تتبق لهم علاقة بعد الفراق .
- ٧- لم يحمل أحد من الزوجين حقدا على شريكه بعد الفراق، فهو على دينه، وعمله لله الذي هو رب الجميع .
- ٨- عمل كل مسلم ومسلمة على إشباع عواطفه بما أحله الله تعالى وشرعه، فإن رغب رجل امرأة تقدم للزواج منها، وأن لم ترض الزوجة أمرا في زوجها خلعتة ، وردت ما قدمه لها .
- ٩- كان كل رجل وامرأة يعرف حق الآخر، ويلتزم به، ويؤديه لوجه الله تعالى، ويؤمن بأن الله تعالى سيحاسبه على ما بنفسه تجاه الآخر، فلم تبغض امرأة زوجها بعد فراقها، ولم يتأمر رجل على امرأة بعد طلاقها، ولم يخاصم ولي زوج ابنته بعد أن طلقها .

أمام هذه العوامل وغيرها انتشر التعدد بين الصحابة، ولم يترتب عليه أدنى خصومة، أو أي خلاف، وعاش المجتمع راضيا بأحكام الله تعالى، ولم يكن للتعدد، والطلاق أي أثر ضار في المجتمع .

فلقد تزوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربعاً

وتزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشرة .

وتزوج عثمان رضي الله عنه ثمانياً

وتزوج علي رضي الله عنه سبعا .

وتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثلاث عشرة

وتزوج سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إحدى عشرة .

وتزوج طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ستة .

وتزوج الزبير بن العوام رضي الله عنه ستة (١) .

وعدد كثير من الصحابة وهم يعيشون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينهم صلى الله عليه وسلم ولم يحدث شقاق في الأسر، أو قتل للأزواج، أو تخاصم بين الأسر، ولم يكن عجباً أن يقدم الرجل على نكاح الثيبات، ويرى فيهن حسن التجربة، وفهم الإسلام .

ولم تستفد المسلمة المعاصرة من نسوة عصر الصحابة، فعدوا تعدد الزوجات جريمة يستحق فاعلها العقاب، ويعدون إقدام الزوج على التعدد خيانة لزوجته الأولى يترتب عليها الخصومة بين الأسر، والصراع بين الأولاد، والمخاصمة بين الأزواج في تقدير النفقة ورعاية الأولاد. إن بعض النسوة قد يتسامحن في زنا الزوج ولا يتسامحن في الزواج بأخرى،

---

(١) انظر الاستيعاب، وأسد الغابة في ترجمة هؤلاء الصحابة .

فيرضين بالحرام، ويرفضن الحلال ، واكتفى بعض الرجال بالزواج السري ، واتخاذ الخليلات والعشيقات، وصار الرجال والنساء بسبب هذا الحال في ضلال بعيد عن دين الله تعالى .

**لقد علمت زوجة** كانت تحب زوجها بزواجه من أخرى يوم وفاته، فحمدت الله تعالى على وفاته، واعتبرت وفاته انتقاما من الله تعالى لها ، ... وأثبتت الأيام خطأها ، لأنها كانت أنجبت ثلاثا من البنات، وأنجبت الزوجة الثانية ولدين ، فقد كبر الأولاد وتولوا شئون أخواتهم من أبيهم، وشئون أمهم معهم .

**وسمعت ابنا** تخرج من كلية الحقوق من الزوجة الأولى يلعن أباه بعد موته لأنه تزوج امرأة ثانية شاركت وأولادها في الميراث .  
**وأغلب النساء** عندما يتزوج الرجل الزوجة الثانية يصرون على الطلاق مهما كانت علاقتهن بأزواجهن .

**ورأيت امرأة** تمدح دين زوجها، وحُلقه، وأهله، وتدعي حبها له إلا أنها ترفض العلاقة الحميمة معه كما كانت بعد أن علمت أنه تزوج امرأة ثانية وطلقها، ولما استفتتني قلت لها : إن المحب لمن يحب مطيع، وطاعة الزوجة لزوجها واجب .

**ويركز خصوم التعدد** على أمور بعضها صحيح وبعضها باطل، ويقولون أن الرجل يتزوج وهو لا يملك المال للنفقة على أكثر من زوجة، وأنه يعجز عن العدل بعدما يتزوج بنتا صغيرة تملك الشباب والجمال الذي لا تملكه الزوجة الأولى، وأنه سيهمل أولاده، ويتركهم للفشل، والرسوب، والضياع .

ولذلك فإنني آمل الموضوعية في دراسة تعدد الزوجات، لنعلم حكم الإسلام في التعدد، والشروط التي وضعها مع إباحته، ولا نتأثر بالتطبيق البعيد عن أحكام الإسلام، وبذلك يكون الإنصاف والحكم السليم ، والعدل في الموافقة والمخالفة .

وسوف أوضح - بعون الله تعالى - رأي الإسلام في التعدد، وأبين مدى تكريم التعدد المشروع للمرأة، وأسأل الله تعالى الهداية للجميع ، وذلك في المطالب التالية : -

## المطلب الأول مشروعية تعدد الزوجات

أباح الإسلام للرجل أن يتزوج أربعاً من النسوة ، وهذه الإباحة ثابتة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وإجماع الأمة .

أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا ۚ وَمَعْنَى الْآيَةِ إِنْ خِفْتُمْ الْجورَ فِي مَالِ الْيَتِيمَةِ الَّتِي فِي حِجْرِكُمْ فَانكِحُوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا مَا دُمْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِنَّ ، وَالْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ .

وأما السنة فإن رسول الله ﷺ أمر من أسلموا ومعهم أكثر من أربع زوجات أن يبقوا أربعاً ويطلقوا ما زاد عن الأربع .

فعن قيس بن الحارث رضي عنه ، قال : ( أسلمت وعندي ثمان نسوة ، فأتيت النبي ﷺ ، فقلت ذلك له ، فقال : " اختر منهن أربعاً ) ( ٢ ) .

وعن ابن عباس رضي عنهما قال : ( أسلم غيلان وتحتة عشر نسوة ، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعاً ، ويفارق سائرهن .  
وأسلم صفوان وعنده ثمان نسوة ، فأمره النبي ﷺ أن يمسك منهن أربعاً ، ويفارق سائرهن ) ( ٣ ) .

وعن نوفل بن المغيرة رضي عنه قال : ( أسلمت وتحتي خمس نسوة ، فسألت النبي ﷺ فقال : " فارق واحدة وأمسك أربعاً " .

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

(٢) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح ، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة - حديث : ١٩٤٨

(٣) المطالب العالية للحافظ ابن حجر ، كتاب الوليمة ، باب تحيير من أسلم على أكثر من أربع نسوة حديث :

فعمدت إلى أقدمهن عندي عاقر منذ ستين سنة ففارقتهما (١) .

ومعظم الصحابة في عهد الصحابة الكرام كانوا متعددي الزوجات، وعدادوا بعد دخولهم في الإسلام ، ولم ينههم رسول الله ﷺ عن التعدد، ورضي الصحابييات بحكم الله تعالى ، وسعدوا مع أزواجهم وهن يتمسكن بمنهج الله تعالى، وقد أقرهم النبي ﷺ على ذلك، والوقوف عند العدد المنصوص عليه في الآية (٢).

وأجمع المسلمون على شرعية ما فعله الصحابة، وبذلك ثبتت إباحة تعدد الزوجات.

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون في عصر السلف على أن تعدد الزوجات مباح .

فدل ذلك على إباحة تعدد الزوجات.

ومن المعلوم أن الإسلام يشترط للزواج مطلقاً أن يملك الرجل الباءة المالية والبدنية التي تمكنه من الزواج، كما اشترط الإسلام معاملة الزوجة بالمعروف، والعدل بين الزوجات فيما يقدر عليه الإنسان.

ولم يتحدث المؤرخون عن أي صراع كان في حياة المسلمين الأول، وكل ما ثبت لهم أنهم بإخلاصهم في تطبيق الإسلام، وصدقهم في الاتباع صاروا خير أمة ظهرت في عالم الناس، يقول الله تعالى عنها : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣).

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب النكاح، باب من يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، حديث : ١٣١٤٥

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام / الدكتور على عبد الواحد وافي ص ١٥٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

## المطلب الثاني

### رأي بعض المعاصرين في تعدد الزوجات

يرى مفكرو الغرب ، وكثير من المسلمين أن التعدد له أضرار عديدة، ونادوا بمنعه، وقالوا: إنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

ويمكن إجمال آرائهم الموجهة ضد تعدد الزوجات فيما يلي :

١- يؤدي تعدد الزوجات إلى إهانة المرأة بصورة مطلقة، فهو لا يعطي لها الحق في التمتع بعدد من الأزواج مثل الرجل، ويقضي على المساواة بين الرجل والمرأة، فيبيح للرجل أن يعدد، ويمنع المرأة منه. إن المرأة لا تشعر بسعادة وهي ترى امرأة أخرى تشاركها في مملكتها، وتشعر بالإهانة، ونقصان الأهلية مع وجود زوجة أخرى .

٢- تعدد الزوجات يؤدي إلى وجود صراع بين الأبناء ، لأن أبناء كل امرأة يشكلون جبهة تعارض الجبهات الأخرى ، وهذا الحال يضيع الأولاد، وينشئهم نشأة فاسدة.

٣- تعدد الزوجات يؤدي إلى أن يظلم الرجل نفسه، لأنه سيعجز عن العدل، وسيتحول البيت إلى صراع بين الزوجات، وكلهن يلجان إليه، وينتشر الاختلاف بينهن ، فلا هو أنقذ نفسه ، ولا هو أراح زوجاته، ولا ربي أولاده .

٤- تعدد الزوجات يؤدي إلى كثرة النسل، وهذا يؤدي إلى زيادة فقر الأمة، وضعفها، لأن الموارد لا تسع زيادة السكان .

وقبل أن نناقش هذه الآراء أود بيان أن هذه الآراء ظهرت في حياة الأسر البعيدة عن تعاليم الإسلام ، أو عند من يرضى بحكم الهوى والعقول الفارغة، أو اتباعا للضحج الذي تثيره الجماعات ومن لا يتأمل في حياة

الأمم التي لا تجيز التعدد، ولذلك فحديثهم بعيد عن الحياة الإسلامية الصحيحة، وعن الواقع السليم، وعن براهين الشرع الحنيف .

ويحار العقل الرشيد وهو يتأمل في الأسر الحديثة، وهي تدعي الإسلام، وترى في التعدد إهانة للمرأة، وإهمال أهليتها بصورة كلية، ويثيرون قضية تعدد الزوجات، ويرونها شذوذاً من الرجال، وإنكاراً لحقوق الزوجة الأولى وخيانة لها ، ويبحثون عن أدلة تمنع التعدد وتحرمه ، وما هم بباليغية، لأنه لا وجود له في الحقيقة .

إن المنكرين لإباحة التعدد ينظرون في التطبيق المشوه له، ويتجاهلون انصراف المسلمين عن شروطه وهو بيت الداء، ويثيرون القضية، ويعدون لها من مساوئ الأحكام الشرعية، ويحملون الإسلام المساوئ التي يفعلها العصاة الفسقة من بنيهِ .

إن أكثر من يعدد الأزواج اليوم يعصي الله تعالى لما يلي:-

١- يستغل بعض الأزواج هذه الإباحة بإشباع مزاجه، وإرضاء هواه بالزواج بالحسنات الجميلات كلما رغب في ذلك بلا حاجة، وبلا سبب، وبلا نظر لعجزه، وحاجة أولاده إليه .

٢- يظلم الرجل المرأة الأولى ويتعنت معها بلا سبب، ويمتنع عن الإنفاق عليها، ويهملها، ويستغني عنها بزوجة أخرى .

٣- يلجأ بعض الأزواج إلى إغاية المرأة الأولى ، والكيد لها بالتعدد .

٤- الانفصام عند المسلمين بين الإسلام والعمل به، فهم يكتفون بالاسم ، ولا يلتزمون بمقتضاه ولوازمه.

ولو أنصف من ينظر في قضية التعدد لربط الحكم بأدلته ، وشروط إباحته، وإبعاد المباح عن الهوى، والشطط المزاجي، ونظر نظرة كلية

للموضوع من كافة جوانبه ليكون الحكم الشرعي الذي يصل إليه مرتبطا بأدلتة الثابتة، وموافقا للواقع العملي الموجود .

ومن بدهيات العلم والعقل ضرورة أن يكون الحكم على أمر ما بعد تصوره تصورا تاما، والنظر في كافة جوانبه، والوقوف على شروط الحكم حتى لا نحكم على أمر بحكم لا يناسبه، ولا نخضع أمرا لحكم لا يصح أن يكون له

ولهذا فإني أرى أن الذين يبيحون تعدد الزوجات يعنون مجتمعا إسلاميا صحيحا ليس عليه المجتمع اليوم، والذين يعارضونه يتصورون مجتمع اليوم هو المجتمع الإسلامي الصحيح، وكلا التصورين غير صحيح، ولذلك يحتاج الحكم إلى دراسة الواقع في كل مسألة، والإفتاء بما يناسبها من أدلة شرع الله تعالى وبراهينه.

والواجب إظهار حكم الإسلام بشروطه، ليكون التطبيق بالصورة التي صنعها الإسلام ، وسار عليها المسلمون، الصادقون .

## المطلب الثالث

### مناقشة المعارضين للتعدد

أراء المانعين لتعدد الزوجات باطلة، وأدلتهم لا قيمة لها، وبيان ذلك أنهم يعتبرون التعدد إهانة للمرأة المتزوجة، ويكون على عدم المساواة بينها وبين الرجل ، ونسوا ما يلي : -

أولاً : نسوا الفروق بين الرجل والمرأة التي تمكن الرجل من التعدد، وتمنع المرأة منه، فالرجل يمكنه جسدياً أن يجامع عدداً من النساء في زمن قصير، وتحمل المرأة من زوجها جنيناً في رحمها، وتلد المرأة هذا الجنين معلوم الأب، معروف النسب، ويتولى أبوه النفقة عليه، ورعايته وتربيته، وينسبه إليه سعيداً به، مع ملاحظة أن كل زوجة مع التعدد لا تشعر بأي تقصير من زوجها ، فلها بيتها الخاص بها، وزوجها المسلم يعاملها بالمعروف، ويأتي كل واحدة من زوجاته في حميمية تامة ، فتنمتع به كما يتمتع بها، ولا تجد أي جديد يطرأ عليه بعد التعدد من الناحية العملية .

أما إذا عدت المرأة وأتاهها أزواجها في يوم واحد ، وحملت....

فلمن يكون ولدها؟ ....

وهل سيسلم زوج من الأزواج بأن المولود له ؟ ...

وكيف نضبط الأنساب ؟ ....

وماذا للآخرين ؟ ...

وكيف تكون العدة والنفقة لو فارقت أحد أزواجها ؟ ...

وهل ستتحمّل المرأة تعدد الرجال مع حاجاتها إلى الراحة بعد الجماع ؟

وكيف تتصرف الزوجة إذا رغبها الأزواج في وقت واحد ؟ ...

وكيف توزع المرأة عاطفتها ومزاجها بين عدد من الرجال ؟ ...

وفي حالة تعدد الأزواج للمرأة لمن تكون القوامة؟....

إن هذا تصور مستحيل ولذلك منعه الإسلام .

والمرأة المنصفة الباحثة عن المساواة ترحب بالتعدد، لأنه يسوي بينها وبين النساء الأخريات في الزواج، ويجعل لكل امرأة زوجا يعاشرها، وبيتا خاصا تسكنه، وأولادا تربيتهم وتنشئهم .

**ثانياً : حركة الحياة كلها تحتاج إلى قيادة حازمة، تشرف على الجماعة، وتوجه مسارها، وتعالج أي قصور فيها، والأمر كما قال أحددهم :**

**لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا حياة إذا جهالهم سادوا**

والأسرة مجتمع صغير يقوده الزوج، وعليه أن يكون حازما مع زوجاته وأبنائه، يعرفهم بأحكام الله تعالى، ويوجههم إلى الصواب، ويعالج أي اعوجاج يطرأ عليهم، ... وعلى هذا فوجود الزوج الحازم عامل هام في التربية، وحسن التوجيه، وإصلاح أي فساد أو خلل يطرأ على زوجاته وأولاده، وقد حمل الله تعالى الرجل المسؤولية عن أسرته بالقوامة التي شرعها له .

**ثالثاً : الإسلام أمر الرجل بأن ينفق على أزواجه، وأبنائه بالتساوي، ويعاملهم بالحسنى، وحذره من الميل والهوى، فقال ﷺ : ( إذا كان عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة ، وشقه ساقط ) (١)**

وحرّم الإسلام على الرجل الزواج مطلقا إذا لم يكن قادرا على الباء المادية والجسدية، وحرّم عليه التعدد إذا خاف الميل إلى إحدى الزوجات .

**وليس من الإسلام أن يتزوج الرجل زوجة ثانية ليغيظ بها الزوجة الأولى، أو يتمتع بجمالها وأثوثتها، ويهمل الأولى، أو يميل كل الميل لزوجة**

---

(١)المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب النكاح، أما حديث سالم - حديث : ٢٦٩٠

دون غيرها، لأن ذلك حيف وظلم، نهى الإسلام عنه، ولا يتصور وقوع مثل هذه الأعمال إلا من أحمق يضيع حق الله تعالى، ويتغافل عن فضل الزوجة الأولى معه في أيامه السابقة ، يوم أن كان الحب يملأ حياتهما ، ويفرط في أولاده وهم ذريته، ومستقبله.

**إن الحمقى من الأزواج يسيئون إلى أنفسهم ودينهم، وهؤلاء بعدوا عن تعاليم الإسلام، ولا يمكن الاستدلال بأعمالهم على أساس أنها أحكام الإسلام وحماقة الرجل أمر ينبع من شخصيته حين يجعل مرجعه هواه وعقله، بعيدا عن نصوص الوحي، وأحكام الدين، ...**

**والرجل الأحمق رجل فاسد مع كل من يعامله .**

**ألا ترى الحماقة تظهر على كثير من الأزواج بلا فرق أن تكون له زوجة واحدة، أو عدد من الزوجات ؟ ...**

**قد نجد زوجا لا يستهدف في معاملته لزوجته خيرا ، وليست له زوجة غيرها ، وكثيرا ما نجد زوجا لا يلتزم الحق مع زوجته ، بل ويسعى إلى ظلمها وليس له سواها ، وهو في هذه التصرفات أحمق ظالم، والحماقة داء لم تجد من يداويها !!!.**

**وإذا كان ظلم الرجل راجع إلى همجيته الكائنة في شخصيته ، فما ذنب تعدد الزوجات معه ؟ ...**

**رابعاً : القول بأن التعدد يؤدي إلى فساد المجتمع ، ونشر البغضاء بين أفرادة قول غير صحيح ، والصحيح أنه يؤدي إلى تماسك المجتمع ، وترابط أفراده ، لأن الرجل المسلم إذا تزوج من أربع أسر فإنه يصاهر هذه الأسر ، ويتعاون معهم، وبذلك يزيد دائرة الحب والتعاون، والتماسك ، لأن الزوج تزوج**

برضا الأولياء، وأحسن معاملة الزوجات ، وتواصل مع أصهاره ، وأقربائه بمنهج الله تعالى، وبما يرضي الله تعالى .

**وهذا هو السر في انتشار الحب والتماسك في عصر الصحابة ، فلقد أدى تعدد الزوجات إلى توحيد المجتمع ، وكان ولي المرأة يزوجها وهو على ثقة من خلق صاحبه، وحسن عشرته، ويعلم أنه إن رضي بها أمسكها بمعروف ، .... وإن لم يرض بها فارقها بإحسان، وهذا كله تكريم لها .**

**خامساً : القول بأن التعدد يحول المجتمع إلى صراع واسع يمتد إلى مراكز الشرطة، ودواوين المحاكم قول مردود ، ولا يمكن تصور حدوثه في مجتمع مسلم ، ومن يتصور وقوعه يعلم أنه لا يقع إلا في مجتمع فوضوي لا يطبق دين الله تعالى في حياته ، ولا يتمسك بأداب الإسلام .**

**وإنصافاً للحق يجب أن نلاحظ أن وجود الأخوة غير الأشقاء في كنف رجل واحد أمر غير قاصر على نظام تعدد الزوجات ، بل يوجد كذلك في نظام الزوجة الواحدة .**

**فقد يتوفى الرجل عن أولاد ثم تتزوج أرملة بآخر ، وتتجب منه أولادا يعيشون مع إخوتهم - أبناء الزوج المتوفى - تحت سقف واحد إخوة لأم .**

**وقد تتوفى زوجة الرجل عن أولاد ، ثم يتزوج الرجل وينجب من الزوجة الجديدة أولادا يعيشون مع أولاده من زوجته المتوفاة تحت سقف واحد - إخوة لأب .**

**وقد يطلق الرجل زوجته ، أو تخلع الزوجة زوجها، ويتزوج هو بأخرى ينجب منها، وتتزوج هي بآخر تتجب منه ، ويعيش الأولاد بعد ذلك مع إخوة لأبيهم أو إخوة لأُمهم تحت سقف واحد .**

وقد نسمع عن رجل توفيت زوجته عن أولاد، أو طلقها وله منها أولاد يتزوج بامرأة توفى زوجها عن أولاد أو طلقها ولها منه صغار ، ثم ينجبان من زواجهما الجديد أولادا آخرين ، فيجتمع بذلك الأخوة الأشقاء مع الأخوة لأب، والإخوة لأم تحت سقف واحد .

**تلك أمثلة في نظام الزوجة الواحدة ، يعيش فيها الأخوة غير الأشقاء في أسرة واحدة .**

إن منازعات الأخوة غير الأشقاء أمر نجده في ظل نظام الزوجة الواحد، كما نجده في ظل نظام تعدد الزوجات ، ونصل من ذلك إلى أنه لا يستساغ من خصوم تعدد الزوجات المناداة بتحريمه بسبب ما قد يثيره من منازعات بين الإخوة غير الأشقاء، لأن الزوج مسئول عن ضبط شئون بيته، وعليه الحزم في التوجيه والتربية .

**سادساً : القول بأن التعدد يؤدي إلى كثرة النسل ، وكثرة النسل تؤدي إلى الفقر والحاجة ، فقد يكون الزوج فقيراً لا يستطيع الإنفاق على عدد من الأولاد ، وهذا قول غير صحيح ، لأن الأرزاق بيد الله تعالى ، والرجل حين إقدامه على الزواج يكون قادراً على النفقة ، وعليه أن يدير بيته بحكمة ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ (١) .**

وقد تحتاج المرأة الواحدة في إسرافها أكثر من أربع مقتصدات .  
وفي الريف المصري ، وكثير من البلاد تقوم الزوجة بمساعدة زوجها في العمل ، وتتحول إلى كيان منتج، وهذا يجلب للأسرة المال والغنى .

---

(١) سورة الطلاق الآية : ٧ .

**والغنى والفقر أمر قديري**، وكثرة الأولاد قد يكون سببا للثراء، وقد يكون سببا للفقر، ومسئولية أولي الأمر، والعلماء أن يضعوا خطة للأسر يسيرون عليها، والرزق بيد الله عز وجل، فهو سبحانه وتعالى ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (١)، وقد خلق الله تعالى السموات والأرض، وخلق الأرزاق والأقوات، وقضى بالرزق، والعلم، والعمل منذ الأزل، يقول ﷺ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا وَيَدْرَكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ اللَّسَائِلِ بِتِ ۝﴾ (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ( وكل الله بالرحم ملكا ، فيقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال : أي رب ، أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ، فما الرزق، فما الأجل ، فيكتب كذلك في بطن أمه ) (٣)، ولا يجيز الحديث أن يقعد الإنسان عن العمل، ويترك البحث عن الرزق.

**أعلم رجلا مسلما في مكة تزوج ثلاثا من نساء الفلبين** يجدن حياكة الملابس ، وأسكن كل واحدة منهن في بيت خاص بها ، وشجعهم على العمل، فتحول كل بيت إلى مصنع للملابس الجاهزة المناسبة للحجاج والمعتمرين .

**وعني فقد رزقني الله تعالى** بعشر من الأولاد والبنات، ولأمني كثير من الأقارب ، وأشفقوا علي من كثرة الإنفاق ، وعناء التربية، واكتفى كل منهم باثنين ، ورأوا قدر الله تعالى معي في النهاية ، فقد وسع الله تعالى رزقي،

(١) سورة الرعد الآية : ٢٦ .

(٢) سورة فصلت الآية : ١٠ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب القدر، باب في القدر - حديث : ٦٢٣٢ .

وأكرمني بالصحة، وأطال عمري، وحسن أخلاق أبنائي، ومكنهم من الدنيا، وأكرمهم بالتدين والعلم، وجمعهم حولي، ... أما هم فقد عاشوا حياة بسيطة، وقالوا أخيرا : لو كانت كثرة الأولاد تحقق ما تحقق لك لأكثرنا، والأمر كله بقدر الله تعالى .

**إن قدر الله غالب، وكثرة الأبناء مع إحسان التربية يؤدي إلى خير كثير،**  
وخير للمسلم أن يقول ربي الله ويستقيم على ما جاء من عند ربه الكريم.

**سابعاً : يقول المانعون للتعدد :** إن العالم الإسلامي لا يتحمل الذرية الكثيرة ، ولا يناسبه تعدد الزوجات لقلّة موارده، ونقول لهم : كفاكم جرأة في الباطل، لأن العالم الإسلامي مليء بخيرات الله، في سهوله، وجباله، وفيافيه، وأنهاره، وبحاره، ... والعالم كله يهتم بهذه الخيرات، ويخطط للسيطرة عليها، والتحايل لسرقتها من المسلمين، والأولى بالمسلمين إيقاظ الهمم، ووضع الخطط، والتخلص من الفساد والمفسدين، والاستفادة من الإمكانيات والطاقات التي وهبها الله تعالى لهم .

**إن الله تعالى أمر بالسعي والعمل، ودعا إلى استخراج كنوز البر والبحر، والماء والهواء، والاستفادة بالكون، والكائنات التي سخرها الله تعالى للإنسان .**

**إن تقاعس المسلمين، واكتفاءهم بالنوم والبكاء، والصياح والعيول لن يفيدهم شيئا، وسيبقيهم أذلاء ضعفاء بين الأمم الأخرى.**

**إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولن يصلح الله تعالى عمل المفسدين وهنا أتساءل :**

- أين جهود المسلمين في الميادين العلمية والعملية المختلفة ؟ ...
- أين جهودهم في استخراج المعادن ؟ ...

- أين جهودهم في اختراع ما يحتاجون إليه ؟ ...
- أين أعمالهم في الزراعة والصناعة ؟ ...
- أين جهودهم في مجالات العلوم كلها ؟ ...
- أين عملهم في بحرهم، وبرهم، وصحراواتهم ؟ ...
- أين التزامهم بأحكام الله تعالى، وطاعته ؟ ...

**لقد اجتهد الآخرون** ووصلوا إلى الفضاء، وانتشروا في الأرض، وسادوا المسلمين، وتحول المسلمين إلى مستهلكين لمنتجات غيرهم ، وخاضعين لهم، أذلاء يمدون أيديهم لينالوا الفتات من أعدائهم، ولم يتقدموا إلا في التقاتل والتحارب، وسفاهة الكلام .

**لقد تخلف المسلمون المعاصرون** في كل شيء بسبب من أنفسهم، ومن غيرهم، وهذا واقع يجب إقراره، والتخلص منه بالعمل، والعلم مع الصدق والإخلاص .

**لقد سبقنا العالم كله**، وأتوا إلينا لاكتشاف ما عجزنا عن الوصول إليه في أرضنا، وأخذوا النابيهين منا ليعملوا لهم بعدما هياؤا لهم كل ما مكنهم من الاختراع والتقدم، ... ولا يصح بعد هذا أن نمنع التعدد لضيق الأرزاق، وضعف الدخل، ونعلي صوتنا بهذا بلا خجل .

**إن كثيرا من بلاد العالم** ليس فيها المواد الخام الموجودة في العالم الإسلامي، ومع ذلك تقدموا في وقت قصير، لأنهم اتبعوا المنهج الاقتصادي السليم ، والأمثلة عديدة معروفة .

**وخلاصة القول** أن جميع الحجج التي ساقها المانعون لتعدد الزوجات مردودة ولا يأخذ بها عاقل .

ولا وجود لقهر المرأة عند تعدد الزوجات ، لأن المرأة حرة في قرارها التي ترضاه لنفسها، والإسلام لا يجبر امرأة على قبول الزواج برجل متزوج، ويدع لها في حالة خطبتها من رجل متزوج مطلق الحرية في أن تقبل الزواج به أو ترفضه، فإذا قبلت هي وقبل أهلها الزواج به عن طيب خاطر كان ذلك دليلا على أن هذا التعدد جائز، وضرره أقل من منافعه، وإلا ما أقدمت عليه .

والإسلام قد ترك للزوجة القديمة مطلق الحرية في القبول أو الرفض حسب تقديرها لمعقبات الزواج الثاني، وما عسى أن يلحقها بسببه، ولها الحق في طلب الطلاق إن رغبت فيه .

فقد أراد أبناء أبي جهل أن يزوجوا إحدى بناتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام وكان زوجا لفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغضب ابنته، وخاف أن يفتنها ذلك في دينها، وأن يحملها على التقصير في حقوق زوجها، ورأى أن هذا الزواج لا يتفق مع كرامة فاطمة عليها السلام وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن سيجمع بينها وبين بنت عدو الله أبي جهل ، فلم يأذن صلى الله عليه وسلم في هذا الزواج .

فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : ( سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : " إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني ، يريني ما أرابها ، ويؤذيني ما آذاها ) (١).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف - حديث : ٤٩٣٥

وجاء في رواية أخرى قول النبي ﷺ : ( إن فاطمة مني ، وأنا أتخوف  
أن تفتن في دينها ) \* (١) .

والإسلام أوجب على الرجل أن يقوم بالإنفاق على جميع زوجاته، وأن  
يعاملهم على قدم المساواة في كل ما يمكن العدل فيه مثل المبيت، وتقسيم  
الوقت بينهن، والنفقة، والإهداء .

والإسلام قد أجاز للمرأة إذا أصابها ضرر واضح من جراء التعدد نفسه،  
أو من جراء إهمال الزوج لحقوقها الواجبة أن ترفع أمرها إلى القضاء ليعمل  
على وقايتها من هذا الضرر ، أو على تطليقها إن لم يكن ثم طريق آخر  
للعلاج .

ومن هذا كله يتبين أن الإسلام أقام نظام التعدد على قواعد تصون  
كرامة الزوجات ، وتحفظ حقوقهن ، وتقيهن الضرر والضرار ( ٢) .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ - حديث : ٢٩٦٠ .

\* إن رسول الله ﷺ لم يمنع عليا عليه السلام من زواج الثانية، فهو حقه، ولكنه عليه السلام خاف أن  
تفتن فاطمة عليها السلام في دينها، وتهمل طاعة زوجها علي عليه السلام إذا جمع بينها وبين بنت أبي  
جهل، فطلب عليه السلام من علي عليه السلام أن يطلق فاطمة عليها السلام إن أصر على الزواج من أخرى،  
وهذا حق لجميع الأولياء.

ويقال أنه عليه السلام كان قد اشترط على علي عليه السلام أن لا يتزوج علي فاطمة عليها السلام ثانية ..

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام : د . علي عبد الواحد وافي ص ١٦٣ .

## المطلب الرابع المبررات الطبيعية لتعدد الزوجات

حينما نبحث عن المبررات الواقعية الداعية لتعدد الزوجات، والداعمة للإباحة الشرعية له نجد عديدا من الفوائد يؤكد لها واقع حياة الناس ، وأهمها ما يلي :

### ١- الاستجابة لداعية النسل عند الرجل :

إن تكثير النسل أحد أهداف الزواج ، ولدى الرجل استعداد للنسل طوال عمره ، أما المرأة فإنها لا تستطيع الحمل والإنجاب بعد سن الخمسين في الغالب لانقطاع دم حيضها ، وانتهاء بويضات التئاسل في رحمها ، وبذلك يتعطل استعداد الرجل للنسل مدة طويلة إذا تزوج واحدة تماثله في العمر ، أو تقرب منه ، والتعدد يحل هذه المسألة للرجل ، ويحل له أن يتزوج بأخرى صغيرة عنه .

### ٢- تكريم جميع النساء بالزواج :

يثبت علم الإحصاء أن نسبة الوفيات في الذكور أكثر منها في الإناث وذلك من ساعات الولادة حتى أول مراحل الشباب ، الأمر الذي يسبب زيادة نسبة الأحياء من الإناث على الذكور،.... وفي طور الشباب تظل النسبة كذلك محفوظة، لأن من يموت من الشباب أكثر من الشابات، وذلك يرجع إلى الحروب التي تكون نسبة الوفيات فيها قتيلة واحدة لكل أربعة آلاف قتيل ويرجع كذلك إلى أخطار العمل، حيث يعمل الشباب في المصانع، والمعامل، والمناجم، والغوص في البحر، وهي أعمال تجعل الوفيات بين الشباب أكثر قطعا مما هي بين الشابات .

وكذلك فإن التزامهم في طلب الرزق ، وارتكاب المخاطر خلال السفر

للعمل بالبر، والبحر، والجو، كما أن الحياة في الغابات والبراري تزيد وفيات الشباب العاملين .

**وكافة الأعمال التي تنتج الأمراض الخطيرة، والموت المفاجئ، والحوادث** القاتلة يقوم بها الشباب لا الفتيات،.. كرجال المطافئ، والغواصين، ورجال الإنقاذ، ورجال الملاحه، وغيرهم ، .... مما يجعل نسبة الأحياء من الشباب أكثر من الشبان، ... الأمر الذي يقطع بزيادة عددهن عن عدد الشبان (١).

**ولو منع الرجال** من تعدد الزوجات لحرم العديد من النساء من الزواج الذي شرعه الله تعالى، وجعله الوسيلة المباحة لإشباع غريزة الجنس عند المرأة والرجل، وتحقيق حياة طيبة كريمة مع زوج تحبه، وتقوم بوظيفتها كأُم من خلاله .

**وقد نشرت إدارة الإحصاء في مصر** في سنة ٢٠١٦م أن عدد العانسات من الشباب بلغ أكثر من ثلاثة عشر مليوناً، بينما بلغ عدد العوانس من الشباب مليونين ونصف المليون، وهذه مشكلة تحتاج لحل .

**إن العوانس من الرجال والنساء** يرون في الشارع الإثارة والعري، ويشاهدون ويسمعون أفلام الحب، وقصص الغرام، ويسمعون حكايات الفحش والهوى، وتدفعهم الفطرة الجائعة إلى الإشباع والري ، ...

**فما هو الحل ؟ ...**

**الحل يكمن في بذل الجهد ، وتيسير أمر الزواج، وإباحة التعدد، ونشر** ثقافة الرضى به.

**إن التعدد لا يأتي إلا عن فائض ، وهذه القضية خدمتها الإحصائيات**

---

(١) الإسلام والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٩٢

الحديث، ولو استطاع واحد منا أن يقوم بإحصاء في منطقته لوجد نتيجة الإحصاء منطقية، تتوافق مع التكاثر الأنثوي في الكون كله .

**وإذا ما نظرنا إلى عدد الذكور وعدد الإناث في المخلوقات نجد دائما كثرة الإناث، وقلة الذكور .**

**ولننظر إلى مزرعة نخيل، ونحصى عدد الإناث والذكور ، نجد أن الذكر يكون واحدا، أو اثنين، أو ثلاثة، أو عشرة مع كل مائة نخلة أنثى .**

**وكذلك إذا ما جننا بمائة بيضة، وفرخناها، ثم أحصينا ما بها من ديوك وما بها من إناث وجدنا أن عدد الإناث أكثر .**

**وكذلك الإنسان إناته أكثر من ذكوره ، ...**

**إذن فعنصر الذكر أكثر من عنصر الأنثى في كل عالم من عوالم التكاثر، وقد قال رسول الله ﷺ : (من أشرط الساعة : أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ) (١) .**

**فإذا كان الأمر كذلك، فإننا نقول لمن يقف ضد التعدد، ويعيب على الإسلام : أعط كل ذكر أنثى، وستجد الفائض عددا كثيرا من الإناث...**

**هذا العدد ما موقفه في المجتمع ؟ ... .**

**وما موقف المجتمع منه ؟ ....**

**وما السبيل إلى إشباع حاجات كل النساء ؟ ... (٢) .**

**إنه التعدد**

---

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل - حديث : ٨١ .

(٢) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام : فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي ص ٨٧ .

### ٣- إنقاذ المرأة من البغاء والمرض :

وجود أعداد كثيرة من النساء بغير زواج، وإعطاؤهن الحرية في الاختلاط، والخروج، والتملك، والعمل أدى إلى العنوسة في المجتمع على نحو ما ذكرت وهذا يؤدي بالضرورة إلى انتشار ظاهرة البغاء السري والعلني، وكثرة الأولاد غير الشرعيين، وزيادة الأمراض السرية كالزهري، والسيلان، وغيرها .

### ٤- حاجة المجتمع إلى نسل :

تحتاج الأمم الناهضة إلى زيادة عدد أبنائها ليقوموا بالعمل في المشروعات المنتظرة ، ورد أي قوة باغية تعتدي على الدولة ، وتعوض أي نقص يكون في الرجال .

والباحث حين يتأمل حال المجتمع، وكثرة حاجاته إلى خبراء، وعلماء، وعمالا عاديين من الرجال والنساء يرى ضرورة كثرة النسل ، فأبناء الوطن هم الأولى به ، وهم الأصلح والأحرص على تقدمه، وازدهاره، وفي حالة الحروب والجهد نحتاج إلى أبناء الوطن فهم الحريصون عليه ، .... أما المرتزقة فهم لا يصلحون للحماية والدفاع عن الوطن، فمع أول طلقة يفرون، ومع كل صيحة يرتعشون .

يرى الدكتور الشرباصي حسنين أن الصحابة رضي الله عنهم لجأوا إلى تعدد الزوجات الذي أباحه الإسلام لهم لزيادة عدد المجاهدين، وقد جبر هذا التعدد ما فقده المسلمون من أعداد ضخمة أبان الحروب التي وقعت ، وبخاصة في الجمل ، وصفين، والنهروان، وفتح ولايات فارس والروم (١) . وما أشبهه اليوم بالأمس .

---

(١) الإصلاح المنشود للأسرة ص ٧٥ : ٧٧ بتصرف .

#### ٥- المحافظة الدائمة على المرأة المتزوجة :

قد تكتشف المرأة بعد الزواج أنها عقيم عقما أصليا ، أو أصابها العقم بعد الزواج، أو أصيبت بمرض جسمي أو عصبي، أو بعاهة ، أو بتقدم عمرها، ... ولم تعد صالحة للحياة مع زوجها ، ولم تعد قادرة على إعطائه اللذة، والمتعة التي هي من خصائص الزواج ، ... وخير لهذه المرأة أن يبقيها زوجها معه، وينفق عليها، ويعالجها، ويتزوج غيرها معها، ويحسن إليهما، ويعاملهما بالمعروف .

#### ٦- إشباع حاجات الرجل :

قد يكون بالرجل شبق، وميل إلى النساء، ولا تكفيه زوجته، وتلك حالات نادرة إلا أن علاجها ضروري ، وهو موجود في إباحة التعدد .

#### ٧- إنقاذ الأرمال والمطلقات :

تؤدي الحروب والاضطرابات إلى فناء كثير من الأزواج، وترك زوجات أرمال، وأبناء يتامى ، وقد تطلق المرأة من زوجها الأول، ومعها أولادها، وخير لهؤلاء النسوة وأمثالهن أن يكفلهم رجل، ويتزوجنه مع وجود زوجته الأولى .

لو أخذ الرجل بحكم الإسلام في العدل مع التعدد لرضيت النسوة به، ... وحين نأخذ حكم الله تعالى في التعدد، ونعدد ولا نأخذه في العدل الواجب تنشأ تلك الآثار المنفرة، والبغيضة، وهي التي يستغلها خصوم الإسلام، وينادون بمنع التعدد .

فانظر أيها المسلم كيف أعنت خصوم الإسلام على الإسلام ، أعنتهم على أن يدخلوا على نقض الإسلام ، ويتخذون من جورك دليلا، ويشوهوا

قانون التطبيق لما يرون من تشويهك في التطبيق، مع أن الواجب مناقشة الدليل وحده، وعدم ربطه بمن خالفه وبعد عنه .

**والعدالة تقتضي أن تنتظروا يا أعداء الإسلام إلى القانون في حد ذاته** لا من خلال المطبقين، لأن الناس قد يكونون طائعين، وقد يكونون عصاة، فإذا كانوا عاصين فلا تأخذ من عصيانهم حجة تبرر بها السخط على ما قنن الله تعالى من قوانين .

**وعلى المسلم أن يعتبر نفسه مسئولاً في كل قضية من قضايا دينه،** وداعية لدين الله تعالى، وهادياً بالدين إلى الله تعالى، فإن هو طبق ما أخذه من منهج الله تعالى كان أسوة لغيره، فلا يجرؤ أحد أن يدخل على الدين من ناحية المتدينين، ولا يدخل على الإسلام من ناحية المسلمين .

**وأيضاً فإن الذي يختار بين أمرين فلا بد أن تكون عنده الحجة في ترجيح** أحد الأمرين على الآخر، فالمرأة التي لم تتزوج ثم يأتي لها رجل متزوج ليخطبها، لو أنها رأت أنها يمكن أن تكون زوجة واحدة ، ووجدت لذلك مجالاً، وحققت رغبتها، فلن تبقى حتى يأتيها رجل متزوج ليخطبها، ولردته فور مجيئه إليها، ... أما إذا قارنت بين أن تكون زوجة ثانية أو لا زوجة، واختارت أن تكون زوجة ثانية، أو ثالثة، أو رابعة، فالذي جعلها ترجح التعدد هو حاجتها إليه، وحينئذ يكون الحوار معها، لأنها هي صاحبة القرار، وهي أحسن من يفسر الحكمة في مشروعية التعدد، ....

**إن اختيار المرأة للتعدد ورضاها به دليل على صلاحية التعدد لحياتها.**

**ولا يصح نقد من اختار أمراً مباحاً وهو خير الأمور له ، ... فامرأة**

اختارت لنفسها ، فما حدود المجتمع في أن يتدخل ؟ ... (١)

**وبعد :**

**فقد أباح الإسلام** تعدد الزوجات ، وأحاطه بقيود إحسان التعامل، والعدل بين الزوجات، والقدرة على الباءة، وصيانة الحرية الكاملة للمرأة ، وأعطى للزوجة الأولى حق طلب الطلاق إن تضررت من الزواج عليها ، وأعطى للنساء الأخريات حرية الزواج من رجل متزوج ، وبذلك يتم الزواج والطلاق في إطار أخلاقي لا يضر الرجل أو المرأة، لقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (٢) .

**وحيثما يصير** هذا المباح مسلماً بإباحته ينتفي الزواج السري، ويقبل اتخاذ العشيقات ، والخليلات ، وتنتهي الخيانات الزوجية إلى الأبد . يأخذ العاقل ما يراه في الناس من ظلم للمرأة ، وقيام بعض الزوجات بقتل أزواجهم وحدهم، أو مع عشاقهم دليلاً يعرف به أسباب الخصوم التي استندوا إليها للإساءة إلى الإسلام ، مع أن الإسلام شرع ما يقضي على هذه المشاكل وهو إحياء الأسرة بالحب، وإباحة الطلاق بكرامة، والخلع بعزة، وتعدد الزوجات بلا مانع .

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام و الرد عليها ، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ص ٨٠

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٩ .

## المطلب الخامس مع آيات القرآن الكريم المتصلة بالتعدد

يبين القرآن الكريم إباحة التعدد، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿١﴾ .

والآية تدل على أنه على المسلم أن لا يوقع نفسه في الحرج، بالابتعاد عن المظان التي تقربه منه، ومعنى الآية ما لكم توقعون أنفسكم في حرج بالتزوج من اليتيمة التي تربونها في حجوركم، وتطمعون في مالها، وقد جعل الله تعالى لكم مخرجا من ذلك بإباحة نكاح من ترغبون من النساء في حدود ما شرع الله تعالى ، وتطيب إليه نفوسكم، ليشاركوكم الأُنس، وتحمل المسؤولية ، وتشاورونهم فيما يعن لكم من قضايا وهن معكم مثنى، وثلاث، ورباع ... والقرآن الكريم لا يسمي المرأة بالنسوة إلا لمن بلغن الحلم (٢).

ويجب العدل في المبيت، والعشرة، والنفقة، والقسم بين الزوجات الأربع، أو الثلاث ، أو الاثنين،... وفي كل ما هو في طاقة الإنسان واستطاعته، وعلى من يخاف من عدم استطاعته العدل الممكن أن يكتفي بزوجة واحدة، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ﴾، لأن التزوج بواحدة لا يحتاج إلى العدل المذكور، وهو أقرب للصواب، والبعد عن الجور والظلم لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾

وفي قوله تعالى ﴿ مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ إشارة إلى أن الرجل إذا رغب امرأة وهام

(١) سورة النساء الآية : ٣ .

(٢) تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٥ .

في حبها، وأن المرأة إذا أصابها ذلك فخير لهما أن يتزوجا نجاة من معاتب الرزيلة، ولجوءاً إلى ما شرع الله تعالى لهما من نكاح .

ويقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاجِدَةٌ ﴾ ، وهذه الآية تدل على أن العدل بين الأزواج واجب، والعدل المطلق لا يملكه الرجل، فهو لا يملك قلبه، ولا يتحكم في عواطفه ، يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، قالت : (كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل فيقول : " اللهم هذا قسمي فيما أمك ، فلا تلمني فيما تمك ولا أمك ) (١) .

فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢) ، لبيان العدل المطلوب من الزوج ، وهذا يرفع عنه الحرج من استحالة العدل في أمور لا يملكها كتصورات النفس، وحب القلب، وإنما العدل الواجب يكون في الأمور المادية التي يملك الزوج التصرف فيها، .... وكل ما على الزوج في قضايا القلب أن لا يميل الميل كله نحو امرأة بعينها، ويتزك الأخرى كالمعلقة ، فلا هي مطلقة ، ولا تشعر بدور زوجها معها (٣)

**وبهذا الفهم لآيات التعدد ندرك المعنى، ونعلم أنها تبيح التعدد، وتشتترط العدل في المسائل التي يملكها الرجل، لأن العدل المطلق لا يستطيعه الرجل، وهو ما يتعلل به معارضو التعدد حين يرون أن المشروع هو العدل المطلق .**

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب النکاح، أما حدیث سالم - حدیث : ٢٦٩٢

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٩ .

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ١٩٥ بتصرف .

## **المطلب السادس** **أوجه تكريم المرأة** **بتعدد الزوجات**

وسط الزويدة العاصفة التي يثيرها مانعوا التعدد ضد التعدد فإنني أورد هنا أوجه تكريم المرأة بالتعدد بعد ما بينته من أدلة ، وتحليل، وأهم هذه الأوجه ما يلي : -

### **- أولاً -**

#### **تكاثر عدد الزوجات**

من المعلوم أن الزواج أمل كل امرأة لتتمتع، وتسكن مع الزوج، وتلد أولاداً، وتربيهم، ليكونوا عوناً لها بعد أبيهم ، ويقوموا بالدعاء لها بعد موتها .  
ومن المقرر أن تعدد الزوجات يحقق هذا الأمل للنساء بصورة أوسع ، وأكبر، وهذا حال ثبت ويثبت في المجتمع المسلم المؤمن الملتزم بأوامر الله تعالى .

### **- ثانياً -**

#### **صيانة أخلاق المرأة**

إذا كثر النساء، وسهل أمر التزويج، فإن المرأة تطمئن، وتعيش حالة طبيعية بعيدة عن إثارة الرجال، وتقر في بيتها حتى يأتيها من يرغب في نكاحها، وتختاره على ما هو فيه من خلق ودين حتى لو ظل التعدد.

### **- ثالثاً -**

#### **المحافظة على الأولاد**

قد تكون المرأة أيماً، أو مطلقة ومعها أولادها، وتعجز عن رعايتهم والإنفاق عليهم ، وحينئذ فإن زواجها مرة أخرى يؤدي إلى المحافظة على أولادها من الرجل الأول، وهو أمر يرضيها ويطمئنها ، والتزام المسلم الذي

تزوجت به بالعدل، والمساواة ، والخلق الكريم يحقق لها العشرة الطيبة،  
ورعاية الأولاد .

#### **-رابعاً-**

#### **المحافظة على حياة المرأة**

قد تصاب المرأة المتزوجة بمرض يمنعها من الجماع، ولا يستطيع الزوج قضاء وطره معها، وحينئذ يكون من حق الرجل أن يتزوج، والأولى بهذه المرأة أن تبقى في رعاية زوجها، يكفلها، ويعالجها، وينفق عليها، وتعيش مع أولادها، وهذا خير لها من ترك زوجها وأولادها .

#### **-خامساً-**

#### **ضمان أهلية المرأة**

إن تعدد الزوجات يضمن للمرأة أهليتها كاملة ، لأن الزوجة الثانية ترضى بزوجها أثناء الخطبة ، والزوجة الأولى مخيرة بالاستمرار في الزواج أو تركه ، وفي كل الحالات تتمتع كل زوجة بمسكن مستقل كامل المرافق ، ويقوم الزوج بالإنفاق والمساواة، والعدل، وبكل ما يرتبط بقوامته على زوجاته، والمرأة المتزوجة تتمتع بحقها، ولا تنتقص حريتها، فلها أن تبيع وتشتري وتباشر كافة العقود المشروعة في أهلية كاملة .

**ولا يسيئ إلى التعدد إلا الجهل بطبيعته الإسلامية والتطبيق العملي له وسط أقوام يجهلون الإسلام ، ولا يطبقون منه شيئاً ....**

## المبحث التاسع تكريم المرأة في حالات الفراق وجعل الطلاق بيد الرجل

يحث الإسلام على الزواج للمحافظة على نقاء الفطرة، وتكاثر المجتمع، وتقوية الأمة، وحدد لكل من الرجل والمرأة حقوقه وواجباته في إطار الخصائص التي تميز بها كل منهما .

وقد شرع الإسلام للرجل أن يكون قواما على أسرته ، ليدبر شئونها، وينفق على أفرادها، ويحقق مصالحها وفق منهج الله تعالى الذي وضعه لسائر الحياة والأحياء .

ولو استقام المسلمون على منهج الله تعالى فعلا وتركوا لرأوا حياة مستقيمة طيبة ، تصان فيها الحقوق، وتؤدى الواجبات ، ....

إلا أن بُعد المسلمين عن أحكام الإسلام، ومساهم مسار غير المسلمين أفسد حياتهم، وجعل الإسلام غريبا بينهم ، وصاروا غرباء عنه، فما استقاموا على الإسلام، وما استقاموا على غيره .

إن الإسلام جعل القوامة بيد الرجل، وأمره بأن يقوم بالواجب عليه تجاه زوجته، يعاملها بالمعروف، ويمسكها بالإحسان .

وأباح الإسلام فراق الزوجين إذا استحالت العشرة بينهما، وبعد استنفاد كافة الوسائل للصلح ، والقضاء على الخلافات .

وقد وضع الإسلام قرار حل الزوجية بيد الرجل، وعرفه ﷺ أن (أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ) (١) .

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق، حديث : ١٨٧٦

وقد اعتبر خصوم الإسلام جعل الفرقة بيد الرجل إهانة للمرأة ، وحرمانها من الأهلية المقررة لها ، وجعلوا هذا دليلا على أن الإسلام لم يسو الرجل بالمرأة، وهذا اتهام باطل، نشأ من جهل بالإسلام، وكرهية لتعاليمه، ومناهجه .

والنظرة المنصفة في الموضوع تؤكد أن جعل الطلاق بيد الرجل تكريم للمرأة، وصيانة لحقوقها وأهليتها لما يلي :

### - أولاً -

#### مراعاة الخصائص الفطرية للرجل والمرأة

من الفروق الفطرية بين الرجل والمرأة أن المرأة تتميز بقوة العاطفة، وسرعة التأثر، وقوة الانفعال، وهذا يدفعها إلى اتخاذ قرارها بسرعة بعيدة عن الأناة، خالية من التحليل والتعقل، .... بينما الرجل يتميز بقوة العقل، وقوة التفكير، ولا يتخذ قراره إلا بعد ترو، وتأمل في القرار، وآثاره الإيجابية والسلبية .

هذا الواقع الفطري الذي توصل إليه العلماء يوضح أن جعل الطلاق بيد الرجل أمانا للأسرة، ومحافظة عليها من الانهيار، وحماية للمرأة، لأن الرجل لن يلجأ إلى الطلاق إلا بعد بذل كافة طرق علاج النشوز، وبعد تفكير طويل يرى فيه أن الطلاق هو المخرج الوحيد للأسرة، ....

ولو وكل الطلاق للمرأة لهدمت الأسرة من أول غضبه تأتيتها ، والجميع يدرك ذلك، فالمرأة تطلب الطلاق عند أي اختلاف مع زوجها، تطلبه بلا تفكير في أهمية الأسرة ، وبلا حرص على أولادها، وبلا تذكر للفضل بينها وبين زوجها، والحديث النبوي يبين هذا الوضع الفطري للمرأة في قوله ﷺ :  
( ... ورأيت النار ، فلم أر كاليوم منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء "

قالوا : لم يا رسول الله ؟

قال ﷺ : " بكفرهن "

قيل : يكفرن بالله ؟

قال ﷺ : " يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأيت منك شيئا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط " (١)

إن الإسلام يأمر الرجل بأن يحسن إلى المرأة إذا أراد أن يطلقها فيؤدي لها حقوقها، ويناقشها في شأن أبنائها، ويذكرها بما كان منها معه أثناء الود والحنان .

ووجه الإسلام الرجل لطلاق السنة (٢) ليفتح أمامه وأمام زوجته باب الصلح، ورأب الصدع ، والعودة إلى تماسك الأسرة ، والتخلص من الأسباب الداعية إلى الفراق، وذلك ببقاء الزوجة في بيت الزوجية بمحاسنها، وزينتها، ومع أولادها، لما في ذلك من تأثير في الزوج والزوجة معا، والأولاد معهما .  
إن الإسلام حين جعل الطلاق بيد الرجل قيده بمنهجية الطلاق، ومنعه من التماذي في كراهية الزوجة ، ...

فإن حرمة عليه تحريما أبديا بأن يقول : " أنت علي كظهر أمي " تحرم عليه، فإن أراد الرجوع إليها فعليه كفارة الظهر بما فيها من مشقة وغرم، ولا يقرب زوجته إلا بعد أن يكفر عن ظهاره .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج - حديث : ٤٩٠٤

(٢) طلاق السنة أن يطلق الرجل زوجته طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، ويستمر في الطلاق حتى يبلغ ثلاثة أطهار .

وكفارة الظهار هي ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاذْعَارُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (١) .

وإن حلف أن لا يقربها أبدا فإن الإسلام يلزمه بالطلاق بعد أربعة أشهر لقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاءَ وَفَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢) .

وإن اتهمها بالزنا فعليه أن يلاعنها وتلاعنه ويفرق القاضي بينهما لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعنتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣) .

إن جعل الرجل يقوم بالطلاق ليس فضلا ، ولكنه تكريم للمرأة ، ومحافظة على الأسرة ، وتنظيم للحياة ، ووضع كل شيء في مكانه اللائق به

## - ثانياً -

### احترام السنوية

الرجل قوام في أسرته، ومسئوليته عنها كبيرة، فهو يعمل، ويشقى ليكسب المال ، وينفقه على زوجته وأولاده ، ويراعي مصالحهم، فيعالج مرضاهم، ويعلم صغارهم ، ويؤسس لهم المسكن الحسن ، والعيشة الرغدة.

(١) سورة المجادلة الآيتين ٣ ، ٤ .

(٢) سورة البقرة الآيتين : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٣) سورة النور الآيات من ٦ : ٩ .

**وعند حدوث شقاق بين الزوجين تتضاعف مسئولية الزوج ، حيث يجب عليه أن يسلم زوجته مؤخر صداقها، وينفق عليها مدة عدتها، ويعطيها النفقة التي تكفيها وتكفي أولادها، ولذلك جعل الله تعالى الطلاق بيده ، ليستعد لهذه المغارم التي تلزمه ، وهذا هو منطق الشرع والعقل .**

**إن المرأة إذا كان أمر الطلاق بيدها فإنها لن تراعي المغارم التي سيلتزم بها الرجل، ومن المتصور أنها ستضاعفها عليه، وتختار الظرف الذي يؤلمه، وليس معنى هذا أن تقهر المرأة على البقاء في كنف الزوج مهما حدث منها، ومهما اعتدى على حقوقها، وأساء إلى كرامتها، .... فقد جعل الله تعالى لها مخرجا تتخلص به من زوج لا ترغب فيه، ولا ترضى به لأمر تراه في نفسها، فقد شرع الله تعالى لها الخلع، وفيه ترد المرأة المهر الذي أخذته من الرجل، وتتنازل عن نفقتها، وبذلك تخلع نفسها، وتفارق زوجها، ولها أن ترفع أمرها إلى القضاء ليحكم القاضي بطلاقها، ونفقتها محفوظة .**

**والخلاصة أن جعل الطلاق بيد الرجل تكريم للمرأة، ومحافظة على الأولاد، وصيانة لحقوق المرأة والرجل .**

## المبحث العاشر رد ما يقال عن أحكام الميراث ، والشهادة ، والدية

قضى الله تعالى للمرأة بأحكام خاصة بها تغاير مثلها للرجل، ومنها :

١- جعل ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى .

٢- جعل شهادتها نصف شهادة الرجل، وتحتاج لمن يكمل شهادتها.

٣- جعل دية المرأة نصف دية الرجل .

وقد نظر الغربيون، ومن تبعهم إلى هذه الأحكام، ورأوا أن الإسلام ظلم المرأة فيها، وأهان كرامتها، وأسقط أهليتها، وذهبوا إلى ضرورة مساواة المرأة بالرجل في هذه الأحكام، وفي كل شيء، وهو ما تحتمه المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة .

وهذا خطأ في التصور، والحكم، وسببه أن القائلين به لم يراعوا الواقع الحياتي للناس، ونسوا أن واقع المسلمين اليوم ليس هو الإسلام ، وجعلوه دليلاً يستمدون منه حكماً شرعياً .

والحق يؤكد أن الإسلام دين واقعي ، وأحكامه نزلت ملائمة للواقع الفطري الذي خلق الله تعالى الإنسان به، وكلفه بدين يتلائم مع طبيعته، ... وسوف أبين - بإذن الله تعالى - ما في هذه الأحكام من تكريم للمرأة ، وآمل عدم التسرع في الاتهام ، وضرورة التحليل والتأمل في براهين الواقع ، وأدلة الوحي، وذلك في المطالب التالية :

## - أولاً -

### ميراث المرأة في الإسلام

ميراث المرأة في الإسلام أقل من ميراث الرجل، فالرجل يرث ضعف ميراث أخته من والديهما، ويرث زوجها منها ضعف ميراثها منه، وميراث الوالد من ميراث ولده المتوفي ضعف ميراث الأم أو أكثر، إذا لم يكن له ولد أو أخوة، وقد يتساوى ميراث الولد والمرأة كالجدة والجددة مع وجود الولد، والأخوة لأم متساوون في الميراث ﴿ فَلِكُلِّ وَّجِدٍ مِّمَّهَما السُّدُسُ ﴾.

وتتعدد أنصبة الورثة ، وفي كثير منها تأخذ المرأة أكثر من الرجل ، أو مثله، يقول الدكتور محمد عمارة : " إن استقراء حالات ومسائل الميراث يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين، ... هذا الاستقراء يقول لنا: إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل ، وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماما، وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل ، وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال ، أي إن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابل أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل " (١)

وقد وردت آيات المواريث في سورة النساء، وهو قوله تعالى :

- ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءِآبَاؤُكُمْ

(١) التحرير الإسلامي للمرأة، ص ٦٩ .

وَأَبْتَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمَ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ \* وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّتُ بِهَا أَوْ دِينٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصِّتُ بِهَا أَوْ دِينٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّلُ بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿ (١) .

— ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِن أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّتَيْنِ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴿ (٢) .

وقد دفع هذا الحال دعاء المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة إلى الزعم بأن هذا الوضع يسيء للمرأة ، ويهين كرامتها، ويفقدها الأهلية الكاملة في حياتها الإنسانية .

وهذا قول يناقض الواقع، ويرده الدليل، ... وبيان ذلك :

١- الإهانة الحقيقية تكون في تشريع حكم يعارض طبيعة المكلف به رجلا كان أو امرأة ، كتكليف الرجل بالحمل والإرضاع، وتكليف المرأة بالقوامة، والنفقة.

(١) سورة النساء الآيتين ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٧٦ .

٢- **التكريم الحقيقي للإنسان مراعاة طبيعته، وتشريع أحكام مناسبة له،**  
لأن ذلك يعني الاعتراف بالواقع ، ووضع الشيء في موضعه، ...  
ومصالح الوجود تكمن في التوافق والتناغم مع المسار الصحيح  
للحياة ، والأحياء، ... ولهذا كانت أحكام الميراث للمرأة تختلف عن  
نظائرها للرجل .

٣- **اختلاف مقادير ميراث الرجل عن مقادير ميراث المرأة لا يفيد فضلا**

**للرجل ، ولا نقصا في المرأة ... وإنما هو تشريع لواقع كل منهما.**  
**فدور الرجل قائم على البذل والعطاء، والإنفاق، فهو مكلف بالإنفاق**  
على والديه إن كانا فقيرين، عاجزين عن الكسب والعمل، وهو الذي يخطب،  
ويقدم المهر، وينفق على زوجته وأبنائه، وإذا فارق زوجته فعليه الإنفاق  
عليها، وعلى إرضاع بنيه، والإنفاق على المرضعة، والحاضنة، وهو الذي  
يعلم، ويربي، ويعالج من الأمراض، ... وعليه إخراج زكاة الفطر عن أبنائه،  
وزوجته، ومن يعولهم، وإعداد المسكن لزوجته وأولاده، والقيام بالولاية كاملة .  
**أما المرأة فهي ليست مسئولة عن شيء من ذلك ، وقد شرع الله تعالى**  
لها أن تتصرف في أموالها كما تشاء بأهلية كاملة فتبيع، وتشتري، وتتعاقد،  
وتحافظ على اسمها ونسبها وهي تتعامل مع الآخرين، ... فمال المرأة يزداد،  
ويتضاعف، ... ومال الرجل يقل ويتناقص، .... ولهذا كانت زيادة الرجل  
في الميراث تعويضا له عن بعض ما ينفقه، وحفظا للتوازن في المجتمع،  
ومنعا لتسلط المرأة بمالها على حركة الحياة .

**ولو تصورنا أن مال الرجل يزيد بالعمل، وببركة الله تعالى، فإن هذه**

**الزيادة تعود على المرأة حين ينفق الزوج من سعته على زوجته .**

**ولعل تكريم المرأة في الميراث يكمن في الجوانب التالية : -**

أولاً : إعفاء المرأة من تحمل الأعباء المالية للأسرة، وهذا يريح تفكيرها وبالحا، ويرفع عنها المسؤولية في هذا الجانب الهام .

ثانياً : تكليف الزوج بمراعاة شئون زوجته مهما ملكت، فهو المسئول عن تحقيق حاجتها مع النفقة عليها من غير أن ينال من مالها شيئاً .

ثالثاً : التوازن المادي في الأسرة يحقق العدل بين أطرافها، ويكرم المرأة بملكيتها.

ولحكمة ظاهرة جعل القرآن الكريم أصل المقادير نصيب المرأة، وضاعف نصيبها للرجل بيانا لتكريم المرأة.

## - ثانياً -

### شهادة المرأة المسلمة

لا يعتد الإسلام بشهادة المرأة مطلقا في أفعال توجب حد الزنا، ولا يعتد بشهادة الرجل في الشئون النسوية الخاصة التي لا يعرفها غير النساء، .... وما عدا ذلك جعل شهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد، مع ضرورة وجود رجل مع المرأتين لعدم صحة تفرد المرأة بالشهادة .

وأثار هذا الحكم الشرعي دعاء المساواة بين الرجل والمرأة، فوجهوا عليه سهامهم المارقة ، فعادت عليهم بفشل ذريع .

ذلك أن الإسلام حين شرع هذه الأحكام لشهادة للرجل والمرأة راعى الفروق الموجودة بينهما، وقضى لكل حال بما يناسبه بدقة .

إن المرأة تتميز بركة المشاعر، وشدة الوجدان، وحب الأطفال، والميل إلى المرح واللعب، ولا تهتم بالأمر البعيدة عنها، ولذلك جعل الله تعالى لها وظيفة الإرضاع والعطف على الولد، وهي تحب هذا العمل، وتتمناه، وينتابها المرض إذا لم تقم به، وبذلك تتوافق طبيعة المرأة مع ما كلفت به ، ... كما

أن قوة عاطفة المرأة تدفعها أحيانا إلى تصور الشيء على غير حقيقته ، وتتوقع له أسبابا لا صحة فيها ، وهذا يؤدي بها إلى تصور غير حقيقي لما تراه أو تسمعه ، ... لهذا اقتضت حكمة التشريع أن تكون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وأمرت بضم امرأة أخرى معها لتعرفها الصواب في الأمر، وتذكرها إذا نسيت، على أن يوجد رجل معهما لإثبات الحق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ (١) .

ولما كان الشأن في المجتمعات العربية والإسلامية أن يكون الرجل هو الذي يتعامل مع الناس بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء، والطلب والرد، يدين ويستدين، ويضرب في الأسواق، ويولي أمر المرأة - أما، أو أختا، أو بنتا ، أو زوجة- ويقوم بمصالحها مع الناس لتتأى بنفسها عن التبذل والمشاق، وتصون عفتها، وتحافظ على كرامتها .

لما كان الأمر كذلك كانت المرأة في تعاملاتها المالية، وخبرتها المادية أقل من الرجل ، ....

إن الشهادة تحتاج إلى دقة الشاهد في موضوع الشهادة، ولذلك راعى الإسلام واقع المرأة، وأمر أن تضم المرأة معها أخرى لتجبر ما لديها من نقص بسبب قلة الخبرة، أو طرود النسيان، وهذا إتقان للواقع ورعاية للمصلحة، ولا صلة له بأهلية المرأة، وإنسانيتها.

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .

**يقول الشيخ محمد المدني:** " وليس على المرأة بأس في هذا، ولا ينبغي أن يعد ذلك انتقاصا لها، أو تمييزا للرجل، وإنما هو وضع للأمور في نصابها ، وحكم عادل مناسب للمرأة بحسب ما تزاوله من أعمال، ومراع لمنزلتها العالية ، ...

**ولا يصح أن يؤخذ من التكريم معنى التتقيص، ولا يجوز أن نجعل الصيانة إهانة وإساءة ، ونحكم على الشيء بحكم يناقضه ، ....**  
**إن الشهادة عبء ومسئولية، والتخفيف فيها يفيد التكريم (١) .**

**فإن قيل :** إن المرأة الثانية تكون مثل الأولى في عواطفها، وإدراكها، فما فائدة اشتراكها معها ؟ ...

**أقول :** إنه يندر أن يكون الاتجاه العاطفي ، والإدراك النفسي لامرأتين متوافقا، ولذلك تصلح أحدهما الأخرى، وتذكرها بما خفي عليها، وتبين لها ما قد تكون قد نسيتة .

**ومما يدل على أن حكم الشرع في الشهادة ليس إهانة للمرأة أن الإسلام أقر للمرأة شهادتها وحدها في الأمور الخاصة بالنساء، ولا يرضى بشهادة الرجل في هذا الجانب .**

**ومظاهر التكريم في الشهادة أن الإسلام لم يحمل المرأة مسؤولية القضايا الخطيرة التي لا تقدر عليها، والتي لا تستطيع الإحاطة بها إحاطة تامة .**  
**كما أن الإسلام وضع المرأة فيما تقدر عليه، وتلك رحمة من الله تعالى بها، والله ذو الفضل العظيم .**

---

(١) وسطية الإسلام ص ٦٨ .

## - ثالثاً -

### دية المرأة المسلمة

الدية هي المال الذي يغرمه المعتدي عوضاً عن الدم الذي أراقه .  
وقد أجمع الفقهاء على أن دية المسلمة الحرة تكون على النصف من  
دية الرجل لما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال : ( قال رسول الله ﷺ : " دية  
المرأة على النصف من دية الرجل ) (١) .

وقاس الفقهاء دية المرأة على شهادتها، وميراثها، فهي على النصف من  
الرجل في هذه القضايا .

وحكمة ذلك فيما أرى - والله أعلم - أن الدية بصورة عامة تجب للولي  
أو للورثة عوضاً عما فقدوه بموت المقتول رجلاً كان أو امرأة ، وكما لوحظ  
من أسباب التنصيف في الميراث والشهادة يمكن ملاحظته في الدية .

ومن المعلوم أن فقد الرجل يضر زوجته وأولاده ، وأسرته، ويضيع عليهم  
المنافع التي كان يقوم بها داخل البيت وخارجه، كما أن فقدته يؤدي إلى  
قصور في عدد المجاهدين، والقائمين في الخدمة العامة، ونهضة المجتمع،  
... وليس كذلك المرأة، فإن أثر فقدتها يكون في محيط الأسرة فقط .

ويلاحظ أن الدية عوض للورثة بقدر ما فاتهم من أعمال كان يقوم بها  
المقتول لهم ....

ولا صلة للدية بالميت أصلاً ، فهي ليست له، ولا فائدة تعود عليه بها ،  
وكونها للمرأة على النصف من الرجل مراعاة للواقع ، وإكمالاً للنقص بقدر  
الإمكان، وتعويضاً للأحياء عما فقدوه بفقد من مات منهم .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الديات، باب ما جاء في دية المرأة، حديث: ١٥١٦٧

## المبحث الحادي عشر تصحيح بعض المفاهيم المتصلة بالمرأة

بعد الرحلة الطويلة مع التكريم الإسلامي للمرأة، واستعراض الأحكام الشرعية التي اتخذها خصوم الإسلام أدلة على أن الإسلام أهان المرأة، وأفقدتها الأهلية الواجبة لكل إنسان، وتوجيهها توجيهها صحيحا وفق منطق العقل، وبراهين الحياة، وأدلة الإسلام .

وفي هذا المبحث سابين - بإذن الله تعالى - المفاهيم الصحيحة لبعض النصوص الثابتة، حتى لا يلجا الخصوم إلى ظاهرها، ويتخذونها دليلا لهم، وإظهار للحق أمام الدعاة والعلماء ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، وقوة إلى قوتهم، وأهم هذه النصوص ما يلي :

### النص الأول المساواة بين الرجل والمرأة

يقول الله تعالى على لسان " حمنة " امرأة عمران بعد ميلاد مريم - عليها السلام : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِيْنَ الَّذِيْنَ إِذْ أَنْبَأْنَاهُمْ أَنَّ نِسْأَهُمْ كَالنَّاسِ الْفَاسِقِيْنَ ۖ أَنَّهُمْ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ ۖ وَلَئِنَّمَا لَكُنَّ عَوَارِضَ مُرْءٍ لَّأُفْضِلَنَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مِثْلِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ ﴾ (١) .

وقصة ذلك أن " حمنة " امرأة عمران قد نذرت ما في بطنها لخدمة البيت ، وتمنت أن يكون ولدا ليستمر في خدمة المسجد بلا انقطاع لحيض أو لعارض من عوارض النساء، فلما ولدت وجدت المولود أنثى فقالت مقالته في أن الذكر الذي تمنته ليس كالأنثى التي رزقها الله تعالى بها في العمل والخدمة، ... وهي لم تقصد بقولها المفاضلة في أصل الكرامة والأهلية،... وإنما قالت ذلك لبيان أن الولد أفضل من الأنثى في خدمة البيت ، لشدته البدنية، واستمراره الدائم في الخدمة، وقدرته على مخالطة

---

(١) سورة مريم الآية : ٣٦ .

الرجال، وبعده عن الاتهام مع رواد البيت، فلما ولدت أنثى اعتذرت لله تعالى مع علمها أن الأنثى التي رزقها الله تعالى بها خير من الولد لأن الولد كان رجاؤها، والأنثى عطاء الله تعالى ... وعطاء الله تعالى أفضل من أمني البشر .

**فمعنى قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾** أي أنهما لا يتساويان في بدنهما، واستعدادهما للخدمة ، وإن كان هناك تفاضل بينهما فالمرأة العابدة خير من الرجل اللاهي العابث .

**وعلى هذا فلا دلالة في الآية على تفاضل الرجل، أو نقص المرأة، وكل ما فيها إشارة إلى الفروق الفطرية بين الذكر والأنثى .**

### **النص الثاني**

#### **نقصان العقل والدين**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ( خرج رسول الله ﷺ في أضحية أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء .

فقال : " يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار " .

فقلن : وبم يا رسول الله ؟

قال ﷺ : " تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " .

قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟

قال ﷺ : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ " .

قلن : بلى .

قال ﷺ : " فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟

قلن : بلى .

قال ﷺ : " فذلك من نقصان دينها ) (١) .

والعامة ومن له مقصد سيء من الناس يأخذ من ظاهر هذا الحديث معنى سطحيا، ويرى أن الإسلام يعتبر المرأة ناقصة في عقلها، ودينها، ويستدل بذلك على عدم تكريم الإسلام للمرأة.

والأمر يحتاج إلى النظر في الحديث بدقة ، وفهمه على وجهه الصحيح في إطار المناسبة التي قيل فيها، والدلالات المقصودة من الحديث من معاني ألفاظه ، والوصول إلى المعنى الصحيح للحديث الشريف .

الحديث صحيح روته أغلب كتب السنة بألفاظ متقاربة ، وقد قاله النبي ﷺ في يوم عيد كما في مقدمة الحديث ، ووسط جمع من نساء الأنصار المتميزات بالدلال، وعلو المنزلة عند أزواجهن .

ولا يعقل أن يواجه رسول الله ﷺ النسوة في يوم العيد بعيد فيهم، وهو نقص الدين والعقل .

وأیضا فإن الحديث يدل على تعجب النبي ﷺ من تمكن النسوة مع ضعفهن البدني من غلبة لب الرجل الحازم القوي، فكأنه ﷺ يشير إلى أن الضعف الفطري الذي خلق الله تعالى المرأة عليه، والطبيعة التي تحتويها من نسيان يعتريها، ودم يزل عليها عند الحيض والنفاس، ويتعجب من تمكنها مع ذلك من الاستيلاء على قلب الرجل، والسيطرة على عواطفه .

وفي هذا مدح للمرأة، لا ذم لها، لأن ما فيها من نقص فطري لا يمنعها من غلبة الرجل القوي، ولذلك يرشد رسول الله ﷺ النسوة إلى حكمة الله تعالى في وضع القوة حيث مظنة الضعف، وإخراج الضعف من مظنة القوة

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم - حديث : ٣٠٠

ولم يتحدث الرسول ﷺ مع النسوة على نقص في ذواتهم، وإنما كان الحديث عن تخفيف الله بعض الأحكام عنهن رعاية لطبيعتهن، وتكريما لهن. وبهذا المعنى يكون الحديث مدحا للمرأة، وبيان تأثيرها الكبير في الرجل، وفيه يحث النبي ﷺ النساء في يوم العيد على معرفة ما يقوم به الزوج معهن وأن لا ينسين فضله عليهن .

وهذا فن في الدعوة والوعظ، وهو تمهيد للعظة، وكأنه ﷺ يقول: " أيها النسوة إذا كان الله تعالى قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن، فاتقين الله ، ولا تستعملنها إلا في الخير والمعروف .

ويؤيد ما أقول أن كلمة " ناقصات عقل ودين " جاءت مرة واحدة في مجال إثارة الانتباه ، والتمهيد اللطيف للعظة خاصة بالنساء ، ولم تجئ في صيغة تقريرية أبدا (١)، وأيضا فإن النقص المشار إليه يتعلق بتخفيف الحكم الشرعي، وليس بذوات النساء .

ونلاحظ أن المراد بالنقصان في الحديث النقصان النوعي المرتبط بطبيعة المرأة وفطرتها ، فهي بسبب ما يعترها من حيض ، ونفاس تفطر، وبسبب ضعف ذاكرتها ، واشتغالها بأمر البيت لا تهتم بما يحدث خارج البيت ، ولا تستطيع الشهادة عليه، وتحتاج إلى من يذكرها .

وعلى هذا

فما يترتب على طبيعتها من فطر، وترك للصلاة، وجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل ليس ضعفا في تكريمها، أو نقصانا في أهليتها وإنسانيتها .

---

(١) أصول تربية المسلمة المعاصرة ص ٦٨٤ .

والإنسان عموماً معرض في حياته أن يضعف بسبب المرض أو الفقر، أو الجهل، ومع ضعفه تستمر كرامته، ولا تسقط أهليته .

### النص الثالث

#### خلق من ضلع أعوج

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهب تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً " ) (١) .

فهم البعض من الحديث أن المرأة خرجت من الضلع حقيقة.

فعن عبد الله بن عباس وغيره رضي الله عنهم ، أن الله تعالى جاء إلى آدم عليه السلام وهو نائم ( ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحماً، وآدم نائم، لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها . فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي . فسكن إليها، وزوجه الله تبارك وتعالى إياها وجعل له سكناً من نفسه ، وقال له: ﴿ يَتَّكِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢) (٣) .

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء - حديث: ٤٨٩٢

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٥ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - سورة البقرة، القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَتَّكِمُ اسْكُنْ أَنْتَ ﴾

وعلى هذا يكون خلق حواء من ضلع آدم ﷺ حقيقة .  
وقال بعض العلماء: أن الضلع في الآية استعير للدلالة على ما في خلق  
المرأة وطبعها من اختلاف وتغاير عن طبع الرجل وخلقها .  
وسواء كان خلق حواء من ضلع آدم ﷺ على الحقيقة أو الاستعارة فإنه  
يفيد خاصية من خصائص المرأة، وهي قوة عاطفتها، وشدة انفعالها، وسهولة  
استثارتها، وهذه بعض الفروق بين الرجل والمرأة، ولم يبين النبي ﷺ هذه  
الحقيقة عن المرأة إلا لعنايته بها، وتكريمه إياها، وتنبيه الزوج على ضرورة  
الصبر على غيرة الزوجة، وانفعالها، وسرعة تغيرها، وتلك غاية الحديث.  
ومما يؤكد ذلك بدء الحديث بأن من الإيمان عدم إيذاء الجار، وعدم إيذاء  
الزوجة، فالجار يمثل العالم الخارجي، والمرأة تمثل العالم الداخلي.  
وأيضاً فقد دل الحديث على ضرورة المعروف في معاملة المرأة ، حيث  
كرر الحديث الوصية بها قبل وبعد بيان أنها خلقت من الضلع، لبيان  
طبيعتها، وضرورة التعامل معها بما يكافئ واقعها .  
وقد صدر الأمر بالوصية بالسين والتاء للمبالغة في الوصية، حيث يفهم  
المؤمن أن الوصية بالمرأة واجبة عليه، وعليه أن يطلبها لها من غيره .  
والحديث في جملة موجه للرجال ليحسنوا معاملة النساء، ولا دليل فيه  
على اعوجاج حقيقي في المرأة .  
وعلى هذا  
يدل الحديث على ضرورة حسن معاملة المرأة ، والرفق بها، والصبر  
عليها حين انفعالها، وضرورة رعاية رقتها، وأنوثتها، واستمرار القول الطيب  
معها، لتستمر حياتها مع البسمة الحانية، والبر الرحيم.

وعلى هذا فلا دلالة في الحديث على نقص المرأة، وكل ما فيه بيان كيفية خلقها الأول، وبيان أنها قريبة من قلب الرجل، والوصية بها أمر واجب إن فهم الحديث يبين أن الحديث تكريم للمرأة، وهذا التكريم يظهر في الجوانب التالية : -

أولاً : إن خصائص المرأة التي خلقها الله تعالى بها لا دخل لها فيها، وحالها هو الذي أراده الله ﷻ لها، والتعامل مع واقعها تعامل مع قدرة الله تعالى .

ثانياً : يوضح الحديث أن معاملة المرأة بالمعروف واجب من واجبات الرجل تجاه المرأة أما، أو زوجة، أو أختا، أو بنتا .

ثالثاً : حسن معاملة المرأة خلق كريم يدل على إيمان صاحبه ، فقد وصى الله تعالى بها، وأمر الرجال أن يتواصوا به .

رابعاً : مراعاة حال كل إنسان عند التشريع، والحكم تكريم له ، واهتمام بشأنه.

وعلى هذا فلا دلالة في الحديث على نقص المرأة، وكل ما فيه بيان كيفية خلقها الأولى، وبيان أنها قريبة من قلب الرجل، والوصية بها أمر واجب .

## الغاية

الحمد لله تعالى في كل حال، والشكر له سبحانه على أن أعانني على الانتهاء من هذا الكتاب الذي كتبتَه لبيان تكريم الإسلام للمرأة، وأرد به على الزيف، والأكاذيب التي يثيرها خصوم الإسلام ضده.

**والأمل :**

**أن يعي المسلم، وتعي المسلمة** مسئوليتهما عن دين الله تعالى، ويتفحصا الحكم الشرعي من كافة وجوهه، ولا يتبعا أكاذيب المبطلين .  
**كما أمل** أن يؤخذ الحكم الشرعي من مصادره الثابتة بعد العلم بها، لأن الإسلام متين، ومصادره عديدة، والعلم بها ضرورة لازمة .  
**ولا يصح أن يتكلم في أحكام الله تعالى من لا يعلمها، ولا يتقن ما جاء فيها.**

**إن كثيرا من غير المتخصصين** يتكلمون في الإسلام كأنهم الأعمم به، ولا يدركون ضرورة التخصص، ... فالطب شغل الأطباء، والمعمار عمل المهندسين، .... فلما لا يرون ذلك مع تعاليم الإسلام .

**وأخيرا**

**أسأل الله تعالى أن يسد خطاي، ويتقبل عملي، ويفتح له العقول، والقلوب .**

**وأقر في النهاية أن صوابي من توفيق الله تعالى، وخطي مني ، وأسأل الله تعالى العفو، وأتمنى النصح من أولي الألباب، والله يهدي إلى سواء الصراط .**

**أ . د أحمد أحمد غلوش .**

## فهارس الكتاب



## الفهارس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة .....
١٥	الفصل الأول : الإسلام تكريم للإنسان .....
١٩	المبحث الأول : تكريم الإنسان بتعدد عناصره .....
٣٠	المبحث الثاني : تكريم الإنسان بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ..
٤٣	المبحث الثالث : تكريم الإنسان بإنزال المنهج الصحيح " الإسلام " .
٥٠	المبحث الرابع : التكريم بالخلافة في الأرض .....
٥٥	الفصل الثاني : إهانة النظم الوضعية للمرأة قديماً وحديثاً .....
٥٩	المبحث الأول : وضع المرأة قبل الإسلام .....
٧١	المبحث الثاني : المرأة في النظم الغربية الحديثة .....
٨٧	الفصل الثالث : الواقع الفطري للإنسان والفرق بين الرجل والمرأة .....
٩٠	المبحث الأول : التنوع أساس الوجود .....
٩٨	المبحث الثاني : الفروق الفطرية الثابتة بين الرجل والمرأة .....
١٠٠	أولاً : الفروق الجسدية بين الرجل والمرأة .....
١٠٣	ثانياً : الفروق العقلية بين الرجل والمرأة .....
١٠٦	ثالثاً : الفروق النفسية بين الرجل والمرأة .....
١١٧	الفصل الرابع : المرأة المسلمة قديماً وحديثاً .....
١٢٠	المبحث الأول : المرأة في صدر الإسلام .....
١٤٧	المبحث الثاني : الوضعية المعاصرة للمرأة المسلمة .....
١٥٥	الفصل الخامس : مظاهر التكريم الإسلامي للمرأة .....
١٥٨	المبحث الأول : تكريم البنت بحسن استقبالها بعد الولادة .....
١٦٤	المبحث الثاني : تكريم البنت بإطالة الحضانة ووجود الولي .....

١٦٤	أولاً : طول مدة الحضانة .....
١٦٦	ثانياً : استمرارية الولاية على البنت .....
١٦٨	المطلب الأول : رأي الفقهاء في ولاية التزويج .....
١٧١	المطلب الثاني : سبب مشروعية ولاية التزويج .....
١٨٠	المبحث الثالث : تكريم البنت في مرحلة التكليف .....
١٩٧	المبحث الرابع : تكريم المرأة باختيار العمل المناسب لها .....
٢١٦	المبحث الخامس : تكريم المرأة في الخطبة والمهر .....
٢١٧	المطلب الأول : تكريم المرأة لتقدم الرجل ليخطبها .....
٢٢٠	المطلب الثاني : تكريم المرأة بدفع المهر .....
٢٢٤	المطلب الثالث : المغالاة في المهور .....
٢٣٠	المبحث السادس : تكريم المرأة بقوامة الرجل .....
٢٣٣	المطلب الأول : التطبيق العملي للقوامة في الأسرة .....
٢٤١	المطلب الثاني : دورة القوامة في الحياة الزوجية .....
٢٤٦	المبحث السابع: تكريم المرأة بعلاج النشوز .....
٢٥٦	المبحث الثامن : تكريم المرأة بتعدد الزوجات .....
٢٦٢	المطلب الأول : مشروعية تعدد الزوجات .....
٢٦٤	المطلب الثاني : رأي بعض المعاصرين في تعدد الزوجات .
٢٦٧	المطلب الثالث : مناقشة المعارضين للتعدد .....
٢٧٧	المطلب الرابع : المبررات الطبيعية للتعدد الزوجات .....
٢٨٤	المطلب الخامس : مع آيات القرآن الكريم المتصلة بالتعدد .
٢٨٦	المطلب السادس : أوجه تكريم المرأة بتعدد الزوجات .....
٢٨٨	المبحث التاسع : تكريم المرأة في حالات الفراق وجعل الطلاق في يد الرجل .....
٢٩٣	المبحث العاشر: رد ما يقال عن أحكام الميراث، والشهادة ، والدية ..
٢٩٤	أولاً : ميراث المرأة في الإسلام .....

٢٩٧	..... ثانياً : شهادة المرأة المسلمة
٣٠٠	..... ثالثاً : دية المرأة المسلمة
٣٠١	المبحث الحادي عشر : تصحيح بعض المفاهيم المتصلة بالمرأة ..
٣٠١	..... النص الأول: المساواة بين الرجل والمرأة
٣٠٢	..... النص الثاني : نقصان العقل والدين
٣٠٥	..... النص الثالث : خلقن من ضلع أعوج
٣٠٨	..... الخاتمة
٣١١	..... الفهارس

تم بحمد الله وحسن توفيقه





## كتب مطبوعة للمؤلف



## الكتب المطبوعة للمؤلف

- ١- دعوة الرسل إلى الله تعالى .
- ٢- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي .
- ٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني .
- ٤- القول الدقيق في سيرة وعصر الصديق ﷺ .
- ٥- نظم الدرر في سيرة وعصر عمر ﷺ .
- ٦- حُسن البيان في سيرة وعصر عثمان ﷺ .
- ٧- القول الجلي في سيرة وعصر علي ﷺ .
- ٨- موسوعة في الأديان والنحل (دراسة موسوعية للأديان والمذاهب).
- ٩- الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها من القرآن الكريم .
- ١٠- الدعوة في عصر النبوة
- ١١- الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .
- ١٢- قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعديد .
- ١٣- الخطابة العملية .
- ١٤- النظام السياسي في الإسلام .
- ١٥- النظام الاقتصادي في الإسلام .
- ١٦- النظام الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .
- ١٧- أصول الدعوة الإسلامية .
- ١٨- عوامل النجاح من خلال تجربة حية ، ونماذج رائدة .
- ١٩- الرسالة الغراء في تربية الأبناء .
- ٢٠- خيال الروح في زمن الصبا ( ديوان شعري كُتب قبل سنتين عاما ) .

- ٢١- الإعلام في القرآن الكريم ( الجانب النظري ) .
- ٢٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الأول .
- ٢٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثاني .
- ٢٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثالث .
- ٢٥- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الرابع .
- ٢٦- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الخامس .
- ٢٧- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد السادس .
- ٢٨- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد السابع .
- ٢٩- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثامن .
- ٣٠- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد التاسع .
- ٣١- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد العاشر .
- ٣٢- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الحادي عشر .
- ٣٣- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثاني عشر .
- ٣٤- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الثالث عشر .
- ٣٥- ركائز القدوة في تفسير الدعوة - المجلد الرابع عشر .
- ٣٦- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الأول .
- ٣٧- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الثاني
- ٣٨- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الثالث.
- ٣٩- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الرابع
- ٤٠- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الخامس
- ٤١- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء السادس
- ٤٢- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء السابع
- ٤٣- ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء الثامن

- ٤٤ - ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان - الجزء التاسع
- ٤٥ - المدخل لدراسة النظم - الكتاب الأول في موسوعة النظم الإسلامية -
- ٤٦ - موسوعة النظم الإسلامية - الكتاب الثاني - نظام الإسلام في صناعة الإنسان .
- ٤٧ - موسوعة النظم الإسلامية - الكتاب الثالث - نظام الإسلام في تكريم المرأة .

**والله ولي التوفيق،**